

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على ما منحه من الهدى ، وجعل السنة المطهرة قدوة لمن يتقوى ؛
 الذي خلق فأحيا ، وحكم على خلقه بالموت والفناء ، والبعث إلى دار الجزاء والفصل
 والنفاء ، لتجزى كل نفس بما تسعى كما قال في كتابه جل وعلا^(١) (إِنَّهُ مَنْ بَاتَ
 رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى وَمَنْ بَاتَ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ
 فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ، جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
 ذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى) ، الصلاة والسلام على خير من أفيضت عليه بحار المكارم
 والهدى ، ولاحت عليه لوائح الصدق والصفاء ، واعتدى بما أنزل عليه من ربه
 وإليه أمته هدى ، وأقنذها من شرك الردى ، ولم يتركها سدى ، فن أطاعه
 ووالاه فقد رشد ونجا ، ومن عصا وناوأه فقد ضل وغوى ، وعلى آله ورضعته
 وحزبه صلاة وسلاما دائما بين على طول المدى .

وبعد : فهذا كتاب في أحوال النار وأصحابها ، وأحوال الجحيم وأربابها
 نسجته على منوال كتابي في أحوال الجنة وأهلها وحقائق نعمها ومواليها ،
 والباحث على جمعه أن الحافظ الإمام ناصر السنة والإسلام محمد بن أبي بكر بن
 القيم بواه الله في دار السلام ، ألف كتابا جامعا لم يسبق إليه في ما جاء في نعيم
 الجنان ومدارج الرضوان والفقران ، وهو باب من أبواب الترغيب ، وقد سبقت
 رحمة الله سبحانه وتعالى على غضبه كما ورد ذلك في صحاح الأحاديث ، ولم

أقف له ولا نفيره على كتاب مستقل في ذكر النار ، وأحوال الجحيم وما يقابل
الراحة والعيش الآخر في دار النعيم . وهذا باب من أبواب التهريب ، وحاجة
المسلم إليه أشد من الحاجة إلى الأول ، لأن الإيمان بين الخوف والرجاء ، والمرء
بين الشدة والرخاء ، والخوف يفعل في الخبائف مالا يفعل الرجاء في الراحة ،
والخشية تميز تمييزاً كافياً وافياً بين الهالك والناحي ، وأن دين الاسلام ورد
بالمسلكات كما جاء بالمنجيات ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم رغب وتحذر وبشر
وأبذر ، فهو المخبر الصادق بكل الأمرين إخباراً لا يخفى على ذي عينين ،
واسكن الشيطان الرجيم غرم بالفقران والاحسان ، وكادتهم النفس الأماراة
بالسوء ووعدتهم بالرضوان والجنان ، ودخل عليهم إبليس من باب الرجاء حتى
أضلهم عن طريق الهدى ، فقالوا سيفر لنا كما قال من قبلهم من الأمم ، ولم
يعلموا أن بطش ربهم لشديد الألم ، وأن الدار الآخرة منقسمة إلى قسمين :
رياض الجنة وحفر النار ، والعبد بين مخافتين إما أن يصير إلى النعيم بفضل مسحاته ،
وإما أن يصار به عدلا منه إلى دار البوار ، وكل من قنع بالرجاء ولم يلم بالخوف ،
لم يعلم بمقايمة أمره ، ولم يعرف نفعه من ضره ، وإعما المؤمن الناحي من آمن بالله
ورسوله واليوم الآخر وعمل صالحاً ، وأقلع نفسه في هذه الدار عما يوبقه وبه ملكه
عذاباً كان أو ملهاً .

وفي حديث شداد بن أوس قال قال ("رسول الله صلى الله عليه وسلم) «السَّكِينُ
مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَعَمِيَ عَلَى اللَّهِ»

(١) خريجه الترمذي (٦٣٨/٤) ، وقال : هذا حديث حسن ونسبه
السيوطي في كتابه «الدرر المنتشرة في الأحاديث المشتهرة» إلى الحاكم في
مستدركه عن شداد بن أوس وصححه .

قال في مجالس الأبرار : هذا الحديث من حسان المصاييح انتهى : وما أحسن ما قال بعض العارفين .

عجبت من شيخى ومن زهده وذكره النار وأهوالها

بكره أن يشرب في فضة ويسرق الفضة إن نالها

ووهد المغفرة في كتاب الله منوط بالإيمان والعمل الصالح جميعا ، فن أقر بلسانه أن الآخرة خير وأبقى ، ثم ترك للعمل واشتغل بالمعاصي فهو من المغرورين بالدنيا والمسرورين بها والحزين لها ، والكارهين للموت خيفة فوات لقاءها لا خيفة فوات لقاء الآخرة : وهول عقابها ، فهؤلاء هم الذين غرهم الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون .

وأما الذين غرم بالله القُرُور فهم الذين يعملون الأعمال ويشغلون بالمتكررات ويقولون إن الله رحيم ، نرجوا رحمته ، وكريم اتقى مغفرته ، وهذا التمنى هو القُرُور الذى غيّر الشيطان اسمه وسماه رجاء حتى خدع به كثير من الناس ، وقد شرح الله الرجاء بقوله (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاءَهُدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ ^(١)) وقيل لا حسن قوم يقولون نرجوا الله ويضيعون للعمل فقال هيهات . هيهات ، هلكت أمانيم يتردون فيها : من رجاشيناً طلبه ، ومن خاف شيئا هرب منه ، وكالا لا يفت في الدنيا زرع إلا بالحرث كذا لا يحصل في الآخرة أجر وثواب إلا بالإيمان الخالص والعمل الصالح والنية الصادقة ، وأن الله تعالى كما كان غافرا للذنوب وقابلا للتوبة فهو شديد العقاب أيضا . وأنه مع

أكونه كريماً رحيماً خلد الكفار في النار أبداً الآباد ، مع أن كفرهم لا يضره بل سلاط العذاب والخن والأمراض والملل والفقر والجوع على عباده في الدنيا مع كونه كريماً قادراً على إزالتها .

فمن كانت سنته في عباده كذلك كيف يفتربه العبد ولا يخافه ، وقد خوف عباده .

ورجاء أكثر الخلق في هذا الزمان هو سبب فتورهم عن العمل وإقبالهم على الدنيا وإعراضهم عن طاعة الله تعالى وإهمالهم لأمي للآخرة ، وهم لا يعلمون أنه غرور وليس برجاء ، وقد غلب الغرور على آخر هذه الأمة كما غلبت الطاعة على أولها .

قال الغزالي : قد كان الناس في الزمان الأول يواظبون على الطاعات والعبادات ، ويبالغون في الاحتراز عن الشبهات والشهوات ، ومع ذلك كانوا يخافون على أنفسهم ويبتعدون عن الخلو ، وأما الآن فترى الخلق آمنين فرحين غير خائفين مع إصرارهم على المعاصي وإهمالهم في الدنيا وإعراضهم عن طاعة الله ، يزعمون أنهم واتقون بكرم الله تعالى وفضله ، وراجون لعفوه ومغفرته ، ويقولون نعمته واسعة ورحمته شاملة . وأي شيء من معاصي العباد في بحار مغفرته ؟ ويسمون تمثيلهم واغترارهم رجاء ويقولون أن الرجا محمود في الدين ؛ فكأنهم يزعمون أنهم عرفوا من كرم الله وفضله ما لم يعرفه الأنبياء والسلف الصالح . انتهى .

هذا وكان يخطر في خلدي قديماً منذ ألفت كتاب (مثير ساكن العوام إلى روضات دار السلام) أن أؤلف كتاباً في أهوال النار وأهلها وصفة الجحيم

حزنها وسهلها ، مقتصرًا في ذلك على ما ورد في آيات الكتاب العزيز وأداة
السنة المطهرة البيضاء . فلم يتفق لي هذا المراد لموافق عاقتي وضائق بها على
الفجاء ؛ إلى أن حصل الآن فرصة نذرة فانتدبت لتحرير هذا المرام ظناً مني أنه
لم يسبق إلي مثل هذا التأليف قبلي أحد من الأعلام ، ولو كنت وقفت على مثل
هذا الجمع لأحد منهم لم أكلت نفسي لجمع هذا الكتاب الموعود ، ولم أدخلها
في هذه العقبة الشكود ، ولكن الله يوفق بما يشاء من عباده ؛ وله في أيام
دهرهم نفعات ألا فليعرضوا لها في بلادهم . وسميت هذا (ينيظة أولى الاعتبار
بما ورد في ذكر النار وأصحاب النار) . ورتبته على مقدمة وأبواب وخاتمة .
أجارنا الله تعالى من النار الحاطمة .

مقدمة

(في بيان أن الشرائع متفقة على إثبات
الدار الآخرة التي فيها الجنة والنار)

أعلم أن الله سبحانه صرح باسم الجنة في أول التوراة عند الكلام على
ابتداء خلق العالم . ولفظها : « وغرس الإله جنة في عدن شرقاً . ووضع هناك
آدم الذي خلقه » ا . هـ .

ثم ذكر أن منها خرج نهر . وتفرع عنه : فيشون وحدافل وجيعون
والفرات .

فهذه هي الجنة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم . وصح عن النبي
ﷺ أن هذه الأربعة الأنهار خارجة منها ، كما في دواوين الإسلام ^(١)
وغيرها . واعترف بهارأس زنادقة اليهود : موسى بن ميمون القرطبي
الأندلسي في تأليفه ، المسمى « المشنا » في لفظه . وفي كتاب اللغات
في حرف العين قال : ومعنى اسم عدن : التلذذ والنعيم . ثم قال : إن
تلك هي جنات النعيم ، وفردوس السعادة ، والمصالحون باقون فيها ليستلذوا
من نور الله . قال النبي أشمياء في حقيقة ذلك التلذذ « هو ملاعين تقدر
أن تراه » ا . هـ .

(١) في صحيح مسلم (٢١٨٣) عن أبي هريرة مرفوعاً . سيحان وجيعان
والفرات والنيل ، كل من أنهار الجنة وخرجه الإمام أحمد (٥١٦)

والقوراة أيضاً صرحت باسم النار ، ولفظها « سول واش » قال علماء اليهود ، ومعنى اللفظين جهنم . وفيها غير ذلك من الآيات كثير ، كما في الإصحاح الثمان عشر من سفر اللاويين (الأخبار) . ولفظه : « أحكامي تعلمون ، وفرائضي تحفظون ، لتسلكوا فيها ، أنا الرب إلهكم ، فتحفظون فرائضي وأحكامي التي إذا فعلها الإنسان يحيا بها . أنا الرب » ا . ا . هـ . ولا حياة دائمة في الدنيا بل في الآخرة ، وفي الإصحاح (الفصل) الخامس من سفر الأمثال سليمان عليه السلام « ويجعلهم بعد الموت إلى الجحيم » ا . هـ . وفي الإصحاح السادس والعشرين من نبوة أشعيا ما لفظه : « تخيا أمواتك . تقوم الجثث » ا . هـ . وفي سفر دانيال ما لفظه : « وكثيرون من المراقدين في تراب الأرض يستيقظون . هؤلاء إلى الحياة الأبدية ، وهؤلاء إلى النار ، والازدراء الأبدى » ا . ا . هـ .

وأما الزبور ففيه نصوص كثيرة ، في التصريح بذكر النار ، جاء في المزمور التاسع والأربعين ما لفظه : « مثل للفم الهاوية يساقون . الموت يرعاهم . ويسودهم المستقيمون غداة ، وصورتهم تبلى . الهاوية مسكن لهم : إنما الله يفتدي نفسي ، من يد الهاوية : لأنه يأخذني » ا . ا . هـ . وفي المزمور الخامس والخمسين . « ليبتئهم الموت ، لينحدروا إلى الهاوية أحياء . لأنفسهم مساكنهم ، في وسطهم شروراً » ا . ا . هـ .

وفي المزمور السادس ما لفظه : « وأنت يارب غنى متى ، عد يارب : نج نفسي خلصني من أجل رحمتك : لأنه ليس في الموت ذكرك ، في الهاوية من يحمذك ؟ » ا . هـ . وفي المزمور التاسع : « الشرير يعاق بعمل يديه . الأشرار يرجعون إلى الهاوية » ا . هـ . وفي المزمور السادس عشر :

« جسدى أيضاً يسكن مطمئناً . لأنك لن تترك نفسى فى الهاوية . لن تدع ثقيك برى فساداً » ا. ه .

* * *

وفى الإنجيل ذكر الجنة والنار فى مواضع كثيرة فى الإصحاح الخامس من الإنجيل الأول لإنجيل متى « ومن قال بالحق يكون مستوجب نار جهنم — إلى قوله — ولا يلقى جسدك كله فى جهنم » وفى الإصحاح العاشر من متى : « بل خافوا بالحري من الذى يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما فى جهنم » ا. ه .

وفى ذلك نصريح بمحشر الأجساد . وفى الإصحاح الثالث عشر من متى : « يرسل ابن الإنسان ملائكته فيجمعون من ملكوته جميع المعاصى وفاعلى الإنم وبطرحونهم فى أتون النار ، هناك يكون البكاء وصرير الأسنان » . وفى الإصحاح التاسع من إنجيل مرقس ما لفظه : « ونمضى إلى جهنم إلى النار التى لا تطفأ . حيث دورم لا يموت والنار لا تطفأ » . وفى الإصحاح السادس عشر من إنجيل لوقا ما لفظه : « ومات النفس ودفن فرفع عينيه فى الهاوية وهو فى العذاب » ا. ه .

وفى الإصحاح الثامن عشر من متى : صرح بذكر دخول النار المؤبدة . وبذكر دخول جهنم . وفى الإصحاح الثانى والعشرين من متى ما لفظه : « فى ذلك اليوم جاء إليه صدوقيون . الذين يقولون ليس قيامة » ا. ه .

فلنظر إلى هذا النص الصريح بالقيامة . وإلى النصريح بأن الذين يقولون : لا قيامة هم للصدوقيون . وكفى بهذا دافعاً فى وجه من زعم أن إثبات ذلك زنادقة فى الشريعة السابقة كما ذكره زنادقة فى هذه الشريعة الحمدية .

وفى الإصحاح الخامس والعشرين من متى : مآلفظه : « ثم يقول أيضاً للذين
 عن اليسار : اذهبوا على ياملاعين إلى القار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته » .
 وفى هذا التصريح بما لا يحتاج إلى زيادة . وهذه الفتوى من الإنجيل الذى
 جمعه متى ونحوه أيضاً فى الأناجيل الأخرى التى جمها يوحنا ومرقس وغيرهما .
 وفى إنجيل لوقا فى الإصحاح العشرين منه . « وأما أن الموتى يقومون : فقد دل
 عليه موسى » وفى الإصحاح الثالث والعشرين أن المسيح قال المصلوب ما لفظه :
 « قال له يسوع : الحق أقول لك : إنك اليوم تكون معى فى الفردوس » انتهى
 وفى الإنجيل الذى جمعه يوحنا فى الإصحاح الخامس . مآلفظه : فإن تأتى ساعة
 فيها يسع جميع الذين فى القبور صوته فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة
 الحياة . والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة » وفى الإصحاح السادس من
 يوحنا « أن كل من يرى الابن ويؤمن به . تكون له حياة أبدية . وأنا
 أقيمته فى اليوم الأخير » .

وفى الإصحاح الثامن من يوحنا مآلفظه : « الحق ، الحق . أقول لكم :
 إن كان أحد يحفظ كلامى . فلن يرى الموت إلى الأبد » انتهى .

وإذا عرفت هذا المصريح به الإنجيل . فكذا صرح الحواريون من أصحاب
 المسيح عليه السلام فى رسائلهم المعروفة ، وهذه النصوص ترد على ابن أبى الحديد
 المعتزلى شارح شيخ البلاغة قوله وهو : أن كل ما فى التوراة من الوعد والوعيد
 فهو منافع الدنيا ومضارها ، ولم يأت فيها ما يتعلق بما بعد الموت ، وأما المسيح
 فإنه صرح بالقيامة وبموت الأبدان ولكن جعل المقاب روحانياً وكذلك
 الثواب . انتهى ، وكذلك ترد على رئيس الملاحدة ابن سينا حيث قال :
 « إن النصارى آمنوا بموت الأبدان وخلوها عن الطعام والملبس والمشراب
 والمسكح » انتهى .

قال شيخنا العلامة المجهّد المطلق محمد بن علي الشوكاني في المقالة الفاخرة
في اتفاق الشرائع على إثبات الدار الآخرة : إن أصل هذه المقالة الملعونة
والرواية عن التوراة والانجيل المكذوبة ، مقالات قالها جماعة من معتزدة
اليهود والنصارى كابن ميمون وأضرابه .

وأنهم أي اليهود كفروه ولعنوه بسبب هذه المقالة ، وقد وقع من هذا
الملعون التعزيف لما في التوراة وتلقى ذلك عنهم زنادقة الملة الإسلامية استرواحاً
منهم لما يتضمن من الفتح في شرائع الله سبحانه . انتهى .

ثم نقل ما في التوراة والزبور والانجيل نحو ما ذكرنا وزاد في القول في
رسالته التي سماها (إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والعماد
والنبوات) وهذه الكتب الثلاثة الإلهية موجودة عندنا باللسان العربي فاستفاد
من ذلك أن الأمر خلاف ما قاله زنادقة الملة اليهودية والملة النصرانية ثم تعقب
الشوكاني رحمه الله ابن ميمون وابن أبي الحديد وأوضح فسادهم ثم قال ^(١) :

وأما نبهوس القرآن فهو من فاتحته إلى خاتمته مصرحة بالجنة والنار وبهته
الأجسام وتنعمها أو تعذيبها بما اشتمل عليه القرآن من أنواع ذلك ، ومن تلعب
ما في كتاب الله سبحانه من حكاية نعم أهل الجنة وعذاب أهل النار عن الملل
السالفة وعن كتب الله المنزلة عليها وجده كثيراً جداً لا يقسع المقام لبسطه ،
وقد بحث النبي (ﷺ) وأهل الله اليهودية والملة النصرانية في أكثر بقاع
الأرض ولم يسمع من أحد منهم أنه أنكر ذلك أو قال هو خلاف ما في التوراة
والانجيل ، وقد سكن النبي (ﷺ) في المدينة الشريفة ونزل عليه أكثر القرآن
بها ، وكان اليهود متوافرين فيها وفيما حولها من القرى المتصلة بها ، وكانوا

يسمعون ما ينزل الله على رسوله (ﷺ) من القرآن ويفكرون ما ورد مخالفاً لما في التوراة ومجادلون أبلغ مجادلة ، كما حكى ذلك القرآن الكريم وتضمنته كعب السير والتاريخ ، ولم يُسمع أن قائلًا قال إنك تحكى عن التوراة ما لم يكن فيها من البعث ونعيم الجنة وعذاب النار ، وقد كانوا يتهاونون على ذلك ويبالغون في تتبعه بل كانوا في بعض الحالات يفكرون وجود ما هو موجود في التوراة كالرجم .

فكيف يستكون عن هذا الأمر العظيم مع سماعهم لحكاية القرآن له عنهم وعن التوراة ، وهل كانوا يعجزون عند أن يسمعوها ما حكاها الله عنهم من قولهم (وَقَالُوا لَنْ نَمْسَنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً^(١)) أن يقولوا ما قلناه هذا ولا نستفده ولا جاءت به شريعة موسى ، وهكذا عند سماعهم قوله تعالى (إِنَّ هَذَا نَبِيُّ الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى^(٢)) .

وبهذا تبين أن هذه المقالة لم يسمع بها اليهود ولا النصارى إلا في عصر رأس الزنادقة ابن ميمون عليه لعائن الله تعالى . انتهى كلامه .

وكلام ابن ميمون هذا كما هو مخالف للغة اليهودية ولما جاءت به التوراة ولما قاله علماء اليهود هو أيضاً مخالف للغة النصرانية ولما جاء به الإنجيل وقاله علماء النصارى ، ومخالف أيضاً لما جاءت به الشريعة الداوذية وما صرح به الزبور ومخالف أيضاً لما جاءت به اللغة الإسلامية وما صرح به القرآن الكريم وأجمع عليه علماء الإسلام بل مخالف لشرائع الأنبياء جميعاً كما حكى ذلك عنهم القرآن فنحن وإن لم ننف على غير التوراة والزبور والإنجيل من شرائع الأنبياء

السابقة فقد حكاها لنا القرآن في غير موضع كقوله تعالى (وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى^(١)) وقوله (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ^(٢)) وقوله حاكياً عن مؤمن آل فرعون (يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ - إلى قوله - وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ - إلى قوله - فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ^(٣)) وقوله (إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَارْتُكِبْ إِلَى^(٤)) إلى قوله (وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْتِقَاءِ) إلى آخر الآيات بطولها .

والحاصل أن هذا أمر اتفقت عليه للشرائع ونطقت به كتب الله عز وجل سابقها ولاحقها وتطابقت عليه الرسل وأولهم وآخرهم ، ولم يخالف فيه أحد ، وهكذا اتفق على ذلك أتباع جميع الأنبياء من أهل الملل والنحل ولم يسمع عن أحد منهم أنه أنكر ذلك إلا ما تقدم من ابن ميمون الملعون وأفراخه فإنه وقع منه كلام في إنكار المعاد ، ثم اختلف كلامه في ذلك فتارة يثبته وتارة ينفيه وإنما أنكر أن يكون فيه لذات حسية جسمانية بل لذات عقلية روحانية ، ثم تلقى ذلك عنه من هو شبيه به من أهل الإسلام كابن سينا فقلده ونقل عنه ما يفيد أنه لم يأت في الشرائع السابقة على الشريعة الحمدية إثبات المعاد تقليداً لذلك اليهودي الملعون الزنديق مع أن اليهود قد أنكروا عليه هذه المقالة وسموه كافراً وتبع ابن سينا ابن أبي الحديد شارح نهج البلاغة وهم جراً .

(٢) المائدة (٧٢)

(٤) آل عمران (٥٥)

(١) البقرة (١١١)

(٣) غافر (٣٢ - ٤٠)

(باب)

* (في بيان وجود النار الآن) *

اعلم أنه لم يزل أصحاب رسول الله ﷺ والقابضون وتابعون وأهل السنة والحديث قاطبة ، وقفاء الإسلام وأهل التصوف والزهد على اعتقاد ذلك وإيمانه ، مستفدين في ذلك إلى نصوص الكتاب العزيز والسنة المطهرة ، وما علم بالضرورة من أخبار الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم ، كما تقدم في المقدمة ، فإنهم دعوا الأمم إليها وأخبروا بها إلى أن نبئت نابتة من أهل البدع والأهواء فأنكرت أن تكون الآن مخلوقة موجودة ، وقالت نبل الله ينشئها يوم المعاد . وأن خلق النار قبل الجزاء عبث فإنها تصير معطلة مدداً مطاولة ليس فيها سكانها ؛ فردوا من النصوص الأصول والفروع ، وطلوها كل من خالف بدعتهم هذه بما لا يسن ولا يفى من جوع . ولهذا صار السلف الصالح ومن نحا نحوم يذكرون في عقائدهم أن الجنة والنار مخلوقتان الآن موجودتان في الحال ، ويذكر من صنف في المقالات أن هذه مقالة أهل السنة والحديث كافة لا يختلفون فيها ، منهم أبو الحسن الأشعري إمام الأشاعرة في كتابه (مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين) .

وقد ذكر الله تعالى النار في كتابه في مواضع كثيرة بقرينة واحدة ويفوت عنها وصفها . وأخبر بها على لسان نبيه ﷺ ونفثها فقال عز من قال (فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ^(١)) وقال (وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ^(٢)) وقال (إِنَّا أَعَدَدْنَا لَهَا لَظَّائِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ^(٣))

(٢) آل عمران (١٣١)

(١) البقرة (٢٤)

(٣) الكهف (٢٩)

وقال (إِنَّا أَعْتَدْنَا لَهُمْ جَهَنَّمَ لِكَافِرِينَ نُزُلًا^(١)) وقال (وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا^(٢)) وقال تعالى (أَغْرَقُوا فَأَذْخِلُوا نَارًا^(٣)) وقال (وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا^(٤)) وقال (فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِكَافِرِينَ سَعِيرًا^(٥)) وقال (وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ^(٦)) وقال (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا^(٧)) إلى غير ذلك من الأدلة القطعية التي كلها صيغ موضوعة للمضي حقيقة فلا وجه للعدول عنها إلى الجازات إلا بصرح آية أو صحيح دلالة وأنى لهم ذلك ؟

وفي الصحيحين^(٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ حُرِّصَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْقُدَّةِ وَالنَّيْتِ إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فِنْ أَهْلِ النَّارِ ، يُقَالُ هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْتِمَكَ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». وفيهما أيضا أن النبي ﷺ : «رَأَى فِي صَلَاةِ الْكُفْرِ النَّارَ فَلَمْ يَرَمْظَرًا أَفْطَحَ مِنْ ذَلِكَ»^(٩) وفي البخاري^(١٠) من عمران بن حصين عن النبي ﷺ قال : «اطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ» وفيه دلالة على وجودها حال اطلاعها ، ورواه الترمذي^(١١) والنسائي أيضا .

وفي الصحيح^(١٢) (باب صفة النار وأنها مخلوقة الآن) وعن أبي ذر عن النبي ﷺ : «أَبْرَدُوا بِالصَّلَاةِ فَإِنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ» وعن أبي هريرة رضي الله

(٢) القرآن (١١)

(٩) الكهف (١٠٢)

(٤) الفتح (٦)

(٣) نوح (٢٥)

(٦) النكاح (٥)

(٥) الفتح (١٣)

(٨) مسلم (٤/٢١٩٩)

(٧) غافر (٤٦)

(١٠) فتح الباري (٥٧/١٤)

(٩) مسلم (٦٢٦٠٢)

(١٢) فتح الباري (١٣٩/٧) وليس فيه الآن

(١١) الترمذي (١٧٥/٤)

عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اشْتَكَّتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا فَقَالَتْ رَبِّ أَكُلْ بَعْضُ بَعْضًا فَإِذَا نَهَا بِنَفْسَيْنِ نَفْسٍ فِي الشَّتَاءِ وَنَفْسٍ فِي الصَّوْفِ فَأَشَدُّ مَا يَجِدُونَ مِنَ الْحَرِّ وَأَشَدُّ مَا يَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهِرِيرِ» رواه البخاري^(١) أي من ذلك النفس .

وعن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم قال: قال رسول الله ﷺ: «الْجَنَّةُ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ فَأَبْرَدُومًا بِالْمَاءِ» رواه البخاري^(٢) وفي رواية «مِنْ فَوْرِ جَهَنَّمَ» رواه عن رافع بن خديج^(٣) .

وكل ذلك يفيد وجود النار الآن ، وفي مسند أحمد وسنن أبي داود والنسائي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «وَلَقَدْ أُودِنَتِ النَّارُ مَعِي حَتَّى لَقَدْ جَعَلْتُ أَقْبِيهَا خَشْيَةً أَنْ تَفْشَا كُمْ»^(٤) الحديث وفي صحيح مسلم^(٥) من حديث أنس رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «لَوْ رَأَيْتُمْ مَا رَأَيْتُمْ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَسَكُمُ كَثِيرًا قَالُوا: وَمَا رَأَيْتَ بِرَسُولِ اللَّهِ؟ قَالَ «رَأَيْتُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ» .

وفي مسند أحمد ومسلم والسنن من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ أَرْسَلَ جِبْرِيلَ إِلَى الْجَنَّةِ فَقَالَ: انْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا ، قَالَ : فَجَاءَهَا وَنَظَرَ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَّ اللَّهُ لِأَهْلِهَا فِيهَا قَالَ: فَرَجَعَ إِلَيْهِ وَقَالَ فَوْعَزْتُكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا فَأَمَرُ بِهَا فَعَفَّتْ

(١) فتح الباري ١٤٢/٧ كلا الحديثين (٣٥٢) الفتح ١٤٣/٧

(٤) المسند (١٩٨/٩) وقال الشيخ شاكر : اسناده حسن ثم يكون صحيحا

لغيره أبو داود (٢٧٣/١) مختصرا - النسائي (١١٢/٣ - ١١٣) واللفظ له

(٥) صحيح مسلم (٣٢٠/١)

بِالْمَسْكَرَةِ قَالِ ارْجِعْ إِلَيْهَا فَانْظُرْ إِلَى مَا أُعِدَّتْ لَأَهْلِهَا فِيهَا . قَالَ فَرَجَعَ إِلَيْهَا فَإِذَا هِيَ
تَحْدُحُفَّتْ بِالْمَسْكَرَةِ ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ : وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خِفْتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ ، قَالَ
اذْهَبْ إِلَى النَّارِ فَانْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أُعِدَّتْ لَأَهْلِهَا فِيهَا فَإِذَا هِيَ بِرَكَبٍ بَيْنَهُمَا
بَعْضٌ ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ : وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلُهَا فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ
بِالشَّهَوَاتِ قَالِ ارْجِعْ إِلَيْهَا فَارْجِعْ إِلَيْهَا فَقَالَ : وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَلَّا يَنْجُوَ
مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا ، قَالَ التِّرْمِذِيُّ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ ^(١) .

وفي الصحيحين من حديثه أيضاً برفعه : « حُجِبَتِ الْجَنَّةُ بِالْمَسْكَرَةِ وَحُجِبَتِ
النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ » ^(٢) ، وفي الباب أحاديث كثيرة ، وقال الشيخ أحمد دوالي الله المحدث
الدهلوي في عقائده : الجنة والنار حق وهما مخلوقتان اليوم باقيتان إلى يوم
القيامة انتهى ، ونحوه ومثله في الكتب الأخرى المؤلفة في أصول الدين .

(١) لم نجده في مسلم ، واثبتنا نص رواية الترمذي (٦٩٣/٤ - ٦٩٤) .

(٢) فتح الباري (١٠٢/١٤) ومسلم (١٢٧٤/٤) .

(باب)

• (في أن النار لا تنفى ولا ينفى ما فيها) •

قال تعالى « أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ » (النساء ٢٥٧) وهذه الآية في مواضع من القرآن الكريم وقال تعالى « بُدْخِلُوا نَارًا خَالِدًا فِيهَا » (النساء ١٤) وقال تعالى « لَجَزَاءُ سَئِئَةٍ هَاجَتْهُمْ فِيهَا » (النساء ٩٣) وقال تعالى « أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ » (التوبة ١٧) وقال تعالى : « فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا » (التوبة ٦٣) وقال « فَخَادِلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا » (النحل ٢٩) وهذه في غير موضع من القرآن ، وقال « لَوْ كَانَ حَوْلَآءِ آلِهَةٌ مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ » (الانبياء ٩٩٠) وقال « فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ نَلْفَعُ وُجُوهُهُمْ النَّارُ » (المؤمنون ١٠٤) وقال « إِنَّ الْجَحِيمِينَ فِي حَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ » (الزخرف ٧٤) وقال : « فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا » (الحشر ١٧) وقال « فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا » (البقرة ٦) وقال « وَمَا هُمْ بِمُخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ » (البقرة ١٦٧) .

ومن ابن عمر رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال (يَدْخِلُ اللهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلَ النَّارِ النَّارَ ثُمَّ يَقُومُ مُؤَذِّنٌ يَنْبَغِيهِمْ فَيَقُولُ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا مَوْتَ وَيَا أَهْلَ النَّارِ لَا مَوْتَ كُلُّ خَالِدٍ فِيهَا هُوَ فِيهِ) أخرجه الشيخان ^(١) وفي رواية عنه عندهما (فَيُزَادُ أَهْلَ الْجَنَّةِ فَرَحًا إِلَى فَرَحِهِمْ ، وَيُزَادُ أَهْلَ النَّارِ حُزْنًا إِلَى حُزْنِهِمْ) .

ومن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال « يُجَاءُ

بِالْمَوْتِ فِي صُورَةٍ كَبَشٍ أَمْلَحَ فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ثُمَّ يُقَالُ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ
 فَيُطْلَعُونَ مُشْفِقِينَ ، وَيُقَالُ يَا أَهْلَ النَّارِ فَيُطْلَعُونَ فَرِحِينَ ، فَيُقَالُ هَلْ تَعْرِفُونَ
 هَذَا فَيَقُولُونَ نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ ، فَيَذْبَحُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَيُقَالُ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ
 خُلُودٌ وَلَا مَوْتَ فِيهَا ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ وَلَا مَوْتَ فِيهَا ، أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (١)

ومسلم .

وفي هذا عدة أحاديث من أبي هريرة (٢) عند الترمذي وصححه والحاكم
 وابن ماجه ، وعن أنس عند أبي يعلى والبيهقي والطبراني وفيه : « فَيَذْبَحُ كَأَنَّ
 تَذْبِيعَ الشَّاةِ نِيَامًا مِنْ هَؤُلَاءِ وَيَنْقُطِعُ رَجَاءُ هَؤُلَاءِ » ، وثبت بما ذكر من الآيات
 للصريحة والأخبار الصحيحة خلود أهل الدارين خلوداً مؤبداً كل بما هو فيه
 من نعيم وعذاب أليم .

وعلى هذا إجماع أهل السنة والجماعة فأجمعوا على أن مذهب الكفار لا ينقطع
 كما أن نعيم أهل الجنة لا ينقطع ، ودليل ذلك الكتاب والسنة وزعمت الجهمية
 أن الجنة والنار تفنيان ، قال هذا جهنم بن صفوان إمام المعتزلة وليس له في ذلك
 سلف قط لا من الصحابة ولا من التابعين ولا أحد من أئمة الدين ولا قال به
 أحد من أهل السنة . نعم حكى بعض العلماء في أبدية النار قولين وحاصل
 ذلك كله سبعة أقوال :

(أحدها) قول الخوارج والمعتزلة أن من دخل النار لا يخرج منها أبداً
 بل كل من دخلها يخلد فيها أبداً الآباد .

(الثاني) قول من يقول أن أهلها يعذبون فيها مدة ثم تنقلب عليهم وتبقى

(١) البخاري (١١٧/٦ - ٢١٨)

(٢) مخرج ص (١٨٧)

(٣) مخرج ص (١٨٨) .

طبائهم ناربه يثلذون بالنار ليوافقها لطبايهم وهذا قول محي الدين بن عربي الطائي في كتابه (فصوص الحكم) وغيره من كتبه .

(الثالث) قول من يقول إن أهل النار يمدبون فيها إلى وقت محدود ثم يخرجون منها ويخلطهم فيها قوم آخرون وهذا القول حكاه اليهود للنبي ﷺ فكذبهم فيه وقد كذبهم الله تعالى أيضاً في قوله: وَقَالُوا لَنْ نَسْتَأْذِنَكَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتُخَذُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ؟ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَاطِئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (البقرة ٨٠ - ٨١) فهذا القول إنما هو قول أعداء الله اليهود فهم شيوخ أربابه والقاتلين به وقد دل القرآن والسنة وإجماع الصحابة والتابعين وأئمة الدين على فساده .

(الرابع) قول من يقول يخرجون منها وتبقى ناراً بحالها ليس فيها أحد يعذب، ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى عن بعض أهل الفرق قال : والقرآن والسنة يردان هذا القول .

(الخامس) قول من يقول تنفى النار بنفسها لأنها حادثة كانت بعد أن لم تكن ، وماتت حدوثه استفعال بقاءه وأبديته ، وهذا قول جهم بن صفوان وشيعته ولا فرق عنده بين الجنة والنار .

(السادس) قول من يقول تنفى حياتهم وحركاتهم ويصيرون جماداً لا يتحركون ولا يحسون بألم . وهذا قول أبي الهذيل العلاف أحد أئمة المعتزلة طراداً لا متناع حوادث لانهاية لها ، والجنة والنار عنده سواء في هذا الحكم .

(السابع) قول من يقول إن الله تعالى يفتنيها لأنه ربهها وخالقها ، لأنه

تعالى على زعم أرباب هذا القول جعل لها أمداً تفنى إليه ثم تنفى
ويزول مذاها .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية . وقد نفل هذا عن طائفة من الصعابة والتابعين ،
ولشيخ الإسلام وتليفه الإمام الحق الحافظ ابن القيم رحمه الله تعالى ركون
إلى هذا القول ، وذكر ابن القيم على تأييده بضما وعشرين وجهاً ثم قال :
وما ذكرناه في هذه المسألة من صواب فن الله وهو المنان به ، وما كان من
خطأ فن ومن الشيطان والله ورسوله بريثان منه . والله عند لسان كل قائل
وقصده والله أعلم : انتهى .

وقد ألف العلامة الشيخ مرمي الكرمي الحنبلي رسالة سماها (توفيق
الفریقین علی خلود أهل الدارين) وفي الباب رسالة للسيد الإمام محمد بن اسماعيل
الأمير ، ورسالة للقاضي العلامة الجليل محمد بن علي للشوكاني حاصلها بقاء
الجنة والنار وخلود أهلها فيها ، وهو الحق الذي دلت عليه أدلة الكتاب
والسنة وإجماع الأئمة والأمة والله أعلم .

قال القرطبي : أجمع علماء أهل السنة على أن أهل النار مخلدون فيها
غير خارجين منها كإبليس وفرعون وهامان وقارون وكل من كفر وتكبر
وطغى ونجى فإن له نار جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ، وقد وعدهم الله عذاباً
أليماً قتل عز وجل : (كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا
الْعَذَابَ) وأجمع أهل السنة أيضاً على أنه لا ينهى فيها مؤمن ولا يخلد فيها
إلا كافر جاحد . فاعلمه .

وقد زل هنا بعض من ينتمى إلى العلم والعلماء : فقال إنه يخرج من النار

كل كافر ومبطل وشيطان وجاحد ويدخل الجنة وإنه جائز في العقل أن تنقطع صفة الغضب ، فيعكس عليه فيقال وكذلك جائز في العقل : أن تنقطع صفة الرحمة فيلزم عليه أن تدخل الأنبياء والأولياء النار بعدون فيها ، وهذا فاسد مردود بوعده الحق وقوله الصدق قال تعالى في حق أهل الجنة « عَطَاءٌ قَبِيرٌ مَجْدُودٌ » (هود ١٠٨) أى غير منقطع وقال « وَمَا مِمَّنْ مِنْهَا يُمْخَرَجِينَ » (الحجر ٤٨) وقال : « لَمْ أَجْزَعْهُمْ مَتْنُونٍ » (الانشقاق ٢٥) وقال : « لَمْ يَكُنْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا » (التوبة ٢١-٢٢) وقال في حق الكافرين « لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَلْجَلُ فِي سَمِّ الْخِلْيَاطِ » (الأعراف ٤٠) وقال « فَأَيُّ يَوْمٍ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْقَبُونَ » (الباقية ٣٥) وهذا واضح .

وبالجملة فلا مدخل للمقول فيمن اقتطع أصله بالإجماع والنقول . ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ، انتهى .

لعل القرطبي أراد بقوله « زل هنا بعض » الشيخ يحيى الدين بن عربي صاحب الفتوحات فإنه ذهب إلى ذلك وتبعه من تبعه من علماء الشريعة ، وبناء هذا القول على أنه ترجح في أنظارهم سبق رحمة الله على غضبه كما ورد بذلك الحديث الصحيح في البخاري وغيره وعلى أن الخلاف في الوعيد جائز وفي الوعد لا يجوز ، ولكل وجهة هو موليها ، ولكن لا ريب في أن ظاهر النظم القرآني وواضح النص السنّي : خلود كل من أهل النار والجنة في كل من الجنة والنار . وهو الحق المطابق بالأدلة الشرعية المجمع عليها المصار إليها . والله أعلم وعلمه أتم وأحكم .

• (مسئلة) • سئل شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله عن حديث روى عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال « سبعة لا تموت ولا تنفى

ولا تذوق الفناء . النار وسكانها ، الجنة وسكانها والروح والقلم والكرسى
والعرش ، فهل هذا الحديث صحيح أم لا :

فأجاب رحمه الله : هذا الحديث بهذا اللفظ ليس من كلام النبي ﷺ
وإنما هو من كلام بعض العلماء ، وقد اختلف سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل
السنة والجماعة على أن من المخلوقات ما لا يعدم ولا يفنى بالكلية كالجنة
والنار والعرش وغير ذلك ولم يقل بفناء جميع المخلوقات إلا طائفة من أهل
الكلام البعيدة كالجهنم بن صفوان ومن وافقه من المعتزلة ونحوهم وهذا قول
باطل مخالف لكتاب الله وسنة رسوله وإجماع سلف الأمة وأئمتها ، وقد دلت
الأدلة على بقاء الجنة والنار وأهلها بقاء غير ذلك ، وقد استدل طوائف
من أهل الكلام والمتفلسفة على اجتماع فناء جميع المخلوقات بأدلة عقلية . انتهى
ولا ينسج للقيام قد كرمها هنا .

﴿ باب ﴾

(في ذكر مكان النار ، وأين هي ؟ على منتهى الآثار : وكفا مكان الجنة)

فاعلم أن الجنة فوق السماء السابعة وسقفها عرش الرحمن كما قال تعالى في حكم القرآن « وَلَقَدْ رَأَوْا نَزْلَةً أُخْرَىٰ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ » النجم (١٣-١٥) وقد ثبت أن سدرة المنتهى فوق السماء السابعة : وقال تعالى : « وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ » (القاريات ٢٢) قال مجاهد هو الجنة ، ونلقاه الناس عنه رواه ابن أبي نجیح ، وفي رواية عنه : هو الجنة والنار . حكاه ابن للذر في تفسيره ^(١) .

وعن عبد الله بن سلام قال : « إن أكرم خليفة الله أبو القاسم عليه السلام وإن الجنة في السماء » أخرجه أبو نعيم ^(٢) ، وعنده أيضاً عن ابن عباس « أن الجنة في السماء السابعة » وبجعلها الله تعالى حيث شاء يوم القيامة ، وجهنم في الأرض السابعة » وعن ابن مسعود رضى الله عنه « الجنة في السماء الرابعة فإذا كان يوم القيامة جعلها الله حيث شاء والنار في الأرض السابعة فإذا كان يوم القيامة جعلها الله حيث شاء » أخرجه ابن منبه ^(٣) .

وقال مجاهد قلت لابن عباس « أين الجنة ؟ قال فوق سبع سموات ، قلت فأين النار ؟ قال تحت سبعة أبحر مطبقة » ^(٤) رواه ابن منبه ، قال الشوكاني في

(١) ذكره ابن القيم بإسناده عنه (٤٣) حادى الأرواح — ولوامع

للأنوار (٢٣٧) .

(٢) و(٣) ذكره ابن القيم بإسناده عنه (٤٤) ولوامع الأنوار للبيه (٢٣٧) .

(٤) ذكره ابن القيم بإسناده (٤٤) ولوامع الانوار (٢٣٧) .

فتح القدير : والأول الحل على ما هو الأعم من هذه الأقوال فإن جزاء الأعمال مكتوب في السماء والقدر والقضاء ينزل منها والجنة والنار فيها . انتهى (١)

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن جهنم محيط بالدينيا . وإن الجنة من وراءها فلذلك كان الصراط على جهنم طريقاً إلى الجنة » أخرجه أبو نعيم في تاريخ أصبهان (٢)

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه سئل رسول الله ﷺ من أين يجاء بجهنم يوم القيامة ؟ قال : « يجاء بها من الأرض السابعة لها سبعون ألف زمام يتعلق بكل زمام سبعون ألف ملك تصيح إلى أهلى إلى أهلى فإذا كانت من العباد على مسيرة مائة سنة زفرت زفرة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا جنى على ركبتيه يقول رب نفسي نفسي » وأخرجه جوير في تفسيره (٣)

وعن يعلى بن أمية رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « البحر هو جهنم » أخرجه أحمد والبيهقي بسند رجاله ثقات (٤) وعن سعيد بن أبي الحسين قال : « البحر طبق جهنم » أخرجه أحمد في الزهد ، وعن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) قال : ما رأيت يهودياً أصدق من فلان زعم أن نار الله الكبرى هي البحر فإذا كان يوم القيامة جمع الله فيه الشمس والقمر والنجوم ثم بث عليه الدبور فسمرته . أخرجه أبو الشيخ في المظلة والبيهقي من طريق سعيد بن (٥)

(١) فتح القدير (٨٥/٥) بنحوه ، والسياق في توضيح معنى « ما توعدون » من قوله تعالى : « وفي السماء رزقكم وما توعدون » .
 (٢) ذكر أخبار أصبهان (٩٣/٢) ، وقال ابن رجب (٤٧) : غريب منكر
 (٣) قال محققو لوامع الأنوار : بل فيهم من لم يوثق توثيقاً معتمداً (٢٣٨)
 (٤) كذا قال الهيثمي (٢٨٦/١٠) (٥) لوامع الأنوار (٢٣٨)

ومن كعب في قوله تعالى : « وَالْبَحْرُ الْمَجْجُورِ » (الطور ٦) قال البحر يسجر فيصير جهنم . أخرجه أبو الشيخ . وعن وهب بن منبه أنه قال : إذا قامت القيامة أمر بالفاق فيكشف عن سقر وهو غطاؤها فتخرج منه نار فإذا وصلت إلى البحر المطبق على سفير جهنم وهو بحر البهور نشفته أسرع من طرف العين وهو حاجز بين جهنم والأرضين السبع ، فإذا نشفت اشتعلت في الأرضين السبع فتدعها جرة واحدة . أخرجه البيهقي في شعب الإيمان .

وقيل إن النار في السماء كالجنة لما روى أحد من حديث حذيفة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « أتيت بالبراق فلم تزايل ظهره أنا وجبريل حتى أتيت بيت المقدس وفتحت لنا أبواب السماء وأتيت الجنة والنار » وأخرج أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِيَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ فِي السَّمَاءِ » وقرأ هذه الآية « وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ » (الداريات ٢٢) فكأنى لم أقرأها .

قال السفاريني : « وليس في هذا ونحوه حجة على أن النار في السماء لجواز أن يراها في الأرض وهو في السماء ، وهذا الميت يرى وهو في قبره الجنة والنار وليست الجنة في الأرض ، وثبت أنه صلى الله عليه وسلم رآها في صلاة الكسوف وهو في الأرض .

قال الحافظ ابن رجب وحديث حذيفة إن ثبت [وفيه أنه رأى الجنة والنار في السماء] فالسما ظرف للرؤية لا للدرى . وفي حديث ضعيف جداً أنه (ﷺ)

(١) قال المناوى : باسناد حسن (١٦/١) الجامع الأزهر .
(٢) نقله ابن رجب من رواية المروزي عنه ، وذكر قوله : وهو تصديق لما قاله حذيفة وعزاه للخلال في كتاب السنة ، ثم قال ابن رجب : وهذا اللفظ الذي احتج به الامام أحمد لم تقف عليه بعد في حديثه ، وانما ورد عنه ما تقدم (٤٧-٤٨) .

رأى الجنة والنار فوق السموات فلو صح حل على ما ذكرنا .

والحاصل أن الجنة فوق السماء السابعة وسقفها العرش ، وأن النار في الأرض السابعة على الصحيح المعتمد وبالله التوفيق « انتهى ^(١) .

أقول : قال السيوطي في إتمام الدراية شرح النقاية : وتمتقد أن الجنة في السماء وقيل في الأرض وقيل بالموقف حيث لا يعلمه إلا الله ، والذي اخترته هو المفهوم من سياق القرآن والحديث كقوله تعالى في قصة آدم (قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا) وفي الصحيح ^(٢) : « سَلُوا اللَّهَ الْفَرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَعْلَى الْجَنَّةِ وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ ، وَمِنْهُ تَنْفَجِرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ » وفي صحيح مسلم ^(٣) : « أَرْوَاحُ الشُّهَدَاءِ فِي حَوَاصِلِ طُيُورٍ خَضِرٍ تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ ثُمَّ تَأْوِي إِلَى قَنَادِيلٍ مُعَلَّقَةٍ بِالْعَرْشِ » وتقف عن النار أي نقول فيها بالموقف أي محلها حيث لا يعلمه إلا الله ، فلم يثبت عندى حديث اعتمده في ذلك وقيل تحت الأرض لما روى ابن عبد البر وضمه من حديث ابن عمر مرفوعاً لا يركب البحر إلا غاز أو حجاج أو معتق فإن تحت البحر ناراً . وروى عنه أيضاً موقوفاً لا يقوضاء بماء البحر لأنه طبق جهنم . وضمه ، وقيل هي على وجه الأرض لما روى وجب أيضاً قال : قال : أشرف ذو القرنين على جبل قاف فرأى تحته جبلاً صغاراً — إلى أن قال — يا قاف أخبرني عن عظمة الله فقال إن شأن ربنا لعظيم . إن ورائي أرضاً مسيرة خمسمائة عام في خمسمائة عام من جبال تلج بحطام بعضها بعضها ولولا هي لاحترفت من جهنم .

(١) ص (٢٣٩) لوامع الأنوار البهية.

(٢) لنظم مسلم : « أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل »

(٣) البخاري (٤/ ١٩ - ٢٠) وفيه : فإذا سألتهم الله فاسألوهم الفردوس فإنه

أوسط الجنة وأعلى الجنة أراه قوله عرش الرحمن .

وروى الحارث بن أسامة في مسنده عن عبد الله بن سلام قال : « الجنة في السماء والغار في الأرض » وقيل محلها في السماء . انتهى كلام السيوطي ومنه في التذكرة للقرطبي قال : فهذا يدل على أن جهنم على وجه الأرض والله أعلم بموضعها وأين هي من الأرض . انتهى .

وقال الشيخ أحمد ولي الله المحدث الدهلوي في عقيدته : ولم يصرح نص بتعيين مكانها بل حيث شاء الله تعالى إذ لا إحاطة لنا بمخلق الله وعوالمه ، انتهى .

أقول وهذا القول أرجح الأقوال وأحوطها إن شاء الله تعالى .

﴿ باب ﴾

* (في آيات من الكتاب العزيز وردت في جهنم) *

قال القرطبي في التذكرة: « ذكر الله تعالى النار في كتابه ووصفها وأخبر بها على لسان نبيه ﷺ ونفثها وأومسدها الكافرين وخوف الطفلة والمتمردين والمعصاة من الموحدين ليزجروا عما نهام ، والآي في هذا المعنى كثيرة » انتهى . وهذا الكثير أذكره في بابين فهذا الباب أوردت فيه ما ورد من ذكر النار في الكتاب ثم أتبعه بباب آخر أذكر فيه ما ورد في صفة النار وأهلها وإن كان في هذا الاختيار والترتيب بعض التكرير وبالله التوفيق .

قال تعالى: « فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْجِبَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ » . (البقرة ٢٤) الوقود بالفتح الحطب وبالضم القود وفيه دليل على عظم تلك النار وقوتها . وفي هذا من التهويل ما لا يقادر قدره من كون هذه النار تنفذ بالناس والجبارة فاوقدت بنفس ما يراد إحراقه بها ، ومعنى (أُعِدَّتْ) جمعت عدة لعذابهم وهيئت كذلك قاله ابن عباس .

وعن أنس قال تلا رسول الله ﷺ هذه الآية فقال: «^(١) وأوقد عليها ألف عام حتى احمرت وألف عام حتى ابيضت وألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة لا يطفأ لهيبها » أخرجه ابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان وأخرج

ابن أبي شيبة والترمذي وابن مردويه والبيهقي عن أبي هريرة مرفوعاً منه وأخرج أحمد ومالك والبخاري ومسلم عنه بلفظ أن رسول الله ﷺ قال (نَارُ بَنِي آدَمَ الَّتِي يُوقَدُونَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ . فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ كَانَتْ لِكَاثِبَةٍ قَالَتْ فَإِنَّهَا قَدْ فَضَلَتْ عَلَيْهَا بِسَمَةِ وَسِتِّهِ جُزْءًا كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا ^(١) .

وعن أبي هريرة قال: « ترونها حراء مثل ناركم هذه التي توقدون ، إنها لأشد سواداً من القار » قال الشوكاني في فتح القدير : والآية دللت على أنها مخلوقة إذ الأخبار عن إمدادها بلفظ الماضي دليل على وجودها وإلزام الكذب في خبر الله تعالى ، فازدحت المعتزلة من أنها تخلق يوم الجزاء مردوداً وتعلم بأنه يعبر عن المستقبل بالماضي لتحقيق الوقوع ومثله كثير في القرآن مدفوع بأنه خلاف الظاهر ولا يصار إليه إلا بقريفة والأحاديث الصحيحة المقدمة تدفعه . انتهى . وقال تعالى : « وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ » . (البقرة ٣٩) أي لا يخرجون منها ولا يموتون فيها والخلد والخلود : البقاء الدائم الذي لا ينقطع وقد يستعمل مجازاً فيما يطول : دام أو لم يدم ، والمراد هنا الأول لما تشهد له الآيات والأحاديث .

وعن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « لو قيل لأهل النار إنكم ما كثون في النار عدد كل حصاة في الدنيا لفرحوا ولو قيل لأهل الجنة إنكم ما كثون عدد كل حصاة لحزنوا ولكن جعل لهم الأبد » . أخرجه الطبراني ^(٢) وابن مردويه وأبو نعيم وقال ابن عباس يخبرهم أن التواب بالخير والشر مقيم على أهله أبداً لا إنقطاع له .

(١) - مسلم (٢١٨٤ / ٤) - البخاري (١٤٧ / ٤)

للوطأ (٦١٤) واللفظ له ما عدا : « كلهن مثل حرها » . البخاري ومسلم .

(٢) مجمع الزوائد (٣٩٦ / ١٠) قال الهيثمي : فيه الحسب بن ظهير وهو مجمع على ضعفه .

وقال تعالى : « وَقَالُوا لَنْ نَحْمَسَ النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً » (البقرة ٨٠) أى قدراً مقدراً يحصرها العدد ويلزمها في العادة القلة ثم يرفع هنا العذاب قاله اليهود ، وفي سبب نزولها في الحديث قال رسول الله ﷺ : « كذبتم بل أنتم خالدهون مخلدون فيها » ^(١) ، قاله مكرمة ، وهذه الآية في مواضع من القرآن .

وقال تعالى : « وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ » (البقرة ١١٩) وهى النار الشديدة التآجج وكل نار بعضها فوق نار ، وقال أبو مالك : الجحيم ما عظم من النار ، وقال تعالى : « وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ » (البقرة ١٢٦) ما رزقه في الدنيا مدة حياته ثم أزهله المضطر إلى عذابها .
وقال تعالى : « وَمَا مِنْ مُخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ » (البقرة ١٦٧) فيه دليل على خلود الكفار في النار وظاهر هذا التركيب يفيد الاختصاص وجمله الزمخشري للتعقوب لغرض له يرجع إلى المذهب والبحث في هذا بطول ، وعن ثابت بن معبد قال : « ما زال أهل النار يأملون الخروج منها حتى نزلت هذه الآية » .

وقال تعالى : « أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ » (البقرة ١٧٤) ذكر البطون دلالة وتأكيذاً على أن هذا الأكل حقيقة ، وقال تعالى : « فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ » (البقرة ١٧٥) معناه التذمب والمراد تعجب الخلق من حال هؤلاء الذين باثروا الأسباب الموجبة لعذاب النار فسكانهم بهذه المباشرة للأسباب صبروا على العقوبة في نار جهنم .

وقال تعالى : « وَفِينَا عَذَابُ النَّارِ » (آل عمران ١٦) وقال تعالى : « وَإِذَا

(١) أورده ابن جرير (٢٧٧/٢) عن عكرمة مرسلاً فلذلك قال الشيخ شاعر : وهو حديث مرسل لا تقوم به حجة .

(٢) الزُّدُّ : الزُّمُّ أَيَّاهُ ، وَاللَّزُّ : الشَّدَّةُ ، وَلَزَّهُ يَلْزُهُ لَزًّا وَلَزَّازًا أَيْ شَدَّةً وَالصَّقُّ . قاله في اللسان .

قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمِهَادُ » (البقرة ٢٠٦)
 أى كافية معاقبة وجزاء وسميت مهاداً لأنها مستقر الكفار ، وقيل أنها بدل
 لهم من مهلد والمهاد الفراش ، قال مجاهد : بثما مهدوا لأنفسهم ، وقال ابن عباس :
 بنس المنزل وهذا من باب التهكم والاستهزاء .

وقال تعالى : « أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ » (البقرة ٢٢١) أى إلى الأعمال
 الموجبة للنار فكان في مصاهرة المشركين ومعاشرتهم ومصاحبتهم من الخطر
 العظيم ما لا يجوز المؤمنين أن يتعرضوا له ويدخلوا فيه ، وقال تعالى :
 « وَأُولَئِكَ هُمُ وَقُودُ النَّارِ » (آل عمران ١٠) أى حطب جهنم الذى تسمر به ،
 وقال تعالى : (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْلَبُونَ وَنُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَلَيْسَ الْمِهَادُ)
 (آل عمران ١٢) الجملة مسعانة تهويلاً وتنظيماً أى بنس ما مهد لهم فيها ،
 وقال تعالى : « وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا » (آل عمران ١٠٣)
 وشفا كل شئ حرفة أى كنتم على طرفها من مات منكم وقع في النار فبهت الله
 محمداً ﷺ واستنقذكم به من تلك الحفرة .

وقال تعالى : « وَأَنْتُمْ أَلْقَاوُا النَّارَ لَقَدْ أُحْدِثَ لِلْكَافِرِينَ » (آل عمران ٣١)
 قال بعضهم إن هذه الآية أخوف آية في القرآن حيث أوعدها الله المؤمنين بالنار
 المعدة للكافرين إن لم يتقوه ويحذروا محارمه ، وقال تعالى : « وَمَا أَوْامُ النَّارِ
 وَبَيْتُ مَثْوًى لِّلظَّالِمِينَ » (آل عمران ١٥١) أى مسكنهم الذين يستقرون
 فيه وكلة « بَيْتٌ » تستعمل في جميع المذام ، وفي جعلها مثوام بعد جعلها
 « مَا أَوْام » رمز إلى خلودهم فإن المثوى مكان الإقامة الثابتة عن المسكن ،
 والمأوى السكان القوي بأوى إليه الإنسان ، وقدم المأوى على المثوى
 لأنه على الترتيب الوجودى يأوى ثم يثوى .

وقال تعالى : « وَمَا أَوَّجُهُمْ فِي النَّارِ الْمَصِيدُ » (آل عمران ١٦٢) أي المرجع

يعني للنار والمختلف عن رسول الله ﷺ : وقال تعالى : « ذُوقُوا عَذَابَ

الْخَرْبِ » والخريق اسم النار المنتبهة وإطلاق الذوق على إحساس العذاب فيه

مبالغة بليغة ، وقال تعالى : « فَمَنْ رُحِزَ مِنَ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ »

(آل عمران ١٨٥) الزحزحة التنحية والإبعاد ، وقال تعالى : « سُبْحَانَكَ

فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ . رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَبَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ

أَنْصَارٍ » (آل عمران ١٩١ - ١٩٢) قال المفضل أخزبه أهلكته . وقيل

فضحته وأبعدته ، قال سعيد بن المسيب : هذه الآية خاصة بمن لا يخرج منها .

وقال تعالى « إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا » (النساء ١٠) المراد بأكلها

ما يكون سبباً للنار ، تعبير بالسبب عن السبب ، قيل بطونهم أوعية النار وهذا

على الحقيقة كما تقدم .

وقيل بالجاز والأول أولى ، وقال تعالى « وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا » (النساء ١٠)

أي بأكلهم أموال اليتامى وللصلا هو التسخن بقرب النار أو بمباشرتها ،

والسعر الجمر المشتعل وقيل النار الموقدة ، وقال تعالى : « وَمَنْ يَتَّبِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ

وَيَعْمَلْ خَيْرًا يَدْخُلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ » (النساء ١٤) وله

بعد إدخاله النار عذاب ذو إهانة لا يعرف كنهه . ولا دليل في الآية للمعزلة

على أن المعصاة والنفاق من أهل الإيمان يخلدون في النار ، قال تعالى :

« فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا » أي عظمة يحرق فيها . وقال تعالى : « وَكَفَى بِجَهَنَّمَ

سَعِيرًا » أي ناراً مسعرة لمن لا يؤمن . وقال تعالى « سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلًّا

نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بِدَلْدَلِهِمْ جُلُودًا فَهَاهُنَا يُدْفَقُونَ » (النساء ٥٦) أي آتيناكم

مكان كل جلد محترق جلد آخر غير محترق فإن ذلك أبلغ في العذاب

لشخص لأن إحساسه لعمل النار في الجلد الذي لم يحترق أبانغ من إحساسه لعلها
في الجلد المحترق ، قال معاذ تبدل في ساعة مائة مرة .

وعن ابن مسعود أن غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعاً وقال
الحسن^(١) : نأكلهم النار في كل يوم سبعين ألف مرة ، وقال تعالى : « وَمَنْ يَقُولُ
مُؤْمِنًا مُتَمَدِّدًا يُجْرَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا » (النساء ٩٣) وليس وراء هذا التشديد
تشديد ، ولا مثل هذا الوعيد وعيد .

وقال تعالى : « وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ
سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُؤَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا » (النساء ١١٥) .

وقد استدل جماعة من أهل العلم بهذه الآية على حجية الإجماع ولا حجة
في ذلك كما قرره الشوكاني في كتبه وقررتنا في فتح البيان ، وقال تعالى : « وَأُولَئِكَ
مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا » (النساء ١٢١) أي مدلاً وقيل ملجأ ومخلصاً
ومحيداً ومهرباً ، والمحيص اسم مكان وقيل مصدر .

وقال تعالى : « أَلَمْ تَسْكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِغَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ
جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا » (النساء ٩٧) أي مكاناً بصيرون إليه ، والآية تدل على أن
من لم يتمكن من إقامة دينه في بلد كما يجب بأى سبب كان وعلم أنه يتمكن من
إقامته في غيره حقت عليه الهجرة ، وفي الباب أحاديث ذكرناها في خاتمة
كتاب (العبرة بما جاء في الغزو والشهادة والهجرة) فراجع .

وقال تعالى : « إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا » (النساء ١٤٠)
أي كما اجتمعوا في الدنيا على الكفر والاستمراء ، وقال تعالى : « إِنَّ الْمُنَافِقِينَ

(١) ذكره الألوسي (٥/٥٩) روح المعاني - تنخ البيان (٢/٣٠٢)

فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَهُمْ نَصِيرًا» (النساء ١٤٥) أى فى الطبقة الأدنى
فى قعر جهنم ، والدرك الطبقة ، والذات دركات سبع بعضها فوق بعض ،
وسميت طبقاتها دركات لأنها متدركة متتابعة .

فالناطق فى الدرك الأسفل منها وهى الهاوية لفاظ كفره وكفرة غوائله ،
وأعلى الدركات جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية وسيأتى
تفصيل لذلك ، وقد يسمى جميعها باسم الطبقة العليا ، أعادنا الله منها وقيل الدرك
بيت مقفل عليهم تفوق فيه النار من فوقهم ومن تحته .

وإنما كان المرافق أشد عذاباً من الكافر لأنه آمن السيف فى الدنيا
فاستحق الدرك الأسفل فى الآخرة تمديلاً ، ولأنه منه فى الكفر وضم
إلى كفره الاستهزاء بالإسلام وأهله ، قال ابن مسعود^(١) : الدرك الأسفل
تواييت من حديد مقفلة عليهم وفى لفظ مبهم عليهم أى مقفلة لا يهتدى
لمكان فتحها . وعن أبى هريرة نحوه^(٢) .

وقال تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ يَجْعَلْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ
طَرِيقًا إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا » (النساء ١٦٨ - ١٦٩) وللعنى
يدخلهم جهنم لكونهم ائترفوا ما يوجب لهم ذلك بسوء اختيارهم وفرط
شقائهم وجعلوا الواضح وعاندوا الدين .

وقال تعالى : « وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ »
(المائدة ٨٦) أى ملابسوها ، والجللة مستأنفة أى بها اسمية دالة على الثبوت

والاستقرار ، وهذه الآية نص قاطع في أن الخلود ليس إلا لكفار ، لأن
المصاحبة تنقض الملازمة .

وقال تعالى : « إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَبْنِيَ بِإِثْمِكَ فَنَسْكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ،
وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ » (المائدة ٢٩) أى من الملازمين لها ، قال تعالى : « يُرِيدُونَ
أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ » (المائدة ٣٧)
أى دائم ثابت لا يزول عنهم ولا يقتتل أبداً .

وقد تواترت الأحاديث تواتراً لا يخفى على من له أدنى إلمام بهلم الرواية
بأن عصاة الموحدين يخرجون من النار ، فمن أنكر هذا فليس بأهل الناظرة
لأنه أنكر ما هو من ضروريات الشريعة .

وقال تعالى : « إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ »
(المائدة ٧٢) أى مصيره إليها في الآخرة .

وقال تعالى : « وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ » (الأنعام ٢٧) أى حبسوا عليها
وقيل أدخلوها وقيل بقربها معاينتها لها ، والتقدير رأيت منظرًا هائلا وحالا
فظيما وأمرًا عجيبا .

قال تعالى : « أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَبِيمٍ وَعَذَابٌ
أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ » (الأنعام ٧٠) والحميم الماء الحار البالغ نهاية الحرارة ،
ومثل قوله تعالى : « يُصَبَّتْ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ » (الحج ١٩) وهو هنا شراب
يشربونه فيقطع أمعائهم .

وقال تعالى : « لَا مَلَأَنَّا جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ » (الأعراف ١٨) وفي هذا من
التهديد ما لا يقادر قدره ، وقال تعالى : « لَكُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِمَّا دَّ وَ مِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٌ »

(الأعراف ٤١) جمع غاشية أى نيران تحيط بهم من تحتهم ونفثاهم من فوقهم كالأفطية، قال ابن عباس: الفواش الحف، وبه قال القرطبي والضحاك والسدي^(١).
وقال تعالى: «وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أُذُنٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ» (الأعراف ١٧٩) أى اجعلهم سبحانه للنار بعدله وبعمل أهلها يعملون وقد علم ما هم عاملون قبل كونهم كما ثبت في الأحاديث الصحيحة.

ومن ابن عمر رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أن الله لما ذرأ الجهنم من ذرأ كان وه الزنا من ذرأ الجهنم» أخرجه ابن جرير وابن أبى حاتم وأبو الشيخ وابن النجار^(٢).

وعن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ خَاقٍ لِلْجَنَّةِ أَهْلًا خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ، وَخَاقٍ لِلنَّارِ أَهْلًا خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ» أخرجه مسلم^(٣).

وقال تعالى: «وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ مَذَابَ النَّارِ» (الأنفال ١٤) إشارة إلى العقاب الآجل الذى أعده الله لهم فى الآخرة، وقال تعالى: «وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُخْشَرُونَ» (الأنفال ٣٦) أى يساقون إليها لا إلى غيرها والمراد المستمرون على الكفر.

وقال تعالى: «فَيَجْعَلُهُ» أى الفريق الخبيث «فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ» (الأنفال ٣٧) أى السكاملون فى الخسران.

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢٠٧/٧) - فتح البیان (٣٣٢/٣)

(٢) تفسير الطبري (١٣١/٨) والراوى عن ابن عمرو مجهول، فلا تقوم بهذا الخبر حجة.

قال ابن الدبيع فى تمييز الطيب (١٨٣): ولد الزنا لا يدخل الجنة: بدور على الألسنة، ولم يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونص الفيروزابادى فى سفر السعادة (١٤٥): على أن هذا الباب لم يثبت فيه شيء، وهو باطل.

(٣) مسلم (٢٠٥/٤)

وقال تعالى: «وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ» (الأفعال ٥٠) أى المحرق والذوق قد يكون محسوساً وقد بوضع موضع الابتلاء والاختبار .

وقال تعالى: «أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ خَالِدُونَ» (التوبة ١٧) وفي هذه الجملة الإسمية مع نقد الظرف المتعلق بالخبر تأكيده لضمونها . وقال تعالى: «وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ رِثَةً وَلَا يَتَّبِعُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ، يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ، هَذَا مَا كُنْتُمْ لَا تَنْفِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ» (التوبة ٣٥ - ٣٦) .

والإشارة بالعذاب من باب التذكير بهم وأن النار توقده على ما ذكر من الأعضاء وهى ذات حمى وحر شديد ، وقال تعالى: «وَأَنَّ جَهَنَّمَ لَظِلَّةٌ بِالسَّكَافِرِينَ» أى مشتمة عليهم من جميع الجوانب لا يجدون عنها مخلصاً ولا يتمكنون من الخروج منها بحال من الأحوال ، وهذا وعيد لهم على ما فعلوا ، وقال تعالى: «أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِداً فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ» (التوبة ٦٣) أى بخالفهما وأصل الحادة وقوع هذا في حد وذلك في حد ، وقال تعالى: «وَعَذَابُ الْغَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارِ نَارُ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ» (التوبة ٦٨) أى نوع آخر من العذاب غير النار دائم لا ينفك عنهم كالزمهرير وللعن يعلونها مقيمين فيها مقدرين الخلود والذار كافهم جزاء وعقاباً لا يحتاجون إلى زيادة على عذابها .

وقال تعالى: «قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ» (التوبة ٨١) أى حراً كثيراً في زمن كبير بل غير متناه أبد الأبدية ودمر الدهارين ، وقال تعالى: «وَمَا أَوْامُ جَهَنَّمَ جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» (التوبة ٩٥) والمأوى كل مكان يأوى إليه ليلاً أو نهاراً .

مصدقته في كتاب الله حتى يلقى هذا الحديث قلت أين هذا في كتاب الله ؟ حتى
أثبت على هذه الآية .

وقال تعالى : « وَلَا تَزْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ » (هود ١١٣) وفيه أن
الظلمة أهل النار ومصاحبة النار ترجب لا محالة منها ، وهذا فيمن ركن إلى من
ظلم فكيف بالظالم نفسه ؟ وقال تعالى : « وَنَمَّتْ كُلُّ رُكْبَةٍ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ
الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ » (هود ١١٩) أي من يستحقها من الطائفتين .

وقال تعالى : « وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْقَابِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ » (الرعد ٥) جمع غُل بالضم وهو طوق من حديد يحمل في العنق وتشد به
اليدين إلى العنق أي يفلون بها يوم القيامة كإيقاد الأسير ذليلاً بالقل ، وقال تعالى :
« وَنُفِثَ الْكَافِرِينَ النَّارَ » (الرعد ٣٥) أي ليس لهم عاقبة ولا منتهى إلا ذلك .

قال تعالى : « مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ » (إبراهيم ١٦) أي من بعده وقيل من أمامه
« وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ » (إبراهيم ١٦) أي ما يسيل من الجلود والحموم ، وهو
دم مختلط بقيح يسيل من جلد الكافر ولحمه . وقال مجاهد ^(١) هو القيح والدم ،
وقال القرطبي هو ما يسيل من فروج الزناة يسقاه الكافر « يَقْعَرُّهُ وَلَا يَبْكَدُ
يُسْقِيهِ » (إبراهيم ١٧) أي يبقله .

وعن أبي أمامة ^(٢) عن النبي ﷺ قال : « يُقَرَّبُ إِلَى فِيهِ فَيَسْكُرُهُ فَإِذَا أُذِنَ
مِنْهُ شَرِبَ وَجْهَهُ وَوَقَفَتْ فَرْوَةُ رَأْسِهِ فَإِذَا شَرِبَهُ قَطَعَ أَمْعَاءُهُ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ دُبُرِهِ
يقول الله « وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً تَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ » (محمد ١٥) ويقول : « وَإِنْ يَسْقَهُنَّوَا

(١) نقله عنه ابن كثير (٤/٤٠٤) . فتح البيان (١٣٠/٥ - ١٣١)

(٢) الترمذي (٤/٧٠٥) وابن كثير (٤/٤٠٤) عن الإمام أحمد .
وخرجه الحاكم في المستدرک (٢/٣٥١) وصححه على شرط مسلم وأقره
الذهبي .

يُفَاثُوا بِمَاءٍ كَأَمْزَلِ بَشَوِي الْوُجُوهِ يَنْفَسُ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا (الكهف ٢٩)
أخرجه أحمد والترمذي واستغفره والنسائي وابن أبي الدنيا وأبو يعلى وابن
مردويه والبيهقي وأبو نعيم في الحلية .

« وَبِأَيِّ لَوْثٍ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ » (إبراهيم ١٧) أي من كل جهة من الجهات
الست أو من كل موضع من مواضع بدنه ، والمراد بالموت البلاء الذي يصيب
الساكن في النار سواء موتاً لشدته (وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ) حقيقة فيستريح وقيل تعلق
نفسه في حنجرته فلا يخرج من فيه فيموت ولا ترجع إلى مكانها من جوفه فيحيا ،
ومنه قوله : « ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا » (الأمل ١٣) وقيل ما هو بميت لتطول
شدائد الموت وامتداد سكراته عليه « وَمِنْ وَرَائِهِ مَذَابٌ غَلِيظٌ » (إبراهيم ١٧)
أي شديد يستقبل في كل وقت عذاباً أشد مما هو عليه ، قيل هو الخلود في النار
وقيل حبس الأنفاس .

وقال تعالى : « أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قُلُوبَهُمْ
دَارَ الْبَوَارِ جَهَنَّمَ بَصُورًا وَيَنْفَسُ الْفَرَارِ » (إبراهيم ٢٨) أي قرارهم فيها ، أو ينس
المقر جهنم ، والبوار الملاك ؛ وقال تعالى : « لَا جِزْمَ أَنْ لَمْ يَنْفَرُوا أَنَّهُمْ مُقَرَّبُونَ »
(النحل ٦٧) أي مقدمون إلى النار ، وقيل متروكون منسيون فيها ، وقيل
ممعجون إليها ، وقيل مسرفون في الذنوب ، وقرئ بكسر الراء أي مضيعون
أمر الله .

وقال تعالى : « وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ فَكَاكِرِينَ خَصِيراً » (الإسراء ٨) أي سجيناً
ومحبساً لا يخلصون منها أبداً ، وقيل فراشاً ومهاداً ، وقال تعالى : « ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ
جَهَنَّمَ يَصْلاَهَا مَذْمُومًا مَذْهُورًا » (الإسراء ١٨) أي ملوماً من الخلق مطروداً
من رحمة الله مبعداً عنها ، وقال تعالى : « وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَقْلَى فِيهِ »

جَهَنَّمَ مَطُوعًا مَدْحُورًا» (الإسراء ٣٩) ومعناه ما تقدم آتفاً، وقال تعالى: «فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا» (الإسراء ٦٣) أى وافراً مكلاً ، وقيل بإضمار تجازون.

وقال تعالى: «وَقَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرَضًا» (الكهف ١٠) أى أظهرناها حق شاهدها يوم جميعاً لهم ، وفى ذلك وعيد للـكفار عظيم لما يحصل لهم عند مشاهدتها من الفزع والروعة ، وقال تعالى: «إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِّلْكَافِرِينَ نَزُلًا» (الكهف ١٠٢) يتدفقون به عند ورودهم ، والنزل المأوى والنزل ، والمعنى أن جهنم معدة لهم كما يعد المنزل للضيف .

وقال تعالى: «ثُمَّ لَنُخَصِّرَنَّ عَنْهُمْ سُبُلَ جَهَنَّمَ جَنَّتًا» (مريم ٦٨) أى جائين على ركبهم لما يصيبهم من هول الموقف وروعة الحساب ، وقيل جنيا أى جماعات ، وقال ابن عباس قوموداً . وقال تعالى: «وَلِإِن يَنْظُرُوا إِلَىٰ أَرْدَافِهَا» (مريم ٧١) أى النار «كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا» أى أمراً محتوماً لازماً قد قضى سبحانه أنه لا بد من وقوعه لا محالة بمقتضى حكمته لا بإيجاب غيره عليه .

وقد وردت أحاديث تدل على إخراج المؤمن الموحد من النار وهى معروفة ، وقال تعالى: «وَنَسُوقُ الْفَاجِرِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرْدًا» (مريم ٨٦) أى مشاة عطاشاً ، قيل يساقون إلى النار بإهانة واستخفاف كأنهم نعم عطاش تساق إلى الماء ، وقال تعالى: «إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَخْرُجُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا» (طه ٧٤) وهذا تحقيق لكون عذابه أبى وقال تعالى: «وَمَنْ يَبْلُغْ مِنْهُمْ إِلَىٰ إِلَهِ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ» (الأنبياء ٢٩) أى الواضعين للإلهية والعباداة فى غير موضعها .

وقال تعالى: «لَا يَكْفُرُونَ مِنْ جُورِهِمْ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ» (الأنبياء ٣٩)

أى لا يقدرّون على دفعها من جانب من جوانبهم ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾ (الأنبياء ٩٨) أى وقود النار وحطبها . وكل ما أوقدت به النار أو هيبتها فهو حصب قاله الجمهورى ، وقال أبو عبيدة . كل ما قذفته فى النار فقد حصبتها به ، وقال تعالى : ﴿ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ (الحج ٩) أى عذاب النار المحرقة ، وقال تعالى ﴿ أُولَئِكَ أَشْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ أى النار الموقدة .

وقال تعالى : ﴿ أَفَأَنْبِئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ ؟ النَّارُ وَمَعَآ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَلَيْْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (الحج ٧٢) أى الموضع الذى يصبرون إليه . وقال تعالى : ﴿ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمْ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴾ (المؤمنون ١٠٣ — ١٠٤) أى محرقها ، والسكالح الذى قد شمرت شفاهه وبدت أسفانه .

ومن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فى الآية قال : تشويه النار فتقلص شفته للعليا حتى تباغ وسط رأسه وتسترخى شفته السفلى حتى تضرب سترته ، أخرجه الترمذى ^(١) ، وقال حديث حسن صحيح غريب ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَوْعَدُ النَّارُ وَلَيْْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (النور ٥٧) أى المرجع .

وقال تعالى : ﴿ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴾ الفرقان ١١ وهى النار المشتعلة ، والنار موجودة اليوم لهذه الآية ، وقال تعالى : ﴿ فَكُتِبَتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ ﴾ (النمل ٩٠) أى طرحوا عليها ، وقال تعالى ﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾ (المنكبوت ٦٨) أى مكان يستقرون فيه ، والاستفهام للقرير ، وهذه فى مواضع من القرآن .

قال تعالى: «أُولَئِكَ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ» (النار ٢١)
 أى النار المستعرة وقال تعالى: «وَأَمَّا الَّذِينَ فَتَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ» (السجدة ٢٠)
 أى منزلهم الذى يصيرون إليه؛ وقال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَكَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ
 سَعِيرًا. خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا» (الأحزاب ٦٤ - ٦٥) أى بلا انقطاع. وهذا تأكيد
 لما استفيد من «خَالِدِينَ».

وقال تعالى: «وَمَنْ يَزِغْ يَوْمَئِذٍ فَمِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نَذِغْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ» (سبا ١٧)
 قال أكثر المفسرين وذلك فى الآخرة. وقال تعالى: «وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا
 عَذَابِ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ» (سبا ٤٢) أى فى الدنيا وقال تعالى: «إِنَّمَا
 يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ» (فاطر ٣٦) أى من أهل النار، وقال
 تعالى: «وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفَ عَنْهُمْ
 مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ» (فاطر ٣٦). وقال تعالى: «هَذِهِ جَهَنَّمُ
 الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ» (يس ٦٣) أى بهانى الدنيا على السنة الرسل، وقال تعالى:
 «فَاعْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ» (الصافات ٢٣) أى عذِّبوا هؤلاء المخشورين طريق
 النار وسوفهم إليها، وقال تعالى: «فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ» (الصافات ٥٥)
 أى فى وسطها.

وقال تعالى: «ثُمَّ إِنَّ تَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ» (الصافات ٦٨) أى بعد شرب
 الخمر وأكل الزقوم. وقال تعالى: «قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ»^(١)
 (الصافات ٩٧). أى النار شديدة الانتقاد، وقال تعالى: «إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ
 الْجَحِيمِ» (الصافات ١٦٣) أى من أهل النار، والصلى الدخول، وقال تعالى

(٥١) المراد به نار الدنيا، وهو جزء من نار الآخرة. ١. ممن الأصل.

«وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَنُفَرَّ مَا بَ ، جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيَنْسُو الْوَادِ» (ص ٥٥ - ٥٦) أى
 الفرائس ، وقال تعالى : «لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَتَّبِعُ» (ص ٨٥)
 أى من ذرية آدم ، وقال تعالى : «قُلْ تَتَمَتَّعُ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»
 (الزمر ٨) أى مصيرك إليها عن قريب وإنك ملازمها ومعدود من أهلها على
 الدوام ، وهو تمليل لفظة التمتع ، وفيه من التهديد أمر عظيم .

وقال تعالى : «أَأَنْتَ تَنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ» (الزمر ١٩) أى حققت عليه كلمة
 العذاب .

وقال تعالى : «أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ» (الزمر ٦٠) يعنى مقراً
 ومقاماً ، والكبر هو بطر الحق وغط الناس كما فى الحديث الصحيح .

وقال تعالى : «وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ
 النَّارِ» (غافر ٦) أى لأجل أنهم مستحقون للنار ، وقال تعالى : «وَقَوْمٌ كَذَبَ
 الْجَعِيمِ» (غافر ٧) أى احفظهم منه واجعل بينهم وبينه الوقاية ، وقال تعالى :
 «وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ» (غافر ٤٣) أى المتكبرين من معاصي الله ،
 وقيل للسفاكون للدماء بغير حقها ، وقيل الجبارون المتكبرون ، وقال تعالى
 «إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ» (غافر ٦٠) أى
 ذليلين صاغرين ، وهذا وعيد شديد لمن استكبر عن دعاء الله ، قال تعالى :
 «ثُمَّ فِي النَّارٍ يُسْجَرُونَ» (غافر ٧٢) أى توقد بهم النار أو تملأ بهم .

وقال تعالى : «أَدْخُلُوا أَبْوََابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَيَنْسُو الْمُتَكَبِّرِينَ» (غافر ٧٦)
 وتقدم نحو هذه الآية ، وقال تعالى «ذَلِكَ جَزَاءُ الَّذِينَ أَلْفُوا النَّارَ لَهُمْ فِيهَا دَارُ
 الْمُغْلَى» (فصلت ٢٨) أى دار الإقامة التي لا انقطاع لها ولا انتقال عنها ، وقال
 تعالى : «أَفَنُ بَلَّغْنَا فِي النَّارِ خَيْرًا مِّنْ بَلَّغْنَا آيَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ» (فصلت ٤٥)

الاستفهام لتقريبه ، والفرض منه التنبيه على أن الملعدين في الآيات يلقون في النار . وقال تعالى : « إِنَّ الْجَحِيمَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ » (الزخرف ٧٤) أى أهل الإجرام الكفرية وقال تعالى : « أَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا » (الفتح ٦) وقد تقدم نحو هذه الآية .

وقال تعالى : « إِنَّا أَعَدَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَمِيرًا » (الفتح ١٣) أى النار الشديدة الحر .

وقال تعالى : « يَوْمَ يَدْعُونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَا » (الطور ١٣) الدَّعِ الدَّعِ بمنف وجفوة ، قال مقاتل نزل أيديهم إلى أعناقهم ونجم نواصبهم إلى أقدامهم ثم يدعون إلى جهنم دعاء على وجوههم ، وقال تعالى : « مَا أَوْكَاكُمْ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ » (الحديد ١٥) أى أولى بكم وقيل هي ناصركم على طريقة قول الشاعر * تحية بينهم ضرب وجميع .

وقال تعالى : « حَسِبُهُمْ جَهَنَّمَ بَصُلُوتَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ » (المجادلة ٨) تقدم نحو هذه الآية ، وقال تعالى « وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ » (الحشر ٣) أى وإن نجوا من عذاب الدنيا ، وقال تعالى « فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا » (١) وقال تعالى : « وَأَعَدَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ » الملك ٦ .

وقال تعالى : « أَفَرَأَوْا أَفَادْخُلُوا نَارًا » (نوح ٢٥) وهى نار الآخرة ، وهذا من التعمير عن المستقبل بالماضى لتحقيق وقوعه ، ومثله قوله : « النَّارُ بُعْرُصُونَ عَلَيْهَا عُدُّوا وَعَشِيَا » (غافر ٤٦) وقال تعالى : « وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا » (الجن ١٥) فيه دليل على أن الجحى لكافر يعذب في النار .

وقال تعالى : « وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا » . (الجن ٢٣) وقال تعالى : « إِنَّا أَعَدَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سُلَاسِلَ وَأَعْلَالًا وَسَمِيرًا » (الإنسان ٤)

وقال تعالى: «وَبَرَزَتِ الْجَحِيمُ مِنْ بَرَى» (النازعات ٣٦) أى أظهرت النار المحرقة إظهاراً أبيضاً مكشوقاً لا يخنق على أحد قال مقاتل: كشف عنها الغطاء لينظر إليها الخلق والظاهر أنها تبرز لكل راجٍ.

وقال تعالى: «وَإِذَا الْجَحِيمُ سُقِرَتْ» (التكوير ١٢) أى أجبث وأوقدت لأعداء الله إيقاداً شديداً أو زيد في إحماها.

وقال تعالى: «إِنَّ النَّجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ» (الانفطار ١٤) أى نار «يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ وَمَعَهُمْ عَنْهَا بِمَائِينَ» (الانفطار ١٦) وقال تعالى: «إِنَّ كِتَابَ النَّجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ كِتَابٌ مَرْفُومٌ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ» (الطائفين ٧-١٠) وفي تفسير «سِجِّين» أقوال ذكرناها في تفسير فتح البيان^(١) وأولاهما ما قدس به سبحانه في هذه الآية.

وقال تعالى: «وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى» (الأهل ١١-١٢) أى العظيمة الفظيعة لأنها أشد حراً من غيرها وهى نار جهنم والنار للصغرى نار الدنيا وقال الزجاج: هى السفلى من أطباق النار وقيل: أن فى الآخرة نيراناً ودركات متفاضلة فكما أن الكافر أشقى العصاة فكذا يصلى أعظم النيران.

وقال تعالى: «وَجِئَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى» (التجوير ٢٣) قال الواحدى قال المفسرون جِئَ بها يوم القيامة مزمومة بسبعين ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يحرونها حتى تنصب عن يسار العرش فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا جثلاً ركبيه يقول يارب نفسى نفسى.

قلت وهذا الذى نقله قد أنى مرفوعاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما

تقدم فى الباب .

وقال تعالى: « عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ » (البقرة ٢٠) أى مطبقة ومغلقة الأبواب .

وقال تعالى: « سَنَدْعُو الزَّبَانِيَةَ » (العلق ١٨) أى الملائكة للفلاظ الشداد وهم خزنة جهنم قاله الزجاج: وقال قتادة: هم الشرط في كلام العرب ، وقال تعالى: « نَارٌ حَامِيَةٌ » (القارعة ١١) أى قد انتهى حرها وبلغ في الشدة إلى الغاية .

وقال تعالى: « أَتَرَوْنَ الْجَبْعِيمَ . ثُمَّ لَتَرَوْهَا بِعَيْنِ الْيَتِيمِ » (الفكاثر ٦ - ٧) أى الرؤية التي هي نفس اليقين .

* * *

﴿ باب ﴾

* (في آيات كريمة وردت في صفة النار وأهلها) *

قال تعالى : « بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ » (البقرة ٨١) المراد بالسبيئة هنا الجنس ولا بد أن يكون سببها محيطاً به من جميع جوانبه فلا تبقى له حسنة ، رسدت عليه مسالك النجاة ، والخلود في النار هو الكفار والمشركون فيتمين تفسيد السبيئة والخطيئة في هذه الآية بالكفر والشرك ، وبهذا يبطل تشبث المعتزلة والخوارج ، لما ثبت في السنة توازراً من خروج عصاة الموحدين من النار ، قال الحسن كل ما وعد الله عليه النار فهو الخطيئة .

وقال تعالى : « وَلَا تَسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ » (البقرة ١١٩) أى عن حالهم التي تسكون لهم في القيامة فإنها شنيعة ، ولا يمكنك في هذه الدار الاطلاع عليها . وهذا فيه تخويف لهم ونسابة له صلى الله عليه وسلم ، وعن محمد بن كعب القرظي قال : قال رسول الله ﷺ ليت شعري ما فعل أبواي ؟ فنزلت هذه الآية . أخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر ، قال السيوطي هذا مرسل ضعيف الإسناد ثم رواه من داود بن عاصم مرفوعاً وقال هو معضل الاسناد لا تقوم به الحجة ولا بالبدى قبله ^(١) .

قلت : وأخبار إسلام أبوي النبي ﷺ أضعف من ذلك .

وقال تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْقَضُونَ » (البقرة ١٦١-١٦٢) وإسناد دل به على جواز لمن الكفار على المموم ، قال القرطبي ولا خلاف في

ذلك قال ابن العربي أن لمن العاصي للدين لا يجوز باتفاق ، وقال تعالى : « وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الظَّالِمُونَ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ » (البقرة ٢٥٧) .

وقال تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُفْنِيَ عَنْهُمْ أَسْوَأَ أَلْوَانِهِمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ » (آل عمران ١٠) . وقال تعالى : « فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ » (آل عمران ١٠٦) قيل هم أهل الكتاب وقيل للمرتدون وقيل للمتبدعون وقيل الكافرون فيلقون في النار وقيل هم المنافقون .

وقال تعالى : « وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ » . (آل عمران ١٣١) فيه أنه يكفر من استحل الربا وهذه الآية أخوف آية في القرآن حيث أوعده الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين ، إن لم يتقوه ويحذروا محارمه ، وقال تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا » . (النساء ١٠) .

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يبعث الله عز وجل يوم القيامة قوماً من قبورهم تتأجج أفاعهم نارا . فقيل يا رسول الله من هم ؟ قال ألم تر أن الله يقول الآية . أخرجه ابن أبي شيبة وأبو يعلى والطبراني ^(١) وابن حبان في صحيحه وابن أبي حاتم .

وعن أبي سعيد الخدري قال : حدثنا النبي صلى الله عليه وسلم عن ليلة أسرى به قال : نظرت فإذا بقوم لهم مشافر كشافر الإبل وقد وكل بهم من يأخذ بمشافرهم ثم يجعل في أفواههم صخرا من نار فيقذف في آحدهم حتى

(١) مجمع الزوائد (٢/٧) ونال : وفيه زياد بن المنذر وهو كذاب .

يخرج من أسافلهم ولهم خوار وعصاخ فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً، الآية. أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم.^(١)
وقال تعالى: «وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ». (النساء ١٤) والآية في قصة اللوارث فإذا لم يرث فيها لقسمه الله وتعدى حده كفر إذا لم يتب.

وقال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ». (النساء ٥٦) أى كلما احترقت جلودهم أعطيناهم مكان كل جلد محترق جلوداً آخر غير محترق، فإن ذلك أبلغ في العذاب للشخص، وقيل المراد بالجلود السراويل، ولا موجب لترك المعنى الحقيقي هنا قال ابن عمر: يبدلون جلوداً بيضاء أمثال القراطيس وتقدم ذكر هذه الآية في الباب السابق.

وقال تعالى: «وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَالَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِلَاآتِ رَبِّنَا وَنَسْكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، بَلْ بَدَأْتُمْ مَا كَانُوا يَحْنُونَ مِنْ قَبْلُ — إلى قوله — فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ». (الأنعام ٢٧ — ٣٠)
«قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَقَّ إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ».

وقال تعالى: «كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا آذَرُكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُحْرَامٌ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَأْتِيهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِنَ النَّارِ، قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ». (الأعراف ٣٨) قال السدي يلعن المشركون المشركين واليهود اليهود والنصارى النصارى والصابئون الصابئين، والجوس الجوس، نلعن الآخرة الأولى ولكل طائفة منهم ضعف من العذاب. أما القادة

(١) ولا تقوم به حجة، لأن في أسناده أبا هارون العبدى، وهو ضعيف، وقيل: كذاب أفاده الشيخ شاکر (٢٧/٨) تفسير الطبرى.

فیکفرم ونضلیلهم ، وأما الأتباع فیکفرم وتقلیدم ، قاله الکرخی .

وقال تعالى « وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذْنُ مُؤَذِّنٌ يَبْهَثُ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ، الَّذِينَ يَصُودُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ » . (الأعراف ۴۴ - ۴۵) وهذه المناداة لم تكن لقصد الأخبار لهم بما نادوهم به بل لقصد تبكيتهم وإيقاع الحسرة في قلوبهم ، عن ابن عمر أن النبي ﷺ لما وقف على قلب بدر تلا هذه الآية أخرجه ابن أبي شبة وأبو الشيخ وابن مردويه (۱) .

وقال تعالى « وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ . الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنَسَامُ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ » . (الأعراف ۵۰ - ۵۱) .

قال ابن عباس بنادى الرجل أخاه فيقول يا أخى أغنى فإنى قد احترقت فأفيض على من الماء فيقال أجبه فيقول « إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ » ومعنى نسام نتركهم في النار ، قال مجاهد نؤخرهم جميعاً عطاشاً وقيل فعل بهم فعل النامى بالنسي من عدم الاعتناء بهم وتركهم في النار تركاً كلياً . قال ابن عباس نسيهم من الخلد ولم ينسهم من الشر ، وسى جزاء نسيانهم بالنسيان مجازاً لأن الله لا ينسى شيئاً .

وقال تعالى « وَلَوْ تَرَى إِذْ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا الْفَلَاسِكَةُ بَضْرِبُونِ

(۱) اورده الیہی بنحوہ ، وقال : رواہ الطبرانی ، ورجاله رجال الصحیح (۶۱/۶)

وَجُوهَهُمْ وَأَذْبَارُهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ » (الأنفال ٥٠) أى جمعة
 الأمام وجهة الخلف يعنى أستاذهم ، كنى عنها بالأذبار ، وقيل ظهورهم بمقام
 من حديد وهذا نص فى أن ملائكة الموت عند قبضها الروح للكافر تضربه
 بما ذكر وتقول له ما ذكر ، وإن كنا محجوبين عن رؤية ذلك وسماعه ،
 واختلقوا فى وقت هذا الضرب ، فقيل يكون عند الموت تضربهم بسياط من
 نار ، وقيل هو يوم القيامة حين يسرون بهم إلى النار .

وقال ابن جريج يريد ما أقبل من أجساد وأدبر .

وقال تعالى « يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ
 وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ لَا تُفْسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ » (التوبة ٣٥)
 أى النار توقد عليها وهى ذات حمى وحر شديد ، وخص الثلاثة لأن العالم
 بكيها أشد لما فى داخلها من الأعضاء الشريفة ، وقيل ليهكون الكلى إلى الجهات
 الأربع ، من قدام وخلف وعن يمين ويسار ، وقيل لأن الجلال فى الوجه والقوة
 فى الظهر والجنين ، والإنسان إنما يطلب المال للقوة والجمال ، وقيل غير ذلك
 مما لا يحل من تكلف وبعد .

وقال تعالى « وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ »
 مَا لَمْ يَمْنَحِ اللَّهُ مِنْ نَاصِيَةٍ كَانُوا ظَالِمِينَ كَانُوا أَغْشِيَتْ وَجُوهَهُمْ قِطْعًا مِنَ الْعِلِّ مُظِلًّا أُولَئِكَ
 أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ » (نوس ٢٧) المراد بالسيئة إما الشرك أو المعاصى
 والرهق الغشيان . والدة الخزى والموان ، والقطع بفتح اللطاء جمع قطعة أى
 طائفة من الليل ، فقيل ظلمة آخر الليل وقال الأخفش سواد الليل .

وإطلاق الخلود هنا مقيد بما تواتر فى السنة من خروج عصاة الموحدين .

وقال تعالى « يَبْقَى قَوْمٌ » أى فرعون « يَوْمَ الْقِيَامَةِ » أى يصير متقدماً سابقاً لهم إلى عذاب النار ، كما كان يتقدمهم فى الدنيا « فَأُورِدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمُورَدُ » (هود ٩٨) أى المدخول فيها وهو النار « وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنًا » ، أى طرداً وإبعاداً من الأمم بعدهم « وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرَّفْدُ الْمُرْفُودُ » (هود ٩٩) أى العون المعان ، أو المعطاء المعطى .

وقال تعالى « فَأَمَّا الَّذِينَ شَفَعُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ » (هود ١٠٦ - ١٠٧) قال الزجاج : الزفير من شدة الأنين وهو المرتفع جداً .

قال وزعم أهل اللغة من البصريين والكوفيين أن الزفير بمنزلة ابتداء صوت الحيز ، والشهيق آخره ، وقيل الزفير للحمار والشهيق للبغل ، وقيل الزفير الصوت الشديد والشهيق للصوت الضعيف ، وقيل الزفير لإخراج النفس والشهيق ردها ، وقيل الزفير من الصدر والشهيق من الحلق . وقيل الزفير ترديد النفس فى الصدر من شدة الخوف حتى تنتفخ منه الأصلاع ، والشهيق النفس الطويل الممتد أو رد النفس إلى الصدر ، ولراد بهما الدلالة على شدة كربهم وغمهم وتشبيه حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه .

وقال الأبيث : الزفير أن يملأ الرجل صدره حال كونه فى الغم الشديد من النفس ويخرجه ، والشهيق أن يخرج ذلك النفس ، وهو قريب من قولهم تنفس الصعداء .

واختلف أهل العلم فى معنى هذا التوقيف والاستثناء اختلافاً شديداً ، لأنه قد علم بالأدلة القطعية تأييد عذاب الكفار فى النار وعدم انقطاعه عنهم ،

والكلام على ذلك يطول جداً ، فارجع إلى تفسيرنا فتح البيان (١) ففيه ما يشفي
وبكفي لفهم هذا المقام .

وقال تعالى « وَتَرَى الْجُرُمِينَ يَوْمِئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ سَرَابِطُهُمْ مِنْ
قَطِرَانٍ وَتَشْأَى وُجُوهُهُمْ النَّارُ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ
الْحِسَابِ » (إبراهيم ٤٩ - ٥٠) المراد بالجرمين الشركون . ومعنى مقترنين
مشدودين يجعل بعضهم مقروناً مع بعض أى بحسب مشاركتهم في العقائد ،
أو قرنوا مع الشياطين أو جعلت أيديهم مقرونة إلى أرجلهم ، والقرن من
جمع في القرن ، وهو الحبل الذي يربط ، والأصفاة الأغلال والقيود ، قاله قتادة .

وقال ابن عباس الكبول ، وعنه يقول في وثاق . وقال سعيد بن جبير
السلاسل والسراويل القصص ، قال السدي ، وعن ابن زيد مثله واحدها سراويل
والمعنى قصصهم من قطران يطلى به جلودهم حتى يعود ذلك الطلاء كالسراويل ،
وخص القطران لسرعة اشتعال النار فيه ولذعه مع نتن رائحته ووحشة لونه .
وقال جماعة : هو النحاس المذاب ، وبه قال عمرو وابن عباس ، قال عكرمة :
هذا القطران يطلى به حتى يشتمل ناراً ، وقال سعيد بن جبير القطران : الصفر ،
والآن الحار ، وعكرمة نحوه .

والقطران فيه لذات ، وهو ما يستخرج من الشجر فيطبخ ، يطلى به الإبل
ليذهب جربها لحدته ، وقيل هو دهن ينحلب من شجر الإبل والعرعر والقوت
كالزفت تدهن به الإبل إذا جربت وهو الحناء ، ولو أراد الله المبالغة في إحراقهم
بغير ذلك لقدر ، ولكنه حذرهم بما يعرفون .

وعن أبي مالك الأشعمري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : النَّارُ تَنْبُتُ قَبْلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا يَرْبَالٌ مِنْ قَطْرَانٍ وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ^(١) وَغَيْرُهُ .

ومعنى (تَنْبُتُ) تنمو أى تضرب النار الوجوه وتخلها ، وقلوبهم أيضاً ، وخص الوجوه لأنها أشرف ما فى البدن ، وفيها الحواس المدركة أعاذنا الله منها .

وقال تعالى : « وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جِزٌّ مَّقْسُومٌ » (الحجر ٤٣ - ٤٤) أى موعدهم النار فهم يدخلون من أبوابها ، وإنما كانت سبعة لكثرة أهلها ولكل باب من الأنواع الفواء نصيب وقد مر معلوم متميز عن غيره ، والجزء بعض الشيء ، والمراد به هذا الحزب والطائفة والفريق ، وقيل المراد بالأبواب الأطباق طبق فوق طبق .

قال ابن جريج : النار سبع دركات ، وهى جهنم ثم اعلى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ، فأعلاها للموحدين والثانية لليهود والثالثة للنصارى والرابعة للصائبين والخامسة للمجوس والسادسة للمشركين والسابعة للمنافقين ، فجهم اعلى الطبقات ثم ما بعدها تحتها ثم كذلك .

والمعنى أن الله تعالى يجرى أتباع إبليس سبعة أجزاء ، فيدخل كل جزء وقسم دركة من النار ، والسبب فيه أن مراتب الكفر والمعاصى مختلفة فلذلك اختلفت مراتبهم فى النار ، قال الخطيب : تخصيص هذا العدد لأن أهلها سبع

فرق ، وقيل جمعت سبعة على وفق الأعضاء السبعة من العين والأذن واللسان واللبطن والفرج واليد والرجل لأنها مصادر السيئات ، فكانت مواردها الأبواب السبعة . ولما كانت هي بعينها مصادر الحسنات بشرط النية والنية من أعمال القلب زادت الأعضاء واحداً ، فجعلت أبواب الجنة ثمانية . ١ . هـ

أقول : الحكمة في تخصيص هذا العدد لا تنحصر فيما ذكره بل الأولى تفويضها إلى جامعها سبعة وهو الله سبحانه ، إلا أن يرد به خبر صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجب المصير إليه .

عن علي قال : « أطباق جهنم سبعة بعضها فوق بعض : فيملاً الأول ثم الثاني ثم الثالث حتى تملأ كلها » ، وعن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « لجهنم سبعة أبواب : بابٌ منها لمن سَلَ السَّيْفَ هَلَى أُمِّي » أخرجه البخاري في تاريخه والترمذي ^(١) واستغفريه . وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ في الآية : جزء أشركوا بالله وجزء شكوا في الله وجزء غفلوا عن الله » أخرجه ابن مردويه والخطيب في تاريخه ^(٢) .

وقد وردت في صفة النار وأحوالها أحاديث وآثار كثيرة تأتي في محلهما .

وقال تعالى « فَادْخُلُوا أَبْوابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبَلِيسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ » (النحل ٢٩) يقال لم ذلك عند الموت ، وقد تقدم ذكر الأبواب ، وأن جهنم دركات

(١) الترمذي (٢٩٧/٥) وقال : غريب لا نمره إلا من حديث مالك بن مغول قال القرطبي (٣٨٣) : مالك بن مغول أبو عبد الله البحرى البصوفى إمام ثقة خرج له البخاري ومسلم والأئمة .

(٢) عزاء القرطبي (٣٨٤) للحلي شاكاً في ثبوته . ولا تقوم به حجة ، وراجع الكلام عليه (١١٣) .

بعضها فوق بعض، أى ليدخل كل صنف فى الطبقة التى هو مودع بها . وإنما قيل لهم ذلك لأنه أعظم من الخزى والنم ، وفيه دليل على أن الكفار بعضهم أشد عذاباً من بعض ، والمراد تسكيرهم من الإيمان والعبادة كافى قوله تعالى « إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ » (الصافات ٣٥) وقال تعالى « وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ تُحْيَا وَبُكْمًا وَهُمْ مَأْوَاهُ جَهَنَّمَ كُلًّا خَبِثَ لَدْنَاهُمْ حَمِيمًا ، ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا » (الإسراء ٩٧ ، ٩٨) وهذا الحشر فيه الوجهان للمفسرين :

(الأول) إنه عبارة عن الإسراع بهم إلى جهنم .

(الثانى) إنهم يستحيون يوم القيامة على وجوههم حقيقة كما يفعل فى الدنيا بمن يُبالغ فى إهانة وتعذيبه . وهذا هو الصحيح لقوله سبحانه « يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِِهِمْ » (القمر ٤٨) .

ولما صح فى السنة عن أنس رضى الله عنه قال : قيل يا رسول الله كيف يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى وُجُوهِِهِمْ ؟ قَالَ : الَّذِي أَسْأَمَ عَلَى أَرْجَلَيْهِ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُشَبِّهَهُمْ عَلَى وُجُوهِِهِمْ ، أخرجه البخارى ومسلم وغيرهما .

ومن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَصْنَافٍ : صِنْفٍ مُشَاةٍ وَصِنْفٍ رُكْبَانًا ، وَصِنْفٍ عَلَى وُجُوهِِهِمْ » قيل يا رسول الله كيف يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِِهِمْ ؟ قَالَ « إِنْ الْقَدَى أَسْأَمَ عَلَى أَقْدَامِهِمْ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُشَبِّهَهُمْ عَلَى وُجُوهِِهِمْ ؟ أَمَا إِنَّهُمْ يَتَّقُونَ

يُوجُوهُمْ كُلَّ حَدَبٍ وَشَوْكٍ » أخرجه أبو داود والترمذي وحسنه البيهقي ،
والحدب : ما ارتفع الأرض .

وفي الباب أحاديث ، والأعمى الذي لا يبصر ، والأبكم الذي لا ينطق ،
والأصم الذي لا يسمع ، أي هذه هيئة يعمنون عليها في أقبح صورة وأشنع
منظر ، قد جمع الله لهم بين عمى البصر وعدم النطق وعدم السمع ، مع كونهم
مسحوبين على وجوههم . وقد أثبت الله تعالى لهم الرؤية والكلام والسمع
في قوله « وَرَأَى الْجَزْمُونَ النَّارَ » وقوله « دَعَوْا هَٰذَا ثُبُورًا »
(الفرقان ١٣)

وقوله « سَمِعُوا لَهَا تَفِيظًا وَزَفِيرًا » (الفرقان ١٢) فالتمس هنا جميعاً
لا يبصرون ما يسرهم ، كما لا ينطقون بحجة ، مما لا يسمعون ما يذكّرهم ،
وقيل هذا حين يقال لهم « اخْسَأُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ » ، وقيل يحشرون على
ما وصفهم ثم يعاد إليهم هذه الأشياء بعد ذلك ، ثم من وراء ذلك المسكن الذين
يأوون إليه كما سكن لهب النار بأن أكلت جلودهم ولحومهم زادهم الله تسمرًا
وهو التلهب والتوقد أي فتعود ملتهبة ومسكرة فإنهم لما كذبوا بالإعادة
بعد الإقناء جزاهم الله بأن لا يزالوا على الإعادة والإقناء .

وقد قيل في خبوء النار تخفيفاً لمذاب أهلها فكيف يجمع بينه وبين قوله
« لَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ » وأجيب بأن المراد بعدم التخفيف أنه لا يتخلل زمان
محسوس بين الخبوء والتسمر ، وقيل أنها تنجو من غير تخفيف عنهم من عذابهم ،
وقيل ضعفت وهذات من غير أن يوجد نقصان في إبلاهم لأن الله تعالى لا يفتّر
عنهم . وقيل معناه أرادت أن تنجو ، وقيل نضحت جلودهم واسترقت وأعيدوا

إلى ما كانوا عليه وزيد في سمر النار لتعرقهم أعاذنا الله تعالى منها .

وقال تعالى : « إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سَرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ، بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا » .
(الكهف ٢٩) السرادق الذي يمد فوق محن الدار وكل بيت من كرسف
أى قطن فهو سرادق فارسي معرب ، يقال بيت مسردق ، وقال ابن الأعرابي
سرادقها سورها . وقال القتيبي : السرادق : الحجرة التي تكون حول
الفسطاط .

والمعنى أنه أحاط بالكفار سرادق النار على تشبيه ما يحيط بهم من النار
بالسرادق المحيط بمن فيه ، قال ابن عباس حائط من نار ، وعن أبي سعيد
الخدري رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لِسَرَادِقِ النَّارِ أَرْبَعَةٌ
جُدُرٌ كَثِيفٌ كُلُّ جِدَارٍ مِثْلُ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ سَنَةً » أخرجه أحمد والترمذي^(١)
والحاكم وصححه وغيرهم .

ومن يعلى ابن أمية قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إِنَّ الْبَحْرَ
هُوَ جَهَنَّمُ ثُمَّ تَلَا « نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سَرَادِقُهَا » (الكهف ٢٩) أخرجه
أحمد مطولا ورجاله ثقات . قاله في مجمع الزوائد^(٢) ورواه البخاري والحاكم وصححه^(٣) .
(*) واقره الذهبي (٥٩٦/٤) ، وقال الحاكم : ومعناه ان البحر صعب
كانه جهنم .

(١) الترمذي (٧٠٦/٤) وقاله : « لا نعرفه إلا من حديث رشدين بن سعد ،
ورعدين قد تكلم فيه .

(٢) مجمع الزوائد ٣٨٦/١٠ وسياقه يدل على أن الضيف في « تلا » يرجع
إلى يعلى فتح البيان (٤٤٨/٥) . (٣) في تاريخه . كما في الدر المنثور (٢٢٠/٤) .

وإن يطلبوا الإنقاذ من شدة المعاش يُفربوا ويُغذَّبوا بالحديد للذاب وهو المهل ، قال الزجاج إنهم يغاثون بماء كالرصاص للذاب والصفر ، وقيل هو دردى الزيت أى ما بقى فى أسفل الإناء ووجه الشبه وجود النخن والرداءة فى كل منهما ، وقال أبو عبيدة والأخفش : كل ما أذيب من جواهر الأرض من حديد ورصاص ونحاس ، وقيل هو ضرب من القطران .

وعن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «كَمَكِرَ الزَّيْتُ فَإِذَا قُرِبَ إِلَيْهِ سَقَطَتْ فَرْوَةٌ وَجِبْهَةٌ فِيهِ» أخرجه أحمد وأبو داود وأبو يعلى وابن جرير وابن حبان والبيهقى فى البعث . وعن ابن عباس قال : ماء غليظ كدردى الزيت ، وعن ابن مسعود أنه سُئِلَ عن المهل فدعا بذهب أو فضة فأذابها فلما ذاب قال هذا أشبه شئاً بالمهل الذى هو شراب أهل النار ولونه لون السماء غير أن شرابهم أشد حراً من هذا^(١) .

وعن ابن عمر هل تدرون ما المهل ؟ هو مهل الزيت يعنى آخره وأنه إذا قدم إليهم صارت وجوههم مشوية لحرارته ، وللشئ الإنضاج بالنار من غير إحراق ، وقوله (مُرْتَفَقًا) أى متكاماً ، وقيل مجلساً ومنزلاً ، وقيل مجتمعة وبه قال مجاهد .

وقال تعالى : « وَرَأَى الْجُرُثُ مَوْنَ النَّارِ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا » (الكهف ٥٣) أى عاينوها من مسيرة أربعين عاماً وأبقنوا أنهم داخلون وواقعون فيها والمواقعة المخالطة بالوقوع فيها . وقيل إن الكفار يرون النار من مكان بعيد فيظنون ذلك ظناً ولم يجدوا عنها معدلاً يبدلون إليه

(١) وخرجه الحاكم فى المستدرک (٦٠٤/٤) وصححه وافقه الذهبى .

(٢) فتح البيان (٤٤٩/٥) .

أو انصرافاً لأن النار قد أحاطت بهم من كل جانب ، وقيل ملجأً ياجئون إليه ، والمعنى متقارب^(١) .

وقال تعالى : وَنُفِخَ فِي الصُّورِ نَجْمًا مَّجْمُومًا . وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا . الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْمَعُونَ سَمًّا أَخْسَبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ ؟ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا . قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا . الَّذِينَ ضَلَّ سَبِيلُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسِبُونَ أَنَّهُمْ مُبْسَبُونَ صَعْمًا . أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا يَقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا . ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَتَآخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا (الكهف ٩٩ - ١٠٦) .

الصور القرن والنفخ فيه البعث . وهي النفخة الثانية ويكون جمع الخلائق بعد ثلاثي أبدانهم ، ومصيرها تراباً ويكون جمداً تاماً على كل صفة وأبداع هيئة وأعجب أسلوب في صعيد واحد^(٢) وفي مرض جهنم لهم وعيد عظيم لما يحصل معهم عند مشاهدتها من الفزع والروعة والغطاء والفضاء والفساد والستر وهو ما غطي الشيء وستره من جميع الجوانب ، والمراد بالذكر الآيات وكانوا لا يقدرّون على الاستماع لما فيه الحق من كلام الله وكلام رسوله لغلابة الشقاوة عليهم ولشدة عداوتهم لها والحسبان الظن ، والنزل الذي يعد للضيف وفيه نهكم بهم كقوله : فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ^(٣) .

قال ابن الأعرابي : تقول العرب ما لفلان عندنا وزن أى قدر خلسته

(١) فتح البيلن (٥/٤٦٧ - ٤٦٨) .

(٢) فتح البيان (٥/٥٠٨) .

(٣) فتح البيان (٥/٥٠٨ - ٥٠٩) .

وبوصف الرجل بأنه لا وزن له خلفته وسرعة طيشه وقلة ثباته . والمعنى أنهم لا يعتقد بهم ولا يكون لهم عند الله منزلة وقدر ^(١) .

عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلَ السَّمِينُ الْعَظِيمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُوزَنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ » وَقَالَ : أَقْرَأُوا « فَلَا يُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا » أخرجه البخارى ومسلم ^(٢) .

وقال تعالى : « قَوِّزَ بَكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُخْفِرَنََّّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًا . ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَنتَدَّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًا . ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًا . وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا » (مريم ٦٨) والمعنى نسوقهم إلى المحشر بعد إخراجهم من قبورهم أحياء كما كانوا مع شياطينهم الذين أغروهم وأضلّوهم في سلسلة ثم نخضرم حول النار من خارجها قبل دخولها أو من داخلها جاثين على ركبهم لما يصيبهم من أهوال المواقف وروعة الحسابة ثم ننزع من كل أمة وفرقة وأهل دين وملة من الكفار ، قال الزمخشري الشيعة هي الطائفة التي شاعت أي تبعت غاوبًا من الفجوة ^(٣) .

وقال تعالى « إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعْمًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ » (الأنعام ١٥٩) انتهى .

يعنى ينزع من كل طوائف النفي كالروافض والخوارج والنواصب والمعتزلة

(١) فتح البيان (٥١٠/٥)

(٢) البخارى (١١٧/٦) ومسلم (٢١٤٧/٤)

(٣) فتح البيان (٦/٤٣-٤٤)

لأراء الرجال والمتبعة للفلاسفة الضلال وغيرهم أعصام وأعتام ، فإذا اجتمعوا طرحهم في جهنم وهم أولى بصليها أو صليهم أولى بالنار ، وما من أحد مسلم كان أو كافراً إلا وصاليها وداخلها ، ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثياً ، وهذه أخوف آية .

وقال تعالى « مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا » (طه ١٠٠)
 أى إنما عظميا وعقوبة ثقلية بسبب إعراضه « خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا . يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْجُحْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا » (طه ١٠١ - ١٠٢)
 المراد بالجرميين المشركون والكافرون والعصاة المآخذون بذنوبهم التي لم يغفرها الله لهم ، والزرقة الخضرة في الدين كدين السُّدُورِ ^(١) .

والعرب تشام بهم لأن الروم كانوا أعدى عدوم وم زرق وهي أسوأ ألوان العين وأبغضها إلى العرب ، وقال للفراء زرقاً أى حمياً وقال الأزهري عطاشا وهو قول الزجاج ، وقيل إنه كناية عن الطمع الكاذب إذا تعقبته الخيبة ، وقيل هو كناية عن شغوص البصر من شدة الحرص ، والقول الأول أولى . والجمع بين هذه الآية وبين الآية السابقة « حُمِيًّا وَبُكْمًا وَصُمًّا » (الإسراء ٩٧) ما قيل من أن ليوم القيامة حالات ومواطن تختلف فيها صفاتهم ويتنوع عندما عذابهم ، فيكونون في حال زرقاً . وفي حال حمياً ^(٢) .

وقال تعالى « لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُّوهَا ، وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ . لَهُمْ فِيهَا زُفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ » (الأنبياء ٩٩ - ١٠٠) وفي هذا تبسكيت لعباد الأصنام وتوبيخ شديد لمن يتخذ من دون الله أرباباً ، والزفير هو صوت نفس

(١) فتح البيات (١١٥/٦)

(٢) فتح البيان (١١٥/٦ - ١١٦)

المغموم والمراد هنا الأنين والبكاء والتنفس الشديد والتعويل ، ولا يسمع بعضهم زفر بعض لشدة الهول : قال ابن مسعود في الآية : إذا بقي في النار من يخلد فيها جعلوا في نوابيت من نار ، ثم جعلت تلك النوابيت في نوابيت آخر عليها مسامير من نار فلا يسمعون شيئاً ولا يرى أحد منهم أن في النار أحداً يعذب غيره ، وقيل لا يسمعون شيئاً لأنهم يحشرون فيها ، وإنما سلبوا السماع لأن فيه بعض ترويح وتأنس ، لو قيل لا يسمعون ما يبرمهم بل يسمعون ما يسوءهم^(١) .

وقال تعالى : « فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ نِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ يَّصَّبُ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ، يَصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ، وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِّنْ حَدِيدٍ ، كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ » (الحج ١٩ - ٣٢) أى قدرت لهم على قدر جنثهم لأن النياب الجدد تقطع على مقدار بدن من يلبسها ، شبه إمداد النار وإحاطتها بهم بتقطيع نيايب لهم ، وجمع النيايب لأن النار لترا كلها عليهم كالنيايب الملبوس بعضها فوق بعض . وقيل لأنها من نحاس قد أذيب فصار كالنار ، وهى السراويل المذكورة في آية أخرى ، قاله سعيد بن جبير وزاد ليس من الآنية إذا حى أشد حرأ منه .

والحق إجراء النظم القرآنى على ظاهره ولا يرتضى تأويله بما يخالف ظاهر لفظه ، وواضح معناه ، والحميم الماء الحار المغلى بنار جهنم انتهت حرارته بذاب بهذا الحميم ما فى بطونهم وتسيل به أمعاؤهم وتتناثر جلودهم^(٢) .

عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه تلا هذه الآية فقال سمعت رسول الله

(١) فتح البيان (١٩١/٦)

(٢) فتح البيان (٢١٤/٦ - ٢١٥)

يقول : (إِنَّ الْجَحِيمَ لَيَصَّبُ عَلَى رُؤُسِهِمْ فَيَنْفِذُ الْجَحِيمُ حَتَّى يَخْلُصَ إِلَى جَوْفِهِ فَيَسْلُتُ مَا فِي جَوْفِهِ حَتَّى يَمْرُقَ مِنْ قَدَمَيْهِ وَهُوَ الصَّهْرُ ثُمَّ بَعَادُ كَمَا كَانَ) أخرجه الترمذى والحاكم وصححا وابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهم ^(١) .
وقال ابن عباس : يمشون وأمهاتهم تنساقط ، وعنه قال : يسقون ماء إذا دخل في بطونهم أذا بها والجلود مع اللبطن ، والمقمة المطرقة وقيل : السوط ، وسميت بالقامع لأنها تقمع المضروب ، أى تذله .

وعن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : (لَوْ أَنَّ مَقْعَةً مِنْ حَدِيدٍ وَضِعَ فِي الْأَرْضِ فَاجْتَمَعَ لَهُ النَّفْلَانِ مَا أَقْلَوْهُ مِنَ الْأَرْضِ) ^(٢) . وَلَوْ ضُرِبَ الْجَبَلُ بِمَقْعٍ مِنْ حَدِيدٍ لَتَفَقَّتْ ثُمَّ عَادَ كَمَا كَانَ) أخرجه أحمد وأبو يعلى والحاكم وصححه البيهقى .

وعن سلمان قال : الفار سوداء مظلمة لا يضيء لها بها ولا جهرها ، ثم قرأ « كَلَّمَآ أَرَادُوا » الآية ، والمراد : إعادتهم إلى معظم النار ، لأنهم ينفصلون عنها بالكسبية ثم يعودون إليها ، وقيل لهم ذوقوا عذاب الحرق الغليظ المنتشر العظيم الإهلاك البالغ نهاية الإحراق .

وقال تعالى : « وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آفَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ » (الحج ٥١) أى اجتهدوا فى إبطالها حيث قالوا القرآن شمر أو سحر أو أساطير الأولين أو لا تلاوة دون العمل ظانين ومقدرين أن يمجزوا الله ويفوتوه ، وقيل معاندين ، أو مراغمين ومشاقين ، فهم أصحاب النار الموقدة .

(١) الترمذى (٧٠٥/٤)

(٢) قال الهيثمى : وفيه ضعف وثقوا ببقية الحديث الى قوله : ثم عاد - رواية أخرى قال الهيثمى : وفيه ابن لهيعة وقد وثق على ضعفه (٢٨٨/١٠) وقد خرج الحاكم الرواية الأولى (٦٠٠/٤) وصححه وسكت عليه الذهبى والرواية الثانية (٦٠١/٤) وصححه وأقره عليه الذهبى .

وقال تعالى : « اخْشَوْا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ » (الزمر ١٠٨) أي اسكتوا في جهنم سكوت هوان ولا تكلمون رأساً ، أو في إخراجكم من النار أو في رفع العذاب عنكم . قال الحسن : هو آخر كلام يتكلم به أهل النار وما بعد ذلك إلا الزفير والشهيق وعواء كمواء السكلاب .

وقال تعالى : « وَأَعِدُّنَا لِلَّذِينَ كَذَبُوا بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ، إِذَا رَأَوْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَفَيُّظًا وَزَفِيرًا » (الفرقان ١١ - ١٢) أي إذا رأوهم وهي بعيدة عنهم ، قيل بينهم مسيرة مائة عام وقيل خمسمائة عام ، وذلك إذا أتى بهمهم نقاد بسبعين ألف زمام يشد بكل زمام سبعون ألف ملك لو تركت لأنت على كل بر وفاجر ؛ فترى تزد زفرة لا تبقى قطرة من دمع إلا بدت ، ثم تزد الثانية فتقطع القلوب من أمانتها وتبلغ القلوب الحناجر . وعن رجل من الصحابة قال : قال النبي ﷺ : (مَنْ يَقُلْ عَلَى مَا لَمْ أَقُلْ أَوْ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ وَانْتَمَى إِلَى غَيْرِ مَوْلَاهُ فَلْيَقْبَلُوا بَيْنَ عَيْنَيْ جَهَنَّمَ مَقْعَدًا فَيَلْزِمُ رَسُولَ اللَّهِ وَهَلْ لَهَا مِنْ هَيِّئِينَ ، قَالَ : نَعَمْ أَمَا سَمِعْتُمْ اللَّهَ يَقُولُ : (إِذَا رَأَوْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ) . أخرجه عبد بن حميد وابن جرير ^(١) من طريق خالد بن دريك ونحوه عند رزين في كتابه وصححه ابن العربي في قبسه ، وأخرج الترمذى من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (تَخْرُجُ عَنْكَ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهَا عِمْرَانٌ تَبْعِرَانِ وَأُذُنَانِ تَسْمَعَانِ وَلِسَانٌ يَنْطِقُ يَقُولُ : إِنِّي وَكَلْتُ بِثَلَاثٍ : بِكُلِّ جَبَّارٍ هَنِيدٍ وَبِكُلِّ مَنْ دَمَعَ اللَّهُ إِلَيْهَا آخِرَ وَابِئْصُورِينَ ^(٢)) .

(١) قال في فتح البيان (٤٢٤ / ٦) أخرجه أحمد والبخاري وغيرهم قال السيوطي بسند صحيح
(٢) الترمذى (٧٠٩ / ٤) .

وفي الباب من أبي سعيد قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب صحيح
والنفيظ الغليان إذا غلا صدره من الغضب يعني أن لها صوتاً يدل على النفيظ على
الكفار أو لغليناها صوت يشبه صوت النفيظ ، وتقدم الكلام على زفير .

وقال تعالى : « وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّبِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا .
لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا » (الفرقان ١٣ - ١٤) .

عن يحيى بن أسيد أن رسول الله ﷺ سئل عن هذه الآية فقال :
(وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُمْ لَيُسْكَرُهُونَ فِي النَّارِ كَمَا يُسْكَرُهُ الْوَيْدُ فِي الْحَارِطِ ^(١))
وعن ابن عباس أنه بضيق عليهم كما بضيق الزج في الرمح ، والثبور الهلاك
والمراد بهذا الجواب عليهم : الدلالة على خلود عذابهم وإفناطهم عن حصول
ما يتمنونه من الهلاك المنجي لهم مما هم فيه .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (إِنَّ أَوَّلَ مَا يُكْسَى
حُلَّتُهُ مِنَ النَّارِ إِبْلَيسُ فَيَضَعُهَا عَلَى حَاجِبَيْهِ وَيَسْعَبُهَا مِنْ خَلْفِهِ وَذُرْبَتُهُ مِنْ بَدَنِهِ
وَهُوَ يَنَادِي يَا ثُبُورَاهُ وَيَقُولُونَ يَا ثُبُورَهُمْ حَتَّى يَبْغِ عَلَى النَّاسِ فَيَقُولُ : يَا ثُبُورَاهُ
وَيَقُولُونَ : يَا ثُبُورَهُمْ فَيَقَالَ لَهُمْ « لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا
كَثِيرًا ^(٢) » .

وقال تعالى : « فَكَبِّكُوا فِيهَا » (الشعراء ٩٤) أي ألقوا في جهنم على
رؤسهم وقيل : قلبوا على رؤسهم وقيل ألقى بعضهم على بعض وقيل : جمعوا . قاله

(١) فتح البيان (٤٢٣/٦)

(٢) الزج : بالضم طرف المرفق والحديدة في أسفل الرمح . القاهوس

(١ / ١٩١) .

(٣) قال الهيثمي : رواه أحمد والبخاري ورجالهما رجال الصحيح غير علي بن

زيد وقد وثق (٣٩٢/١٠) .

ابن عباس وقيل طرخوا وقيل فسكسوا^(١) «مُ وَالْقَاوُونَ» (الشعراء: ٩٤) أى
 للمعبودون والمعابدون (وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ) «الشعراء: ٩٥» وقال تعالى :
 (وَلَسِ كُنْ حَقِّ الْقَوْلِ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) «السجدة: ١٣»
 هذا هو القول الذى وجب من الله وحق على عباده ونفذ فيه قضاؤه ، وإنما قضى
 عليهم بهذا لأنه سبحانه قد علم أنهم من أهل الشقاوة وأنهم ممن يخفرون الضلالة
 على الهدى .

وقال تعالى : (يَوْمَ تَقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ) «الأحزاب: ٦٦» يعنى تقلبها
 تارة على جهة منها وتارة على جهة أخرى ظهراً لبطن ، أو تفرد ألوانهم بفتح
 النار ففسود تارة وتغضر أخرى أو تبدل جلودهم بجلود أخرى ، وخص الوجه
 لأنه أكرم موضع من الإنسان ويكون الوجه عبارة عن الجملة .

وقال تعالى : (وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يَجْزُونَ
 إِلَّا مَا كَانُوا يَمْعَلُونَ) «سبا: ٣٣» أى جعلت الأغلال من الحديد فى أعناق
 هؤلاء فى النار .

وقال تعالى . (وَمُ يَصْطَرِحُونَ) «فاطر: ٣٧» من الصراخ وهو الصياح ،
 أى وهم يستغيثون فى النار رافعين أصواتهم ، والصراخ المستغيث ، وقال تعالى :
 (هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ، أُولَٰئِكَ الَّيَوْمَ يَمَّا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ، الْيَوْمَ نَخْتِمُ
 عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) «يس: ٦٣»
 «٦٥» أى توعدون بها فى الدنيا على السنة الرسل فادخلوها وقاسوا حرها .

قال المفسرون : إنهم يكفرون الشرك وتكذيب الرسل فوعدهم الله على

أنفواهم ختمًا لا يقدرُونَ معه على الكلام ، وتكلم أيديهم بما كانوا يفعلونه ،
وتشهد أرجلهم عليهم بما كانوا يعملونه باختيارها بعد إقدار الله تعالى لها على
الكلام ليكون أدل على صدور الذنب منهم ^(١) .

وأخرج أحمد ومسلم والنسائي والبخاري وغيرهم عن أنس في الآية قال : كُنَّا
عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَضَحِكُ فَقَالَ : هَلْ تَذَرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟ قَالَ : قُلْنَا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ
أَعْلَمُ ، قَالَ : مِمَّنْ مَخَاطِبَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ ، يَقُولُ : يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ قَالَ يَقُولُ
بَلَى ، فَيَقُولُ : إِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَى إِلَّا شَاهِدًا مَعِيَ ، قَالَ فَيَقُولُ : كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ
عَلَيْكَ شَهِيدًا ، وَبِالْكَرَامِ السَّكَاتِينَ شُهُودًا ، فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ فَيُقَالُ لِأَزْكَاهُ
أَنْطِقِي . قَالَ فَتَنْطِقُ بِأَحْمَالِهِ ، قَالَ ثُمَّ يَحْمِلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ قَالَ فَيَقُولُ : بَعْدًا
لَكُنَّ وَسُحْقًا . فَمَنْ كُنَّ كُنْتُ أَنَا ضَلُّ ^(٢) .

وأخرج مسلم والترمذي وابن مردويه والبيهقي عن أبي سعيد وأبي هريرة
رضي الله عنهما قالا : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : يَلْقَى الْعَبْدُ رَبَّهُ فَيَقُولُ اللَّهُ : أَلَمْ
أُكْرِمَكَ وَأَسَوَّدَكَ وَأَزَوَّجَكَ وَأَسَخَّرْتُكَ الطُّولَ وَالْإِبِلَ وَأَذْرَكَ تَرَأْسَ وَتَرْبِيعَ
فَيَقُولُ : بَلَى أَيُّ رَبِّ ، فَيَقُولُ : أَنْظِئْتِ أَنْتَ مُلَاقِي ، فَيَقُولُ : لَا ، فَيَقُولُ : إِنِّي
أَنْسَاكَ كَمَا نَسَيْتَنِي ، ثُمَّ يَلْقَى الْغَالِي فَيَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَلْقَى الْغَالِي فَيَقُولُ لَهُ
مِثْلَ ذَلِكَ ، فَيَقُولُ : آمَنْتُ بِكَ وَبِكَفَايَكَ وَبِرُسُولِكَ وَصَلَّيْتُ وَصَلَّتْ وَنَصَدَقْتُ
وَبُنَيْتُ بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَ ، فَيَقُولُ أَلَا نَبِئْتُ شَاهِدًا عَلَيْكَ فَيُفَكِّرُ فِي نَفْسِهِ مَنْ الَّذِي
يَشْهَدُ عَلَيَّ ، فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ وَيُقَالُ لَهَا خُذِي : أَنْطِقِي ، فَتَنْطِقُ بِخُذِي وَفِيهِ وَعِظَامُهُ

(١) فتح البيان (٨/ ٣٩ - ٤٠) .

(٢) مسلم (٤/ ٢٢٨٠ - ٢٢٨١) .

يَعْمَلُو مَا كَانَ، وَذَلِكَ لِيُعَذِّرَ مِنْ نَفْسِهِ وَذَلِكَ الْمُنَاقِقُ وَذَلِكَ الَّذِي يَسْخَطُ عَلَيْهِ^(١). وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث أبي موسى نحوه.

قال تعالى: (أَذَلَّكَ خَيْرٌ نَزْلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ؟ إِنَّا جَاءَنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ إِنَّمَا شَجَرَةُ زَعْرَجٍ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ، طَلْحُهَا سَكَّانُهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ، فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُونَ فِيهَا فَأَلْبُونُ فِيهَا الْبُطُونَ، ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ، ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ) الصافات ٦٢ : ٦٨.

قال الواحدى^(٢): الزقوم شئ متركبه بكره أهل النار على تناوله فهم يتزقونه قهوى على هذا مشتقة من التزقم وهو البلع على جهل لسكراتها ونفثها. قال قطرب^(٣): إنما شجرة مرة كريهة الرائحة تسكون بنهاية من أخبث الأشجار. وقال غيره: بل هو كل نبات قاتل، وقيل شجرة مسمومة متى مسست جسد أحد تورم فوات، جعلها الله محنة لهم لسكونهم يعذبون بها، والمراد بالظالمين هنا الكفار أو أهل المعاصى الموجبة للنار، وهذه الشجرة تنبت في قعر النار وأسفلها، وأغصانها ترفع إلى دركانها.

وعن ابن عباس^(٤) قال: لو أن قطرة من زقوم جهنم أنزلت إلى

(١) الترمذى (٦١٩/٤) ومسلم (٢٢٧٩/٤ - ٢٢٨٠) مطولا.

(٢) ذكره المصنف في فتح البيان (١٠٣/٨).

(٣) فتح البيان (١٠٣/٨).

(٤) فتح البيان (١٠٤/٨).

الأرض لأفدت على الناس معايشهم ، ونمرها وما تحمله في تنافى قبعة
وهوله وشناعة منظره مثل رهوس الشياطين ، قال الزجاج والفراء :
الشياطين حيات هائلة لها رهوس وأطراف وهي من أقبع الحيات وأخبئها
وأخفها جسما ، وقيل هو شجر خشن مفتن مرّ منكر الصورة يسمى
نمر رهوس الشياطين^(١) ، والشوب الخلط والمزج ، والحجم الماء الحار ، وهذا
كما قال تعالى : (وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْمَاءُهُمْ) محمد ١٥ ، وقيل : إن الزقوم
والحجم نُزِّلَ يقدم إليهم قبل دخولها أعاذنا الله وإخواننا المؤمنين من هذا
الطعام والشراب .

وقال تعالى : (فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ) ص ٥٧ ، تقدم تفسير الحجم
مراراً : والغساق ماسال من جلود أهل النار من القبيح ومن الصديد ، والغساقان
الأنصباب وقيل : هو ما قتل برده ، وقيل : هو الزمهرير وقيل : المنغن وقيل :
هو عين في جهنم يسيل منه كل ذوب حية وعقرب وقال : قتادة : هو
ما يسيل من فروج النساء الزواني ومن تنقن لحوم الكفرة وجلودهم^(٢) .

وقال القرطبي : هو عصارة أهل النار : وقال السدي هو الذي يسيل
من دموع أهل النار يسقونه من الحجم وكذا قال ابن زيد ، وقال مجاهد
ومقاتل : هو الثلج البارد الذي قد انتهى برده ، وتفسير الغساق بالبارد أنسب
بما تقتضيه لغة العرب ، وأنسب أيضاً بمقابلة الحجم^(٣) .

(١) فتح البيان (١٠٤/٨)

(٢) فتح البيان (١٨٣/٨)

(٣) فتح البيان (١٨٣/٨)

وأخرج أحمد والترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم وابن حبان والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في البعث عن أبي سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **لَوْ أَنَّ دُلُومًا مِنْ غَسَاقِي يَهْرَأُ فِي الدُّنْيَا لَأَنَّتَنَ أَهْلَ الدُّنْيَا** . قال الترمذي ^(١) لا نعرفه إلا من حديث رشدين بن سعد (قلت) ورشدين هذا فيه مقال معروف ^(٢) (وَأَخْرَجَ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ) «ص ٥٨» أى وعذاب آخر أو مذوق آخر أو نوع آخر من شكل ذلك العذاب أو المذوق أو النوع الأول وللشكل للفل أو مذوقات أخرى وأنواع أخرى من شكل ذلك المذوق أو النوع المتقدم . ومعنى أزواج أجناس وأنواع وأشياء ونظائر ، قال المفكرون : هو الزمهرير .

(هَذَا قَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ) أى الاتباع داخلون معكم إلى النار بشدة ، والانتقام الإلقاء في الشيء بشدة لأنهم يضربون بمقامع من حديد حتى يقتحموها بأنفسهم خوفاً من تلك المقامع ، وقيل الانتقام ركوب للشدة والدخول فيها .

وفي المختار قعم في الأمر روى بنفسه فيه من غير رويه (لَا مَرْحَبًا بِهِمْ) «ص ٦٠» أى لا اتسعت منازلهم في النار ، والرحب السعة والمعنى لا كرامة لهم ، وهذا إخبار من الله تعالى بانقطاع المودة بين الكفار وأن المودة التي كانت بينهم نصير عداوة (إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارَ) أى كاصليهاها (قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ) أى : قال الاتباع عند سماع ما قاله الرؤساء والقادة ، بل أنتم أحق بما قلتم لنا ، ثم علموا ذلك بقولهم (أَنْتُمْ قَدْ خُيِّمْتُمْ لَنَا) أى العذاب أو الصل وأوقعتمونا فيه ودعوتهمنا إليه بما كنتم تقولون لنا من أن الحق ما أنتم عليه ، وأن الأنبياء غير صادقين فيما جاءوا به (فَيُلْثَسُ الْقَرَارُ) «ص ٦٠» أى ينسى المقر جهنم لنا

(١) فتح البيان (١٨٣/٨) . والترمذي (٧٠٦/٤)

(٢) لكن خرج الحاكم من غير طريقه (٦٠٢/٤) وصححه وأقره الذهبي .

ولكم ، (قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضَعُفًا فِي النَّارِ . وَقَالُوا : مَا لَنَا لَا نَرَى رَجُلًا كُنَّا نَعُدُّهُ مِنْ الْأَشْرَارِ) «س ٦١ - ٦٢» أى الأراذل الذين لا خير لهم ولا جدوى (أَتُخَذَانَا فِي الدُّنْيَا فَآخِطَانَا) (أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ) فلم نعلم مكانهم (إِنْ ذَلِكَ) أى ما تقدم من حكاية حالهم (خلق) واقع ثابت في مدار الآخرة لا يتخلف البتة (نَحْنَاهُمْ أَهْلُ النَّارِ) .

وقال تعالى : (لَمْ يَنْفَعِهِمْ ظُلُّهُمُ مِنَ النَّارِ وَمِنْ مَحَرِّمٍ ظُلٌّ) «الزمر ١٦» أى أطباق من النار وفراش ومهاد وسراقات وقطع كبار تتلهب عليهم ، وإطلاق الظلل عليها تسهم وإلا فهي محرقة ، والظلة تقي من الحر، وقال تعالى : (وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا فِي الْأَرْضِ جِيعًا وَمِثْلَهُ مِمَّا لَا يَقْتُلُوا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَبَدَأَ لَهُمْ مِنْ آفِهِ مَا لَمْ يَنْكُتُوا بِحَقْسِيُونَ ، وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتٍ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) «الزمر ٤٧ - ٤٨» وفي هذا وعيد لهم عظيم وتهديد بالغ غاية لا غاية وراءها ، قال سفيان الثوري : ويل لأهل الرياء . ويل لأهل الرياء . ويل لأهل الرياء ، وهذه آيتهم وقصتهم ^(١) .

وقال تعالى (تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وَجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ) «الزمر ٦٠» أى لما أحاط بهم من العذاب ، ولما شهدوه من غضب الله وقلته .

وقال تعالى (حَقَّ إِذَا جَاءُوهَا فَتُحْتَأَبْوَابُهَا) أى أبواب النار ليدخلوها وهي سبعة أبواب ، وكانت قبل ذلك مغلقة (وَقَالَ لَهُمْ خُزِّنْهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ؟ قَالُوا : بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ قِيلَ) أى لهم (ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُفْسِدِينَ) «الزمر ٧١ - ٧٢» جهنم واللام فيه للجنس .

وقال تعالى (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا) « غافر ٤٤ » أى صباحاً ومساءً ، وعرضهم عليها إحراقهم بها .

عن ابن عمر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ . (إِنْ أَحَدُكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ ، يُقَالُ هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) أخرجه الشيخان ^(١) وغدهما ، وزاد ابن مردويه ثم قرأ (النَّارُ) الآية .

واحتج بعض أهل العلم بهذه الآية على إنبات عذاب القبر أعادنا الله تعالى منه بمقه وكرمه وقال القرطبي إن أرواحهم في جوف طير سود تمدو على جهنم وتروح كل يوم مرتين فذلك عرضها .

وذهب الجمهور إلى أن هذا العرض هو البرزخ .

وقال تعالى (وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ) أى من الأمم الكافرة مستكبرين وضميغهم جميعاً (نِلْزَنَةُ جَهَنَّمَ) وهم القاعمون بتعذيب أهل النار ، وإنما لم يقل نلزناتها ، لأن في ذكر جهنم تهويلًا وتفظيلاً أو لبيان محلهم فيها ، فإن جهنم هي أبعد النار قرأ وفيها أعنى الكفار وأطعاهم ، فاعمل الملائكة الموكلين بعذاب أولئك أجوب دعوة لزيادة قربهم من الله فلمذا تعمد لهم أهل النار بطلب الدعوة منهم (ادْعُوا رَبَّكُمْ يَحْنَفُ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ) قالوا : أَوْ لَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ؟ قالوا : بَلَى ، قالوا : فادْعُوا وَمَا دَعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ) « غافر ٤٩ - ٥٠ » أى في ضياع وبطلان وخسارة وتبار وانعدام وفيه إقناط لهم عن الإجابة ^(٢) .

(١) مسلم (٤ / ٢١٩٩) .

(٢) فتح البيان (٨ / ٢٩١ - ٢٩٢) .

وقال تعالى: (فَسَوْفَ يَمْلِكُونَ إِذَا الْأَعْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْعَبُونَ فِي الْحَبِيمِ) قال ابن عباس: فينسلخ كل شيء عليهم من جلد ولحم وعرق حتى يصير في عقبه ، حتى إن لحمه قدر طوله وطوله ستون ذراعاً ثم يكسى جلد آخر (١) (ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ) غافر ٧٠ - ٧٢ .

عن ابن عمر قال : تلا رسول الله ﷺ هذه الآية فقال : لَوْ أَنَّ رُضَاةً مِثْلَ هَذِهِ - وَأَشَارَ إِلَى مِثْلِ الْجُحْبَةِ - أُرْسِلَتْ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ، وَهِيَ مَسِيرَةُ خَمْسِينَ سَنَةً لَهَلَّتْ الْأَرْضُ قَبْلَ اللَّيْلِ وَلَوْ أَنَّهَا أُرْسِلَتْ مِنْ رَأْسِ السَّلِيلَةِ لَسَارَتْ أَرْبَعِينَ خَرِيفًا قَبْلَ الْفَيْلِ وَالنَّهَارَ قَبْلَ أَنْ تَبْلُغَ أَصْلَهَا ، أَوْ قَرَّبَهَا . أخرجه أحمد والترمذي (٢) وحسنه والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في البعث والنشور .

وقال تعالى: (وَيَوْمَ يُنْفَخُ أَصْفَادُهُمْ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ) (فصلت ١٩) أي: بحبس أولهم على آخرهم ليتلاحقوا ويجمعوا (حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) في الدنيا من المعاصي ، وفي كيفية هذه الشهادة ثلاثة أقوال :

أولها : أن الله يخلق الفهم والقدرة والنطق فيها فشهد كما يشهد الرجل على ما يعرفه .

ثانيها : أنه تعالى : يخلق في تلك الأعضاء الأصوات والحروف على تلك المعاني .

ثالثها : أن يظهر في تلك الأعضاء أحوال تدل على صدور تلك الأعمال

(١) السند للإمام أحمد (٦٨٥٦/١١) والترمذي (٧٠٩/٤) وقال إسناده

حسن صحيح .

(٢) فتح البيان (٨/ ٣٢٤ - ٣٢٥) .

من ذلك الإنسان وتلك الأمارات تسمى شهادات (وَقَالُوا لِمَ لَمْ يَشْهَدُوا)
 عَلَيْنَا قَالُوا: اتَّبَعْنَا اللَّهَ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ ، وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ، وَإِلَيْهِ
 تُرْجَعُونَ ، وَمَا كُنْتُمْ تَشْعُرُونَ أَنَّ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ
 وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ، وَذَلِكَ ظَنُّكُمْ الَّذِي ظَنَنْتُمْ
 بِرَبِّكُمْ أَرَأَيْتُمْ كَمْ فَتَنَّا بَعْضَكُمْ مِنَ الْغَايِبِينَ ، فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا
 فَمَا لَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ) « فصلت ٢٦ - ٢٤ » أي إن يطلبوا الرضا لم يقع
 الرضا منهم بل لا بد لهم النار ، وتعام الكلام على هذه الآية في تفسيرنا
 « فتح البيان » (١) .

وقال تعالى « فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ » (الشورى ٧) من عبد الله
 ابن عمرو قال : خرج علينا رسول الله ﷺ وفي يده كتابان فقال : أتدرون
 ما هذان الكتابان قلنا : لا يا رسول الله ، إلا أن نخبرنا ، فقال للذي في يده اليمنى :
 هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجعل
 على آخريهم ، فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبداً ، ثم قال للذي في شماله : هذا
 كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجعل
 على آخريهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبداً فقال أصحابه : فيم العمل يا رسول الله
 إن كان أمر قد فرغ منه ؟ فقال : سَدُّوا وَقَارُوا فَإِنَّ صَاحِبَ الْجَنَّةِ يُحْتَمَلُ
 بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنْ هَمَلَ أَىْ هَمَلٍ وَإِنْ صَاحِبُ النَّارِ يُحْتَمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ
 وَإِنْ هَمَلَ أَىْ هَمَلٍ . ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدِي فِيهِمَا ثُمَّ قَالَ فَرُغَ رَجُلٌ مِنْ
 الْعِبَادِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ (٢) « أخرجه الترمذى وقال : هذا حديث
 حسن صحيح غريب ، وأحمد وإسحاق وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه ،
 وروى ابن جرير طرقاته موقوفاً على ابن عمرو وقال : هذا الموقف أشبه

(١) (٣٢٥ - ٣٢٤/٨)

(٢) الترمذى (٤/٤٩٩ - ٤٥٠)

بالصواب . قال الشوكاني: بل المرفوع أشبه به فقد رفعه الثقة ورفعته زيادة ثابتة من وجه صحيح، ويقوى الرفع ما أخرجه ابن مردويه عن البراء قال: خرج علينا رسول الله ﷺ وفي يده كتاب ينظر فيه قالوا: انظروا إليه كيف وهو أمي لا يقرأ؟ قال فعلمها رسول الله ﷺ فقال: هذا كتاب من رب العالمين بأسماء أهل الجنة وأسماء قباثلهم لا يزداد فيهم ولا ينقص منهم وقال: (فريق في الجنة وفريق في السعير)، فرغ ربكم من أعمال العباد انتهى^(١).

قلت: وأيضاً لا يقال مثل هذا من قبل الرأي.

وقال تعالى: «إِنَّ الْجَحِيمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ، لَا يُفَرِّجُهُمْ اللَّهُ مِنْهُمَ وَالْجَحِيمُ مُبْلِسُونَ» (الزخرف ٧٤ - ٧٥) أي آيسون من النجاة، وقيل: ما تكون سكوت بأس. قال تعالى: «وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ» أي بالموت «قَالَ إِنَّكُمْ مَا كَثَرُونَ» (الزخرف ٧٧) أي مقيمون في العذاب، هانت والله دعوتهم على مالك ورب مالك، قال الخازن: سكت من إجابتهم أربعين سنة انتهى، والسنة ثلاثمائة وستون يوماً واليوم كألف سنة مما تعدون، قال القرطبي وقيل: ثمانين سنة، وقيل: مائة سنة، وقال ابن عباس: سكت عنهم ألف سنة^(٢).

وقال تعالى: «إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُومِ طَعَامُ الْأُنِيَمِ، كَالْهَلِيقِ يَبْقَى فِي الْبُطُونِ، كَذَلِكِ الْجَحِيمُ، خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ، ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْجَحِيمِ، ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ» (الدخان ٤٣ - ٤٩) تقدم تفسير مثل هذه الآية.

وقال تعالى: «وَبِئْسَ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ» (الجن ٧) أي لكل كذاب كثير

الإثم مرتكب لما يوجب، وويل واد في جهنم أو كلمة عذاب

وقال تعالى: «وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَدَّبْتُمْ طِيبَاتِكُمْ فِي

(١) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد بنحوه (١١٨/٧) ثم قال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه الهذيل بن بلال وهو ضعيف وراجع فتح البيان (٣٥٤/٨).
(٢) فتح البيان (٤٣٤/٨).

حَوَانِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْوَمُ يُجْزَوْنَ مَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْكُرُونَ
 فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ « (الأحقاف ٢٠) عرض الشخص
 على النار أشد في إقامته من عرض النار عليه، إذ عرضه عليها يفيد أنه كالطعام
 المخلوق للاحتراق، وقيل في الكلام قلب، أى : تعرض النار عليهم ، ومعنى
 بعرض بمذب ، والهون : ما فيه من ذل وخزي ، وما أخوف هذه الآية في شأن
 للترفين المتكبرين من عبادة الله الخارجين عن طاعته بفعل السيئات والمعاصي
 والمستمتعين بالذات القانية من النكاح والملابس والمراكب والمساكن النفيسة !

وقال تعالى : (وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ ؟
 قَالُوا : بَلَى وَرَبَّنَا قَالُوا : فَذُقُوا الْمَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَسْكُرُونَ) « (الأحقاف ٣٤) »
 والإشارة بهذا إلى ما هو مشاهد لهم يوم عرضهم على النار ، وفي الاكتفاء
 بمجرد الإشارة من التحويل من المشار إليه ولا ننضم لشأنه ما لا يغني ، كأنه
 أمر لا يمكن التعبير عنه بلفظ يدل عليه .

وقال تعالى : (وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً ثَقِيجاً أُنْعَمَ لَهُمْ) « محمد ١٥ » أى مصارينهم
 نفرت من أديارهم لفرط حرارته ، وقال تعالى : (الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظُنُّ السُّوءِ
 عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ ، وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا)
 « النع ٦ » . وهذا إخبار من قوع السوء بهم على ظنهم أن كلمة الكفر تدل
 كلمة الإسلام .

وقال تعالى : (أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ، مَتَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ ،
 الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ، فَأَلْفَيَا فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ، قَالَ قَرِيبُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ
 وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ، قَالَ لَا تَخْفَضُوا إِلَيَّ وَلَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ،

مَا يَبْدُلُ الْقَوْلَ لَهِيَ، وَمَا أَنَا بِظَلَامٍ لِّمَعْبِدٍ (ق ٢٤ - ٢٩) ، الخطاب لسانق
والشهود ، أو للملكين من خزنة النار، أو الواحد على تنزيل ثنية الفاعل منزلة
ثنية الفعل وتكريره ، والمعنى : كفار لنعم بجانب للإيمان معاد لأهله ، ولا يبذل
خيراً ولا يؤدى زكاة مفروضة ، أو كل حق وجب عليه فى ماله ، ظالم لا يقر
بتوحيد الله شاك فى الحق ، وفيها نهى عن الاختصاص فى مواقف الحساب ونفى
الظلم عن الله تعالى على العباد ، ولا مفهوم لقوله ظلام .

وقال تعالى : (يَوْمَ نَقُولُ لِلْهَنَمِ : هَلِ امْتَلَأْتِ أَوْ نَقُولُ : هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ؟)
« ق ٣٠ » جعله الزمخشري ومن تبعه من باب الحجاز وهو مردود لما ورد :
تحتاج النار والجنة واشتكت إلى ربها . قال النسفى : هذا على تحقيق القول
من جهنم .

ومن أنس رضى الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ
بَاقِي فِيهَا وَتَقُولُ : هَلْ مِنْ مَزِيدٍ حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ فَيَنْزَوِي بَعْضَهَا
إِلَى بَعْضٍ وَتَقُولُ : قَطِيطٌ بِمِزْنِكَ وَكَرَمِكَ ، وَلَا يَزَالُ فِي الْجَنَّةِ فَضْلٌ حَتَّى
يُنْشِئَ اللَّهُ لَهَا خَلْقًا آخَرَ فَيُسَكِّنَهُمْ فَضْلَ الْجَنَّةِ) أخرجه الشيخان وهذا لفظ مسلم^(١)
وأخرجنا من حديث أبى هريرة نحوه وفيه : (فَأَمَّا لِلنَّارِ فَلَا تَعْلَى حَتَّى يَضَعَ
اللَّهُ عَلَيْهَا رِجْلَهُ وَيَقُولُ لَهَا قَطِيطٌ) وفى الباب أحاديث ، ومذهب جمهور الساف
الإيمان بالقدم والرجل من غير تأويل ولا تمطيل ولا تسكييف ولا تحريف
ولا تمثيل ، وإمرارها على ظاهرها وهذا هو الحق الذى لا يحيد منه^(٢) .

قال تعالى : (يَوْمَ تَمُوتُ النَّارُ يُفْتَنُونَ) « الداروات ١٣ » أى يحرقون .

(١) مسلم (٢١٨٨/٤)

(٢) فتح البيان (١٠٦/٩)

وبعدون فيها ، وأصل الفتنة إذابة الجوهر ليظهر غشيه ثم استعمل في التمثيل والاحراق ، وقال تعالى : (إِنَّ الْجَحِيمَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ ، يَوْمَ يُسْحَرُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُقُوا مَسَّ سَقَرٍ) « القمر ٤٧ : ٤٨ » أى : فى ذهاب عن الحق وبعد عنه ، وفى نار تسمر عليهم ، وسقر : علم لجحيم غير منصرف ، ومسها : مقاساة حرها وشدة هذابها .

وقال تعالى : (يُعْرِفُ الْجَاهِلُونَ بِسَيِّئِهِمْ فَيُؤْخَذُ بِالْفَوَاصِي وَالْأَقْدَامِ) « الرحمن ٤١ » ليعنى : أنها تحمل الأقدام مضمومة إلى الفواصي وتلقيهم الملائكة فى النار ، قال الضحاك : يجمع بين ناصيته وقدمه فى سلسلة من وراء ظهره ، وقيل : تسحبهم الملائكة إلى النار تارة بأخذ الفواصي وتارة تجرم على الوجوه وتارة بأخذ أقدامهم ، وتارة تجرم على رؤوسهم ، قال ابن عباس : تأخذ الزبانية بناصريته وقدميه ويجمع فيكسر كما يكسر الحطب فى التنوير ^(١) .

وقال تعالى : (يَطُوفُونَ بَيْنَهَا) أى بين جهنم فتحرقهم (وَيَبِينُ جَحِيمٍ آتٍ) « الرحمن ٤٤ » أى فيصيب وجوههم فيحرقون ، والآن : الذى قد انتهى حره وبلغ غايته وقيل : هو واد من أودية جهنم يجمع فيه صديد أهل النار فيفتمسون فيه بأغلالهم حتى تنفخ أوصالهم ، قال قتادة : يطوفون أى يترددون ويسعون مرة بين الجحيم ومرة بين الجحيم .

وقال تعالى : (وَأَصْحَابُ الشَّامِلِ مَا أَصْحَابُ الشَّامِلِ ، فِي سَمُومٍ وَجَحِيمٍ ، وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ) « السجدة ٢١ » السجدة : حر النار ، وتقدم تفسير الجحيم مراراً واليحموم : الشديد للسواد ، وللمنى : أنهم

(١) فتح البيان (٢٣٥/٩)

(٢) الواقعة (٤١-٤٥) .

أنهم يفزعون إلى الظل فيجدونه ظلاً من دخان جهنم شديد السواد ، قال الضحاك : النار سوداء ، وأهلها سود ، كل ما فيها أسود ، قال ابن عباس : يحموم : دخان أسود ، وفي لفظ دخان جهنم ، وقيل : واد في جهنم ، وقيل : اسم من أسمائها ، والأول أظهر .

والنعتان لقوله ظلٌّ ، لا ليحموم ، وهذا الظل أشجى لحلوقةم وأشد لتحسرههم ، وفي الأمور الثلاثة إشارة الى كونهم في العذاب دائماً ، وفيها ذم التفرقة لأنه منعهم من الانزجار ، وشغلهم عن الاعتبار .

وقال تعالى : « ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْهَا الضَّالُّونَ الْمَكْذِبُونَ لَا تَكُونُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ ، فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ، فَسَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ، فَسَارِبُونَ شَرْبَ الْهِيمِ ، هَذَا نُزْلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ » (الواقعة ٥١ - ٥٦) وتقدم تفسير هذه الآية ، والهِيم : الابل العطاش التي لا تروى لداء يصيبها .

وفي الصحاح الهيام : أشد العطش ، والنزُل : الرزق والغذاء ، وفي هذا تهكم بهم لأن النزول هو ما يعد للأضياف تكربة لهم ، ومثل هذا قوله تعالى : « فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ » وقال تعالى : « وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ فَنُزِّلٌ مِنْ حَمِيمٍ وَتَصْلِيَةٌ جَهِيمٌ إِنْ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ » (الواقعة : ٩٢ - ٩٥) أى محصه وخالصة ، والمعنى واضح .

وقال تعالى : « لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ » أى : فى الفضل والرتبة « أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ » (الحشر ٢٠) أى الظافرون بكل مطلوب ، الناجون من كل مكروه ، وهذا تنبيه للناس وايدان بأنهم لفرط غفلتهم ، وقلة فكرهم فى العاقبة ، وتهالكهم على اثار العاجلة واتباع الشهوات كأنهم لا يعرفون الفرق بين الجنة والنار ، والبون العظيم بين أصحابها وأن الفوز العظيم مع أصحاب الجنة . والعذاب

الدائم الأليم مع أصحاب النار ، فمن حقهم أن يعلموا ذلك وينبهوا عليه .

وقال تعالى : « إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورٌ ، تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ؟ قَالُوا : بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ، وَقَالُوا : لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ، فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ » (الملك ٧ - ١١) .

المعنى : اذا طرحوا طرح الحطب في النار سمعوا لها صوتا منكرا كصوت الحبير عند أول ضيقها وهي تغلي غليان الرجل بما فيه ، تكاد تقطع من الغيظ على الكفار ، وكلما ألقى في جهنم جماعة منهم سألهم ملائكة النار عما ذكر في الآية (١) .

وقال تعالى : « خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ، ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ، إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ، وَلَا يَحْضُرُ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ فَيُنْصَلُّ لَهُ الْيَوْمَ هَهْنَا جَمِيمٌ ، وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِيلٍ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ » (الحاقة ٣٠ - ٣٧) قال المفسرون : السلسلة حلق منتظمة كل حلقة منها في حلقة ، والله أعلم بأى ذراع هي ، وقيل بذراع الملك قال نوف الشامي : كل ذراع : سبعون باعا ، كل باع : أبعد ما بينك وبين مكة ، وكان نوف في رجب الكوفة ، قال مقاتل : لو أن حلقة منها وضعت على ذروة جبل لذاب كما يذوب الرصاص وقال ابن جريج : لا يعرف قدرها الا الله ، وهذا العدد حقيقة ، أو مبالغة ، قال سفيان : بلغنا أنها تدخل في دبره حتى تخرج من فيه .

وقال سويد بن أبي نجيح : بلغني أن جميع أهل النار في تلك السلسلة (١) ، والغسلين : صديد أهل النار ، وما ينفصل من أبدانهم من القيح والصديد ، وقال أهل اللغة : هو ما يجري من الجراح اذا ما غسلت ، وقال الضحاك والربيع بن أنس : هو شجر يأكله أهل النار ، وقال قتادة : هو شر الطعام وقال ابن زيد : لا يعلم ما هو ولا ما الزقوم الا الله تعالى .

وقال ابن عباس : الغسلين الدم والماء والصديد الذي يسيل من لحومهم . وعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لَوْ أَنَّ دَلْوًا مِنْ غَسْلَيْنِ يَهْرَاقُ فِي الدُّنْيَا لَأَتَتْ أَهْلَ الدُّنْيَا » أخرجه الحاكم وصححه (٢) . وعن ابن عباس أيضا : الغسلين : اسم طعام من أطعمة أهل النار .

والتوفيق بين ما هنا وبين قوله : « إِلَّا مِنْ صَرِيع » (الفاشية ٦) وقوله : الزقوم ، وقوله : « مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ » (البقرة ١٧٤) أنه يجوز أن يكون طعامهم جميع ذلك ، أو أن العذاب أنواع ، والمعذنين طبقات : فمنهم أكلة الغسلين ، ومنهم أكلة الصريع ، ومنهم أكلة الزقوم ، ومنهم أكلة النار ، لكل منهم جزء مقسوم (٣) .

وقال تعالى : « يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِهِ بِبَنِيهِ ، وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ، وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ، كَلَّا إِنَّمَا لَظَى ، تَرَاةً لِلشَّوَى ، تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ، وَجَمَعَ فَأَوْعَى » (المعارج ١١ - ١٨) لظى : علم لجهم واشتقاقها من التلظى في النار ، وهو التلهب ، وقيل : هي الدركة الثانية من طباق جهنم ، والشوى الأطراف وجلدة الرأس ومكارم الوجه وحسنه .

(١) فتح البيان (١٠ / ٥٣ - ٥٤) .

(٢) فتح البيان (١٠ / ٥٥) .

(٣) المستدرک (٥٠١ / ٢) ووافقه الذهبي .

قال قتادة : تبرى اللحم والجلد عن العظم حتى لا تترك فيه شيئا ، وقال الكسائي : هي المفاصل ، وقال أبو صالح : هي أطراف اليدين والرجلين ، وقال ابن عباس : تنزع أم الرأس ^(١) ، وفي هذا ذم لمن أدبر عن الحق وأعرض عنه وجمع المال فأوعاه وكثره ، ولم ينفقه في سبيل الخير ، ولم يؤد زكاته .

وقال تعالى : « إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا ، وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا » (الزمل ١٢ - ١٣) جمع نكل وهو القيد وقيل : الغل من الحديد ، والأول أعرف في اللغة ، قال مقاتل : هي أنواع العذاب الشديد ، وطعام لا يسوغ في الحلق بل ينشب فيه فلا ينزل ولا يخرج ، قيل : هو الزقوم ، وقيل : الضريع ، وقيل : شوك العوسج ، والغصة : الشجى في الحلق ^(٢) .

وقال تعالى : « سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ، لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ، لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ ، عَلَيْهَا تِسْعَةُ عَشْرَ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا » (المدثر ٢٦ - ٣١) السقر : النار ، أو من أسائها ، أو دركة منها ، لا تبقى لهم لحما ، ولا تذر لهم عظاما ، أو لا تبقى من فيها حيا ولا تذرهم ميتا ، تظهر لهم وتلوح حتى يروها عيانا كقوله : « وَبُرْزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى » (النازعات : ٣٦) وقيل : لواحطة مغيرة لهم ومسودة ، وهذا أرجح من الأول ، واليه ذهب جمهور المفسرين ، وقيل معطشة .

وقال ابن عباس : تلوح الجلد فتحرقه وتغير لونه فيصير أسود من الليل وعنه : محرقة والمراد : بالبشر إما جلدة الانسان الظاهرة ، كما قال الأكثرون أو المراد به : أهل النار من الإنس ، كما قال الأخفش ، وعلى

(١) فتح البيان (١٠ / ٦٥) .

(٢) فتح البيان (١٠ / ١١٧) .

النار تسعة عشر من الملائكة خزنتها ، أو من أصناف الملائكة ، أو من صفوفهم ، وقيل : تسعة عشر نقيبا مع كل نقيب جماعة من الملائكة والأول أولى ^(١) وقال الرازي : وتخصيص هذا العدد لحكمة اختص الله بها .

وقال تعالى : « مَا سَلَكُكُمْ فِي سَقَرٍ ، قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ، وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمِسْكِينَ ، وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ، وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ، حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ » (المذثر ٤٢ - ٤٧) والصحيح : أن هذه الآية في الكفار ، قاله سليمان الجمل .

وقال تعالى : « إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا » (الانسان : ٤) تقدم تفسير هذه الأمور الثلاثة ، وعن يعلى بن منه وهى أمه ، وأبوه أمية . رفع الحديث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ينشئ الله لأهل النار سحابة سوداء مظلمة ، فيقال : يا أهل النار أى شئ تطلبون فيذكرون بها سحابة الدنيا فيقولون : ربنا الشراب فيمطرهم أغلالا تزيد في أغلالهم وسلاسل في سلاسلهم ، وجمرا يلهب عليهم » . رواه الطبراني في الأوسط قال في مجمع الزوائد ^(٢) وفيه من فيه ضعف قليل ومن لم أعرفه .

وقال تعالى : « اِطْلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ، لَا ظَلِيلٌ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ، إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ، كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ ، وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ، هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ، وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ » (المرسلات ٣٠ - ٣٦) أى يقول لهم خزنة جهنم انطلقوا الى ظل دخان جهنم قد سطع ثم افترق ثلاث فرق يكونون فيه حتى يفرغ من الحساب ، وهذا شأن الدخان العظيم اذا ارتفع تشعب شعبا وقيل : المراد بالظل هنا السرادق وهو لسان من النار تحيط بهم ، وهو الظل من يحوم ، وقيل ان الشعب

(١) فتح البيان (١٣٣ - ١٣٤) .

(٢) مجمع الزوائد (٣٩٠ / ١٠) ، وقال المنذرى (٢٣٢ / ٤) : وقد روى موقوفا عليه ، وهو أصح .

الثلاث هي : الضريع والزقوم والغسلين ، لأنها أوصاف النار ، وكل شررة منها كالقصر في عظمها . ثم شبه الشرر باعتبار لونه بالجمال أو الجبال . قال ابن مسعود : ليست كالشجر والجبال ولكنها مثل المدائن والحصون (١) .

وقال تعالى : « إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ، لِلطَّاغِينَ مَنَآبًا ، لَا شِئْنَ فِيهَا أَحْقَابًا ، لَا يَدْخُلُونَهَا فِيهَا زُجُودًا وَلَا شَرَابًا ، إِلَّا حِسِيًّا وَغَسَّاقًا ، جَزَاءً وَفَاقًا » (النبا ٢١ - ٢٦) أى : جهنم موضع رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار ليعذبوهم فيها ، أو هي في نفسها متطلعة لما يأتى إليها من الكفار ، والأحقاب الدهور جمع حقب ، قال الواحدى : قال المفسرون : انه بضع وثمانون سنة ، السنة : ثلاثمائة وستون يوما ، اليوم ألف سنة من أيام الدنيا ، وروى مرفوعا من حديث أبى هريرة عند الطبرانى وغيره وسنده ضعيف ، قاله السيوطى (٢) ، وفى الباب أحاديث ذكرناها فى فتح البيان (٣) .

والمقصود بالآية التأييد لا التقييد ، قال الحسن : والله ما هي الا أنه اذا مضى حقب دخل آخر كذلك الى الأبد .

وقال تعالى : « فَأَمَّا مَنْ ظَنَّى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى » (النازعات ٣٧ - ٣٩) أى أنها منزلة الذى ينزله لا غيرها .

وقال تعالى : « وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ، وَيَصْلَى سَعِيرًا » (الانشقاق ١٠ - ١٢) أى ينادى هلاكه ويدخل النار ويقاسى حرها وشدها .

(١) فتح البيان (١٠ / ١٩٣) . - (٢) الدر المنثور (٦ / ٣٠٧) .

(٣) فتح البيان (١٠ / ٢٠٥ - ٢٠٦) .

وقال تعالى : « تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً » أى متناهية فى الحر ، « تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آتِيَةٍ » أى انتهى حرها « لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ صَرِيرٍ » هو نوع من الشوك لا ترعاه دابة لخبثه يقال له الشبرق فى لسان قرش إذا كان رطباً ، فإذا يبس فهو الصريع ، قيل : وهو سم قاتل ، وقيل : هو الحجارة ، وقيل الشجرة فى نار جهنم ، وقال ابن كيسان : هو طعام يضرعون عنده ويذلون ، وقيل : هو الزقوم ، وقيل واد فى جهنم ، وقال الحسن : هو بعض ما أخفاه الله من العذاب ، « لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ » (الغاشية ٤ - ٧) أى كلاهما منفيان عنه .

وقال تعالى : « ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ » (التين ٥) قال مجاهد وأبو العالية والحسن : المعنى : ثم رددنا الكافر ، ذلك أن النار درجات بعضها أسفل من بعض ، فالكافر يرد الى الدرجات السفلة ، ولا ينافى هذا قوله تعالى : « إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ » (النساء ١٤٥) فلا مانع من كون الكفار والمنافقين مجتمعين فى ذلك الدرك الأسفل .

قال تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ » (البينة ٦) وظاهر الآية العموم وقيل : هم الذين عاصروا الرسول صلى الله عليه وسلم والأول أولى ، وشر أفعال تفضيل ، وفى هذا تنبيه على أن وعيد علماء السوء أعظم من وعيد كل أحد .

وقال تعالى : « وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمَّهُ هَاوِيَةٌ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ، نَارٌ حَامِيَةٌ » (القارعة ٨ - ١١) أى فمسكنه جهنم وسماها أمه لأنه يأوى إليها كما يأوى الى أمه ، والهاوية من أسماء جهنم ، وسميت بها لأنه يهوى فيها مع بعد قعرها .

عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« اذا مات المؤمن تلقته أرواح المؤمنين يسألونه : ما فعل فلان ؟ ما فعلت
فلانة ؟ فاذا كان مات ولم يأتهم قالوا : خولف به الى أمه الهاوية فبئست
الأم ، وبئست المربية » أخرجه ابن مردويه وأخرج من حديث أبى أيوب
الأنصارى نحوه أيضاً وابن المبارك من حديثه نحوه أيضاً ^(١) .

وقال تعالى : « ثُمَّ لَتَرَوْهَا بِعَيْنِ الْيَقِينِ » (التكاثر ٧) وهى المشاهدة
والمعاينة قيل : هو اخبار عن دوام بقائهم فى النار ، أى : هى رؤية دائمة
متصلة وقيل : المعنى لو تعلمون اليوم علم اليقين وأتم فى الدنيا لترون
الجحيم بعيون قلوبكم ، وهو أن يتصوروا أمر القيامة وأحوالها ^(٢) .

وقال تعالى : « كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ، نَارُ اللَّهِ
الْمُوقَدَّةُ ، الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْنِدَةِ ، إِنَّمَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّاةٌ فِي عَمَدٍ مُّمدَّدةٍ »
(الهزرة ٤ - ٩) والمعنى : ليطرحن فى النار ويلقين فيها ، وسميت حطمة
لأنها تحطم كل ما يلقي فيها وتهشمه ، قيل : هى الطبقة السادسة من طبقات
جهم . وقيل : الطبقة الثانية وقيل الرابعة ، وهذه النار يخلص حرها الى
القلوب فيعملوها ويعشاها وخص الأفئدة مع كونها تغشى جميع أبدانهم
لأنها محل العقائد الزائفة ، أو لكون الألم اذا وصل اليها مات صاحبها .
أى أنهم فى حال من يموت وهم لا يموتون ، وقيل : المعنى أنها تعلم بمقدار
ما يستحقه كل واحد من العذاب وذلك بأمارات عرفها الله بها وأنها عليهم
مطبقة مغلقة وهم موثقون فى عمد ممددة .

قال مقاتل : أطبقت الأبواب عليهم ثم شددت بأوتاد من حديد فلا يفتح
عليهم باب ولا يدخل عليهم رَوْحٌ ، ومعنى ممددة : مطولة ، وقيل العمدة
أغلال فى جهم وقيل قيود ^(٣) .

(١) فتح البيان (١٠ / ٤٣٢) الزهد والرقائق (٤ / ٤٢) من حديث
ابن عمرو وأخرجه الحاكم (٤ / ٥٣٣) عن الحسن البصرى مرسلًا ، قال
الدارقطنى : مراسيله فيها ضعف (٢ / ٢٧٠) تهذيب التهذيب .

(٢) فتح البيان (١٠ / ٤٣٧) .

(٣) فتح البيان (١٠ / ٤٤٥ - ٤٤٦) .

وقال تعالى : « تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ، مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ، سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ » (المسد ١ - ٣) أى سيصلى هو بنفسه ناراً ذات اشتعال وتوقد ، وهى نار جهنم ، أجازنا الله منها برحمته وكرمه انه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير .

وهذا آخر الآيات الكريمات الواردة فى أحوال جهنم وأهوال النار وذكر أصحابها ، وبقيت آيات مكررة جاءت فى ذلك ، ولا حاجة تدعو الى ايرادها فى هذا الكتاب المبني على الاختصار .

قال القرطبي فى التذكرة : أبواب جهنم وما جاء فيها وفى أهوالها وأسمائها انتهى ثم ذكر ذلك فى أبواب متفرقة وأتى بأحاديث وآثار وردت فى هذه الأبواب فيها أنا أخذو حذوه فى تحرير ذلك مع زيادة على ما ذكره وحذف لما تكرر وتقدم فى بابى الآيات مع الإشارة اليه لئلا يطول ذيل الكلام وبالله الاعتصام .

(باب)

(ما جاء في أن النار لما خلقت فرزت منها الملائكة
حتى طارت أفندتها)

عن محمد بن المنكدر قال : « لما خلقت النار فرزت الملائكة حتى طارت أفندتها فلما خلق الله آدم سكن ذلك عنهم وذهب ما كانوا يجدون » أخرجه ابن المبارك (١) ، وقال ميمون بن مهران : « لما خلق الله جهنم أمرها ففرزت زفرة لم يبق في السموات السبع ملك الا خر على وجهه ، فقال لهم الجبار جل جلاله : ارفعوا رؤوسكم أما علمتم أني خلقتكم لطاعتي وعبادتي وخلقت جهنم لأهل معصيتي من خلقي ، فقالوا : ربنا لا نأمنها حتى نرى أهلها فذلك قوله تعالى (وهم من خشية مشفقون) « الأنبياء ٢٨ » فالتار عذاب الله لا ينبغي لأحد أن يعذب بها وقد جاء النهي عن ذلك فقال لا تعذبوا بعذاب الله (٢) .

وعن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أَنْذَرْتُكُمْ النَّارَ أَنْذَرْتُكُمْ النَّارَ ، فَمَا زَالَ يَقُولُهَا حَتَّى لَوْ كَانَ فِي مَقَامِي هَذَا لَسَمِعَهُ أَهْلُ السُّوقِ ، وَحَتَّى سَقَطَتْ خِمِصَةٌ كَانَتْ عَلَيْهِ عِنْدَ رَجُلَيْهِ » رواه الدارمي (٣) .

وعن يزيد بن أبي سورة قال : رأيت عبادة بن الصامت وهو على حائط المسجد المشرف على وادي جهنم واضعاً صدره عليه وهو يبكي فقلت : أبا الوليد ما يبكيك ؟ قال : هذا المكان الذي أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى فيه جهنم ، رواه الطبراني (٤) . قال في مجمع الزوائد (٥) .

(١) الزهد والرفائق (٩٢/١٦) . (٢) التذكرة (٣٧٩) .
(٣) الدارمي (٢٨١٥) وقال في الترغيب : رواه الحاكم ، وقال صحيح على شرط مسلم (٨٥٣/٤) .
(٤) مجمع الزوائد (١٠ / ٣٨٦) .

(٥) أخرجه ابن حبان في صحيحه (برقم ٣٩٠٦ موارد الظمآن) عن زياد بن أبي سودة وزياد قال عنه ابن حجر في التقریب : ثقة من الثالثة . (٢٦٨/١) .

وعن عمر أن جبريل عليه السلام جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم حزينا لا يرفع رأسه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مالي أراك يا جبريل حزينا ، قال : اني رأيت لفحة من جهنم فلم ترجع الى روحي بعد » رواه الطبراني في الأوسط وفيه على بن خلف وهو ضعيف (١) .

وعن عمر بن الخطاب قال : جاء جبريل عليه السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم في حين غير حينه الذي كان يأتيه فيه ، فقام اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا جبريل مالي أراك متغير اللون ؟ فقال : ما جئتك حتى أمر الله عز وجل بمفاتيح النار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا جبريل صف لي النار وائت لي جهنم ، فقال جبريل : ان الله تبارك وتعالى أمر بجهنم فأوقد عليها ألف عام حتى ابيضت ، ثم أمر بها فأوقد عليها ألف عام حتى احمرت ثم أمر فأوقد عليها ألف عام حتى اسودت ، فهي سوداء مظلمة لا يضيء شررها ولا يطفأ لهبها ، والذي بعثك بالحق لو أن قدر ثقب ابرة فتح من جهنم لمات من في الأرض كلهم جميعاً من حره ، والذي بعثك بالحق لو أن خازناً من خزنة جهنم ، يرز الى أهل الدنيا فنظروا اليه ، لمات من في الأرض كلهم من قبح وجهه ، ومن تن ريعه ، والذي بعثك بالحق لو أن حلقة من حلق سلسلة أهل النار التي نعت الله في كتابه وضعت على جبل الدنيا لارفضت وما تقارت حتى تنتهي الى الأرض السفلى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حسبي يا جبريل ، لا يتصدع قلبي فأمويت . قال : فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جبريل وهو يبكي فقال : تبكي يا جبريل وأنت من الله بالمكان الذي أنت فيه ؟ فقال : ومالي لا أبكي ، أنا أحق بالبكاء [لعلني أكون في علم الله على غير الحال التي أنا عليها ، وما أدري] (٢) لعلني أبتلى بما ابتلى به ابليس ، فقد كان من

(١) مجمع الزوائد (٣٨٦/١٠) وفيه : اني رأيت لفحة من روحي وهو في الترغيب (٤ / ٨٦٦) كما هنا ، وهو الاقرب .
(٢) ليست في المجمع .

الملائكة ، وما أدرى لعلى أبتلى بما ابتلى به هاروت وماروت ، قال : فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبكى جبريل فما زالا يكيان حتى نودي : أن يا جبريل ويا محمد ان الله عز وجل قد أمنكما أن تعصياه فارتفع جبريل وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر بقوم من الأنصار يضحكون ويلعبون فقال : أتضحكون ووراءكم جهنم ؟ لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً ولما أسفتم الطعام والشراب ، ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله عز وجل فنودي : يا محمد لا تقنط عبادى انما بعثتك ميسراً ولم أبعثك معسراً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سدودا وقاربوا » رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه سلام الطويل وهو مجمع على ضعفه ، كذا قال الهيثمى فى مجمع الزوائد (١) .

(١) مجمع الزوائد (١٠ / ٢٨٦ - ٢٨٧) وهو فى الترغيب (٤ / ٨٦٣

(باب)

ما جاء في البكاء عند ذكر النار والخوف منها

عن زيد بن أسلم قال جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه اسرافيل فلما سلما على النبي صلى الله عليه وسلم فاذا اسرافيل منكسر الطرف فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « يا جبريل مال اسرافيل منكسر الطرف متغير اللون ؟ قال : لاحت له آتفا حين هبط لمحة من جهنم فذلك الذي يرى كسر طرفه » رواه ابن وهب (١) .

وعن محمد بن مطرف عن الثقة « أَنَّ قَتَى مِنَ الْأَنْصَارِ دَخَلَتْهُ خُشْيَةٌ مِنَ النَّارِ فَكَانَ يَبْكِي عِنْدَ ذِكْرِ النَّارِ حَتَّى حَبَسَهُ ذَلِكَ فِي الْبَيْتِ فَلَمَّا دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اعْتَنَقَهُ الْقَتَى فَخَرَّمِيئًا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : جَهِّزُوا صَاحِبَكُمْ فَإِنَّ الْفَرَقَ مِنَ النَّارِ فَلَذَّ كَيْدُهُ » رواه ابن المبارك (٢)

وروى أن عيسى عليه السلام مر بأربعة آلاف امرأة متغيرات الألوان وعليهن مدارع الشعر والصوف فقال عيسى عليه السلام : ما الذي غير ألوانكن معاشر النسوة ؟ قلن : فان ذكر النار غير ألواننا يا ابن مريم ان من دخل النار لا يذوق فيها برداً ولا شراباً . ذكره الخرائطي في كتاب النشور .

وروى أن سلمان الفارسي لما سمع قوله عز وجل « وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ » (الحجر : ٤٣) فر ثلاثة أيام هارباً من الخوف لا يعقل ، فجاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله فقال له : يا رسول الله أنزلت هذه الآية « وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ » فوالذي بعثك بالحق لقد قطعت قلبي فأنزل الله تعالى « إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ » الآية . ذكره الثعلبي وغيره والله أعلم بأسانيدها ولم يتكلم عليها القرطبي في التذكرة (٣) .

(١) الزهد والرقائق (٦ / ٩٢) وهو ضعيف لارساله .
(٢) التذكرة (٣٨٠) وقد خرجه الحاكم (٢ / ٤٩٤) موصولاً عن أبي حازم ، قال : اظنه عن سهل بن سعد ، بسياق اتم من هذا ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي . (٣) التذكرة (٣٨٠) .

(باب)

(ما جاء فيمن استجار من النار وسأل الله الجنة)

عن أنس بن مالك قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الْجَنَّةَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ قَالَتْ الْجَنَّةُ : اللَّهُمَّ ادْخُلْهُ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ اسْتَجَارَ مِنَ النَّارِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ قَالَتْ النَّارُ : اللَّهُمَّ أَجِرْهُ مِنَ النَّارِ » أخرجه الترمذى ^(١) ، وعن أبي سعيد الخدرى أو عن ابن حجية الأكبر عن أبى هريرة رضى الله عنه أن أحدهما حدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا كان يوم حار ألقى الله سمعه وبصره الى أهل السماء وأهل الأرض فاذا قال العبد : لا اله الا الله ما أشد حر هذا اليوم ! ، اللهم أجرنى من حر نار جهنم قال الله لجهنم : ان عبداً من عبادى استجار بى منك وانى أشهدك أنى قد أجرته منك . »

وإذا كان يوم شديد البرد ألقى الله سمعه وبصره الى أهل السماء وأهل الأرض فاذا قال العبد : لا اله الا الله ما أشد برد هذا اليوم ! اللهم أجرنى من زمهرير جهنم ، قال الله عز وجل لجهنم : « ان عبداً من عبادى استجار بى منك ومن زمهريرك وانى أشهدك أنى قد أجرته ، فقالوا : وما زمهرير جهنم ؟ قال : جب يلتقى فيه الكافر فيتميز من شدة برده بعضه من بعض » رواه البيهقى .

قال القرطبى ^(٢) فى التذكرة : تقرر من الكتاب والسنة أن الأعمال الصالحة والاخلاص فيها مع الايمان موصلة الى الجنان ومباعدة عن النيران وذلك يكثر ايواده والقطع به مع الموافاة على ذلك ، يعنى عن ذكر ذلك ، ويكفيك الآن من ذلك ما ثبت فى الصحيحين ^(٣) عن أبى سعيد

(١) الترمذى (٧٠٠/٤) وخرجه الحاكم بنحوه (٥٢٤/١ - ٥٢٥) وصححه واقره الذهبى .

(٢) التذكرة (٢٨٠ - ٨١) .

(٣) مسلم (٨٠٨/٢) .

الخدري رضى الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَا مِنْ عَبْدٍ يَصُومُ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا بَاعَدَ اللَّهُ بِذَلِكَ الْيَوْمِ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا » قلت : الخريف السنة .

وأخرج النسائي عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ زَحَرَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ بِذَلِكَ الْيَوْمِ سَبْعِينَ خَرِيفًا ^(١) » وأخرج الترمذي عن أبي أمامة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ جَعَلَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ خَنْدَقًا كَمَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ » وروى كما بين السماء والأرض . هذا حديث غريب من حديث أبي أمامة ^(٢) .

وخرج الطبراني ^(٣) عن عبد الله بن عمرو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أَطْعَمَ أَخَاهُ حَتَّى يَشْبِعَهُ وَسَقَاهُ مِنَ الْمَاءِ حَتَّى يَرُوهُ بَاعَدَهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ سَبْعَ خَنْدَقٍ مَا بَيْنَ كُلِّ خَنْدَقَيْنِ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ » وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ، وَعَادَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ مُحْتَسِبًا ، بُوعِدَ مِنْ جَهَنَّمَ مَسِيرَةَ سَبْعِينَ خَرِيفًا . قلت : يا أبا حمزة : وما الخريف ؟ قال العام » رواه أبو داود ^(٤) في كتابه ، وعن عدى بن حاتم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَرَّ مِنَ النَّارِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَلْيَفْعَلْ » أخرجه الشيخان واللفظ لمسلم ^(٥) .

(١) النسائي (٤ / ١٤٣) قال المنذرى : بإسناد حسن (٢ / ١٣١)

الترغيب .

(٢) الترمذى (٤ / ١٦٧) ورواه الطبراني من حديث أبي الدرداء ، قال

المنذرى : بإسناد حسن (٢ / ١٣٠) .

(٣) قال الهيثمى وفيه رجاء بن أبى عطاء وهو ضعيف (٣ / ١٣٠) .

(٤) أبو داود (٢ / ١٦٥) ، قال المنذرى : فى إسناده الفضل بن دلهم

قال يحيى ابن معين : ضعيف الحديث ، وقال مرة : حديث صالح ، وقال

الإمام أحمد : لا يحفظ ، وقال مرة : ليس به بأس (٤ / ٢٧٧) .

(٥) مسلم (٢ / ٧٠٣) .

(باب)

(احتجاج أهل الجنة والنار وصفة أهلها)

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **اُحْتَجَّتِ النَّارُ وَالْجَنَّةُ فَقَالَتْ هَذِهِ : يَدْخُلُنِي الْجَبَّارُونَ وَالْمُتَكَبِّرُونَ ، وَقَالَتْ هَذِهِ : يَدْخُلُنِي الضُّعَفَاءُ وَالْمَسَاكِينُ ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُنَا : أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ ، وَقَالَ لَهُنَا : أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحِمُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا »** رواه البخارى ومسلم والترمذى وقال : هذا حديث حسن صحيح (١) .

قال الحاكم أبو عبد الله فى علوم الحديث : سئل محمد بن اسحاق بن خزيمة عن هذا الحديث : من الضعيف ؟ قال : الذى يرى نفسه من الحول والقوة ، يعنى : فى اليوم عشرين مرة الى خمسين مرة ، قال القرطبى (٣) : ومثل هذا لا يقال من جهة الراى فهو مرفوع والله أعلم . وأما المساكين : فالمراد بهم المتواضعون وهم المشتر اليهم فى قوله صلى الله عليه وسلم **« اَللّٰهُمَّ اَحْيِنِيْ مِسْكِيْناً وَاَمِتْنِيْ مِسْكِيْناً وَاَحْشُرْنِيْ فِيْ زُمْرَةِ الْمَسْكِيْنِ »** (٤) ولقد أحسن من قال :

إذا أردت شريف الناس كلهم فاظر الى ملك فى زى مسكين
ذاك الذى عظمت فى الله رغبته وذاك يصلح للدين والدنيا

(١) مسلم (٤ / ٢١٨٦) - الترمذى (٤ / ٦٩٤) .

(٢) علوم الحديث (٨٤) . (٣) التذكرة (٣٦١) .

(٤) رواه ابن ماجه برقم ٤١٢٦ ، والترمذى (٤ / ٥٧٧) .

قال الحافظ صلاح الدين بن العلاء : الحديث ضعيف السند ، لكن لا يحكم عليه بالوضع . ثم قال : انه ينتهى بمجموع طرقه الى درجة الصحة ، نقله البوصيرى عن السيوطى عنه : وراجع كشف الخفاء (١ / ٢٠٦ - ٢٠٧) .

(باب)

(في صفة النار وفي شرار الناس من هم)

عن عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم في خطبته : أهل النار خمسة : الضعيف الذي لا زبر له ^(١) الذين هم فيكم تبعاً لا يتتبعون أهلاً ولا مالاً ، والخائن الذي لا يخفى ^(٢) له طمع وإن دق إلا خائنه ، ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك ، وذكر البخل أو الكذب والشنظير الفحاش أخرجه مسلم ^(٣) بطوله وعن حارثة بن وهب الخزاعي قال قال النبي صلى الله عليه وسلم « ألا أخبركم بأهل النار كل غتل جواظ مستكبر في رواية : زنيم متكبر ، أخرجه مسلم ^(٤) وابن ماجه ، والجواظ : الفظ الغليظ ، وقيل : الجافي القلب ، والعتل : الشديد الخصومة وقيل : هو الأكل الشروب الظلوم ، والزنيم المستلحق في قوم ليس هو منهم وقيل : اللئيم .

وعن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله لا يعذب من عباده إلا المارد المتمرد ، الذي يتمرد على الله وأبى أن يقول لا إله إلا الله » رواه ابن ماجه ^(٥) ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يدخل النار إلا شقي ، قيل :

(١) أي لا عقل له ينفعك به من المفاصد ، وينزجر به عنها ، فحسبك به ضعفا وخسارة في الدين ، قال أبو العباس شيخ القرطبي : يعني بذلك أن هؤلاء القوم ضعفاء العقول فلا يسعون في مصلحة دينية ، ولا فضيلة نفسية ولا دينية ، بل يهملون أنفسهم أهمال الأنعام . التذكرة (٣٦٣) .

(٢) أي لا يظهر ، وهو من الاضداد .

(٣) مسلم (٤ / ٢١٩٨) .

(٤) مسلم (٤ / ٢١٩٠) وابن ماجه برقم (٤١١٦)

(٥) برقم (٤٢٩٧) وفي اسناده : اسماعيل بن يحيى ، متفق على تضعيفه :

يا رسول الله ومن الشقي ؟ قال من لم يعمل لله بطاعة ولم يترك له معصية»
 رواه ابن ماجه (١) وعنده عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم أهل النار من ملأ أذنيه من ثناء الناس شرا وهو يسمع (٢)
 وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : مر بجنازة فأتني عليها شر فقال
 النبي صلى الله عليه وسلم : « من أثنتم عليه شرا وجبت له النار (٣) ،
 أنتم شهداء الله في الأرض » رواه مسلم (٤) بطوله قالت عائشة : « النار
 دار البخلاء » وقال زيد بن أسلم : نهاك الله أن تكون لئما فتدخل النار ،
 وعن ابن عباس أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ألا أنبئكم بشراركم
 قالوا نعم يا رسول الله قال : من أكل وحده ومنع رفده وجلد عبده ،
 أفأنبئكم بشر من هذا ؟ قالوا : نعم يا رسول الله قال : من ييغض الناس
 وييغضونه قال : أفأنبئكم بشر من هذا ؟ قالوا نعم يا رسول الله قال : من
 لا يقبل عثرة ولا يقبل معذرة ، ولا يغفر ذنبا قال : أفأنبئكم بشر من
 هذا ؟ قالوا : نعم يا رسول الله قال : من لا يرجي خيره ، ولا يؤمن
 شره » أخرجه الحافظ أبو نعيم من طريق محمد بن كعب القرظي بطوله
 قال : وهذا الحديث لا يحفظ بهذا السياق عن النبي صلى الله عليه وسلم
 الا من حديثه عن ابن عباس (٥) .

(١) برقم (٤٢٩٨) قال البوصيرى : وفي اسناده : ابن لهيعة وهو
 ضعيف .

(٢) برقم (٤٢٢٤) ، قال البوصيرى : اسناده صحيح رجاله ثقات
 والمعنى ملأ الله .

(٣) معناه عند الفقهاء اذا أثنى عليه أهل الفضل والصدق والعدالة لان
 الفسقة قد يثنون على الفاسق فلا يدخل في الحديث ، وكذلك لو كان القائل
 فيه عدوا له وان كان فاضلا لأن شهادته في حياته لو كانت عليه غير مقبولة ،
 وكذلك الحكم في الآخرة قاله القرطبي . التذكرة (٣٦٤) .

(٤) مسلم (٢ / ٦٥٥) .

(٥) قال الهيثمي : رواه الطبراني ، وفيه : عنبس بن ميمون وهو
 متروك (٨ / ١٨٣) .

(باب)

(في صفة أهل النار)

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أنبئكم بأهل النار ؟ كل سفیه جعظرى » رواه أحمد ، وفيه البراء بن عبد الله وهو ضعيف^(١) وعن ابن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عند ذكر أهل النار : « كل جعظرى جواظ مستكبر جماع مناع ، وأهل الجنة الضعفاء والمغلوبون » رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح^(١) . وعن ابن غنم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يدخل الجنة الجواظ الجعظرى والعتل الزنيم » رواه أحمد واسناده حسن الا أن ابن غنم لم يسمع من النبى صلى الله عليه وسلم .

وعن على بن رباح قال : بلغنى عن سراقه بن مالك أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يا سراقه ألا أخبرك بأهل الجنة وأهل النار ؟ قال : بلى يا رسول الله قال : أما أهل النار فكل جعظرى مستكبر ، وأما أهل الجنة فالضعفاء المغلوبون » رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح الا أن فيه راويا لم يسم ، قاله فى مجمع الزوائد^(١) ، وعن ابن عباس قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما بعث الله نبيا الى قوم فقبضه الا جعل بعده فترة يسأ من تلك الفترة جهنم » رواه الطبرانى فى الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير صدقة بن سابق وهو ثقة^(١) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أهل النار لم رهما قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مائلات ميلات ، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ، ولا يجدن ريحا ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا

وكذا « أخرجه مسلم ^(١) ، قال الخليل : الصنف : الطائفة من كل شيء ،
والسوط : اسم العذاب وان لم يكن ثم ضرب ، قاله الفراء •

قال القرطبي : وهذه الصفة للسياط مشاهدة عندنا بالمغرب الى الآن •
اتهى •

(قلت) بل هو مشاهد في كل مكان وزمان يزداد يوماً فيوماً عند الأمراء
والأعيان ، فنعود بالله من جميع ما كرهه الله •

والمعنى : أنهن كاسيات بالثياب عاريات من الدين لانكشافهن وإبداء
محاسنهن ، وقيل : كاسيات ثياباً رقاقاً يظهر ما تحتها وما خلفها ، فهن
كاسيات في الظاهر عاريات في الحقيقة ، وقيل : كاسيات في الدنيا بأنواع
الزينة من الحرام ومما لا يجوز لبسه • ومائلات : معناه زائغات عن طاعة
الله وطاعة الأزواج ، وما يلزمهن من صيانة الفروج والتستر عن الأجانب ،
ومميلات : معناه : يعلمن غيرهن الدخول في مثل فعلهن ، وقيل : مائلات •
متبخترات في مشيتهن ، مميلات يملن رؤوسهن وأعطافهن للخيلاء
والتبختر ، ومميلات لقلوب الرجال اليهن بما يبدين من زينتهن وطيب
رائحتهن ، وقيل : يمتشطن الميلاء وهي مشطة البغايا ، والمميلات : اللواتي
يمشطن غيرهن المشطة الميلاء رؤوسهن كأسنمة البخت : يعظمن رؤوسهن
بالخمر والمقانع ، ويجعلن رؤوسهن شيئاً يسمى عندهن النازة ، لا عقص
الشعر والذوائب المباح للنساء حسب ما ثبت في الصحيح عن أم سلمة
قالت : قلت يا رسول الله انى امرأة أشد ضفر رأسى الحديث ^(٢) •

(١) مسلم (٤ / ٢١٩٢) •

(٢) التذكرة (٣٦٨ - ٣٦٩) •

(باب)

(أول من يكسى من حلل النار)

عن أنس بن مالك قال : « أول من يكسى حلة من النار إبليس ، فيضعها على حاجبه أو حاجبيه ويسحبها من بعده ، وذريته من بعده أو من خلفه ، وهو ينادى يا ثبورا ، وينادون يا ثبورهم ، فيقال لهم لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا » رواه أحمد والبخاري ، قال في مجمع الزوائد ^(١) : ورجالهما رجال الصحيح غير علي بن زيد وقد وثق .

(باب)

(ما جاء في أكثر أهل النار)

عن أسامة بن زيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قمت على باب النار فإذا عامة من دخلها النساء » أخرجه مسلم ^(٢) ، ومن حديث ابن عباس في حديث كسوف الشمس « ورأيت النار فلم أر كاليوم منظرا قط ، ورأيت أكثر أهلها النساء . قالوا : بم يا رسول الله ؟ قال : بكفرنهن : قيل . أيكفرن بالله ؟ قال : بكفرن العشير وبكفرن الإحسان ، لو أحسنت إلى أحداهن الدهر ، ثم رأت منك شيئا ، قالت : ما رأيت منك خيرا قط ^(٣) » .

وعن عمران بن حصين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(١) مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٢) .

(٢) مسلم (٤ / ٢٠٩٦) .

(٣) مسلم (٢ / ٢٦٦) .

« ان أقل ساكنى الجنة النساء (١) » . أى لما يغلب عليهن من الهوى والميل الى عاجل زينة الدنيا لنقصان عقولهن أن تنفذ بصائرهما الى الأخرى ، فيضعفن عن عمل الآخرة والتأهب لها لميلهن الى الدنيا والتزين بها ، ثم مع ذلك هن أقوى أسباب الدنيا التى تصرف الرجال عن الأخرى لما لهم فيهن من الهوى . فأكثرن معرضات عن الآخرة بأنفسهن ، صارفات عنها لغيرهن ، سريعات الانخداع لداعيهن من المعرضين عن الدين . عسيرات الاستجابة لمن يدعوهن الى الآخرة وأعمالها من المتقين (٢) .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء ، واطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء » رواه الترمذى (٣) ، ورواه عن عمران بن حصين أيضا ، وقال فيه : هذا حديث حسن صحيح ، وكلا الحديثين ليس فيهما مقال .

وعن حارثة بن وهب الخزاعى يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ألا أخبركم بأهل الجنة ؟ كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره ، ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل عتل جواظ متكبر » . أخرجه الترمذى (٤) وقال : هذا حديث حسن صحيح ، والعتل : الشديد الجافى ، والجواظ : الجموع المنوع . وقيل : الكثير اللحم ، المختال فى مشيه ، وقيل : القصير البطين .

وعن عبد الرحمن بن شبل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) مسلم (٢٠٩٧ / ٤) .
 (٢) التذكرة (٣٦٩) .
 (٣) التذكرة (٤ / ٧٢٥ - ٧١٦) وعبارته : كلا الاسنادين .
 (٤) الترمذى (٧١٧ / ٤) .

« ان الفساق أهل النار ، قالوا : يا رسول الله ومن الفساق ؟ قال : النساء ، قال رجل : يا رسول الله أو ليس أمهاتنا ونساؤنا وأزواجنا وبناتنا ؟ قال : بلى ولكنهن اذا أعطين لم يشكرن واذا ابتلين لم يصبرن »
رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير أبي راشد الجبراني وهو ثقة (١) .

وعن حكيم بن حزام قال : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء بالصدقة وحُثْن عليها وقال : تصدقن فانكن أكثر أهل النار ، فقالت امرأة منهن : لم ذلك يا رسول الله ؟ قال : لأنكن تكثرن اللعن ، وتسوفن الخير ، وتكفرن العشير » . رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات (٢) .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « باب النار لا يدخله الا من يشقى غيظه بسخط الله » رواه البزار من طريق قدامة بن محمد . عن اسماعيل بن شيبه ، وهما ضعيفان ، وقد وثقا ، وبقية رجاله رجال الصحيح (٣) . وقال الفضيل بن عياض : يؤتى بالدنيا يوم القيامة في صورة عجوز شماء زرقاء ، أنيابها بادية مشوه خلقتها ، فتشرف على الخلائق ، فيقال : هل تعرفون هذه ؟ فيقولون : نعوذ بالله من معرفة هذه ، فيقال : هذه الدنيا التي تشاجرتم عليها وبها تقاطعتم الأرحام ، وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم ، ثم تقذف في جهنم فتنادى : أي رب أين أتباعي وأشياعي ؟ فيقول الله تعالى : ألحقوا بها أتباعها وأشياعها (٤) .

وعن غالب القطان عن رجل عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله

(١) التذكرة (٣٦٩) .

(٢) مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٤) .

(٣) مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٥) .

(٤) عزاه القرطبي (٣٧٠) لابن أبي الدنيا ، عن فضيل بن عياض من

صلى الله عليه وسلم : « ان العرافة حق ولا بد للناس من العرفاء ، ولكن العرفاء في النار » أخرجه أبو داود (١) . قال أهل العلم : العريف القيم بأمر القبيلة والمحلة يلي أمورهم ويتعرف أخبارهم ويعرف الأمير منه أحوالهم .

ومعنى قوله « ان العرافة حق » يريد أن فيها مصلحة للناس ورفقا بهم ألا تراه يقول : لا بد للناس من عرفاء ؟ .

وقوله « في النار » معناه التحذير من الرياسة والتأمر على الناس لما فيه من الفتنة ، والله أعلم .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ويل للأمرء ، وويل للأمناء ، وويل للعرفاء ، ليتنبن أقوام يوم القيامة أن ذوائبهم كانت معلقة بالثريا يتذبذبون بين السماء والأرض وانهم لم يعملوا عملا » أخرجه أبو داود الطيالسي (٢) .

وعن جبير بن مطعم عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا يدخل الجنة قاطع (٣) » رواه البخارى . قال سفيان : يعنى قاطع رحم . وعن عقبه بن عامر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يدخل الجنة صاحب مكس » . رواه أبو داود (٤) ومفهومهما أنهما يدخلان النار .

قال أهل العلم : صاحب المكس : هو الذى يعثر أموال الناس ، ويأخذ من التجار والمختلفين مالا يجب عليهم ، اذا مروا به ، مكسا باسم العشر والزكاة وليس هو الساعى الذى يأخذ الصدقات والحق الواجب للفقراء .

(١) قال المنذرى : فى اسناده مجاهيل (٤٠ / ١٩٦) . مختصر السنن .

(٢) منحة المعبود (٢ / ١٦٥) والحديث رواه أحمد وصححه الشيخ

شاكراً .

(٣) البخارى (٦ / ٨) .

(٤) قال المنذرى فى اسناده محمد بن اسحق (٤ / ١٩٨) .

قال القرطبي : ان التبديل اذا كان في الأعمال وليس هو في العقائد فصاحبه في المشيئة وان عذب فانه يخرج بالشفاعة ، وهكذا القول في أصحاب الكبائر المتوعد عليها بالنار واللعة ، فانهم يخرجون بالشفاعة اذا ارتكبوها على غير وجه الاستحلال (١) .

(باب)

(ما جاء في أول ثلاثة يدخلون النار)

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أول ثلاثة يدخلون النار : أمير متسلط وذو ثروة من مال لا يؤدي حقه وفقير فخور » أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة (٢) بطوله .

(باب)

(بعث النار وأول من يدعى يوم القيامة)

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان أول من يدعى يوم القيامة آدم عليه السلام فيقول يا آدم فيقول لييك وسعديك فيقول أخرج بعث جهنم من ذريتك ، فيقول يا رب كم أخرج ؟ فيقول أخرج من كل مائة تسعة وتسعين . قيل فما يبقى منا يا رسول الله ؟ قال ان أمتي في الأمم كالشعرة البيضاء في الثور الأسود » أخرجه البخاري (٣) .

(١) التذكرة (٣٧١) وما قبلها .

(٢) ذكره القرطبي (٣٧٢) .

(٣) بمعناه (١٢٧ / ٨) .

وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان ابراهيم يرى أباه يوم القيامة عليه الغبرة والقترة ، فيقول له ابراهيم : ألم أقل لك لا تعصني ؟ فيقول أبوه : اليوم لا أعصيك ، فيقول ابراهيم : يا رب انك وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون ، فأى خزى أخزى من أبى الأبعد ؟ فيقول الله تعالى : انى حرمت الجنة على الكافرين • ثم يقال : يا ابراهيم ما تحت رجلك ؟ فينظر فاذا هو بذبح متلخخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار ، أخرجه البخارى ^(١) ، والقترة : غبرة معها سواد ، والذبح : ذكر الضباع •

وفي الحديث دليل على أن الكافر في النار ، وان كان أباً أحد من الرسل ، وقد تعصب قوم أولهم السيوطى في أن أبوى النبی صلى الله عليه وسلم في الجنة ، واستدل لذلك بأخبار لا تصح ولا تثبت ، وتوقف قوم في ذلك ، وليس الخوض عندى في هذا الباب من شأن أهل العلم •

وقد ينجر هذا البحث الى اساءة الأدب في حق من لا يجوز الاساءة فيه ، والله أعلم بحال أبويه صلى الله عليه وسلم ومالهما يوم القيامة ، ولا يلحق عار ولا شئار له صلى الله عليه وسلم بكونهما في النار كما لا يلحق لابراهيم عليه السلام من كون أبيه فيها ، نعم لو جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك شيء وصح لوجب المصير اليه ولا يعبأ بأقوال الرجال وأباطيل الأخبار ومواضيع الآثار في أمثال هذه الأبحاث ، فلا يغتر المسلم بقول زيد وعمر ، بل عليه أن يكون على بصيرة من دينه وعلى بال من ايمانه وعلى سلامة من اسلامه ، ولا يخوض مع الخائضين ، فان الجهل بمقاصد الشرع وضعف العقول وفقدان الفهم قد غلب على الناس أولهم وآخرهم الا من عصمه الله تعالى وفقهه في الدين وقليل ما هم ، وقليل من عباده الشكور •

(١) وسياق من مجموع روايتين (١٠/ ١١٦) ، (٧/ ١٩٧) فتح البارى

وعن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله عز وجل يقول يوم القيامة لآدم عليه السلام : قم فجهز من ذريتك تسعمائة وتسعة وتسعين الى النار ، وواحدا الى الجنة ، فبكى أصحابه وبكوا ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ارفعوا رؤوسكم فوالذي نفسى بيده ، ما أمتى في الأمم الا كالشعرة البيضاء في الثور الأسود ، فخفف ذلك عنهم » رواه أحمد والطبراني قال في مجمع الزوائد (١) واسناده جيد .

وعن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله عز وجل يبعث مناديا ينادى يا آدم ان الله عز وجل يأمرك أن تبعث بعثا من ذريتك الى النار فيقول آدم : يا رب ومن كم ؟ قال فيقال له : من كل مائة تسعة وتسعين فقال رجل من القوم : من هذا الناجي منا بعد هذا يا رسول الله قال : هل تدرون ما أئتم في الناس الا كالشامة في صدر البعير » رواه أحمد وأبو يعلى وفيه ابراهيم بن مسلم الهجرى وهو ضعيف (٢) .

وعن ابن عباس قال : تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية وأصحابه عنده « يأيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم » (الحج ١) الى آخر الآية قال : هل تدرون أى يوم ذلك ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم قال ذاك يوم يقول الله عز وجل : يا آدم قم فابعث بعثا الى النار فيقول : وما بعث النار فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعون الى النار ، وواحدا الى الجنة ، فشق ذلك على القوم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انى لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة ، انى لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة ، ثم قال انى لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أعملوا وابشروا فانكم بين خليقتين

(١) مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٣) .

(٢) مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٣ - ٣٩٤) .

لم تكونا مع أحد الا كثرناه ، يأجوج ومأجوج وانما أنتم في الناس أو
قال الأعم الا كالشامة في جنب البعير أو كالرقمة في ذراع الدابة ، انما
أمتى جزء من ألف جزء • رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير هلال
ابن خباب وهو ثقة (١) •

وعن أنس قال : نزلت (يا أيها الناس اتقوا ربكم) الى قوله (ولكن
عذاب الله شديد) • (الحج ١) على النبي صلى الله عليه وسلم في مسير له
فرجع بها صوته ، حتى تاب اليه أصحابه فقال : « أتدرون أى يوم هذا ؟
يوم يقول الله لآدم قم فابعث بعثاً الى النار من كل ألف تسعمائة وتسعة
وتسعون الى النار ، وواحد الى الجنة فشق ذلك على المسلمين فقال النبي
صلى الله عليه وسلم : سدّدوا وقاربوا وأبشروا ، فوالذى نفسى بيده
ما أنتم في الناس كالشامة في جنب البعير أو كالرقمة في ذراع الدابة » ان
معكم لخليقتين ما كاتتا فى شىء قط الا كثرناه يأجوج ومأجوج ، ومن
هلك من كفره الجن والانس • رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح
غير محمد بن مهدى وهو ثقة كذا فى مجمع الزوائد (٢) •

(باب)

(ما جاء فى أول من تسعر بهم جهنم)

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « ان أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتى به
فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهد

(١) مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٤) •

(٢) مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٤) •

قال: كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال: جرىء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه، حتى ألقى في النار. ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن، فأثنى به، فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن قال: كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقل عالم، وقرأت القرآن ليقل: هو قاريء فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار.

ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله، فأثنى به، فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت لك، قال: كذبت ولكنك فعلت ليقل: جواد فقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقى في النار» أخرجه مسلم^(١) والترمذي بمعناه وقال في آخره: ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ركبتى فقال: يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة.

(باب)

(ما جاء في جهنم وأنها أدراك ولمن هي؟)

وانما قلنا أدراك ولم نقل درجات، لاستعمال العرب لكل ما تسافل «درك» ولما تعالى «درج» فيقال للجنة درج وللنار درك، والمنافقون في الدرك الأسفل منها وهي الهاوية لغلط كفرهم وكثرة غوائلهم وتمكنه من أذى المؤمنين، والنار دركات سبعة: أى طبقات ومنازل.

عن كعب الأحبار: «ان في النار لبثرا ما فتحت، أبوابها مغلقة

(١) مسلم (١٥١٤٣) الترمذي (٤ / ٥٩٢ - ٥٩٣).

ما جاء على جهنم يوم منذ خلقها الله تعالى الا تستعد بالله من شر تلك البئر، مخافة اذا فتحت تلك البئر أن يكون فيها من عذاب الله ما لا طاقة لها به ولا صبر لها عليه وهى الدرك الأسفل من النار» رواه ابن وهب عن طريق ابن زيد •

وعن ابن مسعود رضى الله عنه فى قوله تعالى « ان المنافقين فى الدرك الأسفل من النار » (النساء ١٢٥) قال : « توايت من حديد نصبت عليهم فى أسفل النار » أخرجه ابن المبارك (١) • وعن على قال : هل تدرون كيف أبواب جهنم ؟ قلنا : هى مثل أبوابنا هذه ؟ قال : لا هى هكذا ، بعضها فوق بعض » رواه ابراهيم بن هارون الغنوى ، قال أهل العلم : أعلى الدركات جهنم ، وهى مختصة بالعصاة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وهى التى تخلو من أهلها فتصفق الرياح أبوابها ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية •

قال القرطبى (٢) وقد يقال للدركات درجات ، لقوله تعالى « ولكل درجات مما عملوا » (الأحقاف ١٩) وقع فى كتاب الزهد والرقائق أسماء هذه الطبقات وأسماء أهلها من أهل الأديان على ترتيب لم يرد فى أثر صحيح ، قال الضحاك : فى الدرك الأعلى المحمديون ، وفى الثانى : وفى الثالث : اليهود ، وفى الرابع : الصابئون ، وفى الخامس : المجوس ، وفى السادس : مشركو العرب ، وفى السابع : المنافقون •

وقال معاذ بن جبل وذكر علماء السوء : « من اذا وعظ عنف ، واذا وعظ أنف ، فذاك فى أول درك من النار ، ومن العلماء من يأخذ علمه مأخذ السلطان ، فذلك فى الدرك الثانى من النار ، ومن العلماء من يخزن علمه ، فذلك فى الدرك الثالث من النار ، ومن العلماء من يتخير الكلام والعلم

(١) الزهد والرقائق (٨٦٦) •

(٢) التذكرة (٣٨٢) •

لوجوه الناس ، ولا يرى سفلة الناس له موضعاً ، فذلك في الدرك الرابع من النار ، ومن العلماء من يتعلم كلام اليهود والنصارى وأحاديثهم ليكثر حديثهم ، فذلك في الدرك الخامس من النار ، ومن العلماء من ينصب نفسه للفتيا ، يقول للناس : سلوني ، فذلك الذي يكتب عند الله متكلفاً ، والله لا يحب المتكلفين ، فذلك في الدرك السادس من النار ، ومن العلماء من يتخذ علمه مروءة وعقلاً ، فذلك في الدرك السابع من النار « ذكره غير مروءة وعقلاً ، فذلك في الدرك السابع من النار » ذكره غير واحد من العلماء قال القرطبي (١) مثله لا يكون رأياً وإنما يدرك توفيقاً .

ثم من هذه الأسماء ما هو اسم علم النار كلها بجملتها نحو جهنم ، وسقر ، ولظى ، وسموم ، فهذه أعلام وليست لباب دون باب فاعلم وفي التنزيل (ووقانا عذاب السموم) « الطور (٢٧) » يريد النار ، أجازنا الله منها بجاه محمد صلى الله عليه وسلم وآله (٢) .

(باب)

(ما جاء أن جهنم تسعر كل يوم وتفتح أبوابها الا يوم الجمعة)

عن عبد الله بن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان جهنم تسعر كل يوم ، وتفتح أبوابها الا يوم الجمعة ، فانها لا تسعر يوم الجمعة ولا تفتح أبوابها » أخرجه أبو نعيم وهذا غريب من حديثه ، ومكحول لم يكتبه الا من حديث النعمان ، قال القرطبي (٣) : ولهذا المعنى كانت النافلة جائزة يوم الجمعة عند قائم الظهيرة دون غيرها من الأيام والله عز وجل أعلم .

(١) التذكرة (٣٨٣) .

(٢) في التذكرة (٣٨٣) : أجازنا الله منها بجاهه وكرمه أمين .

(٣) التذكرة (٣٨٣) .

(باب)

(ما جاء أن جهنم لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم)
تقدم الكلام على ذلك في الباب الثاني من الآيات الكريمة

عن ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لجهنم سبعة أبواب : باب منها لمن سل السيف على أمتي أو قال أمة محمد صلى الله عليه وسلم خرجه الامان الحافظان أبو عبد الله وأبو عيسى وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه الا من حديث مالك بن مغول رحمه الله ، قال القرطبي ^(١) : مالك بن مغول أبو عبد الله البجلي الكوفي ، أمام ثقة خرج له البخاري ومسلم والأئمة •

وقال أبي بن كعب : لجهنم سبعة أبواب باب منها للحرورية ، وعن عطاء الخراساني قال ان لجهنم سبعة أبواب أشدها غما وكرهاً وحرأ وأتنتها ريحاً للزناة الذين ارتكبوا بعد العلم • رواه أبو نعيم الحافظ •

وعن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الله تعالى يعنى الآية المتقدمة « جزء أشركوا بالله ، وجزء شكوا في الله وجزء غفلوا عن الله ، آثروا شهواتهم على الله ، وجزء شفوا غيظهم بغضب الله ، وجزء صيروا رغبتهم بحظهم عن الله وجزء عتوا على الله » ذكره الحليمي في كتاب منهاج الدين له وقال : فان كان ثابتاً ^(٢) فالمشركون بالله : هم : الثنوية والشاكون هم الذين لا يدرون أن لهم الهاً أو لا اله لهم ، أو يشكون في شريعته أنها من عنده أم لا • والغافلون :

(١) التذكرة (٣٨٣) الترمذي (٥ / ٢٩٧) والمسند (١ / ٥٦) باسناد صحيح •

(٢) ليس بثابت ، فقد عزاه في تنزيه الشريعة (٣٧٩ / ٢) للخطيب ، قال : وفيه سلام الطويل ، قال أحمد : منكر الحديث ، وقال النسائي : متروك (١٧٥ / ٢) ميزان الاعتدال •

ملحوظة : (صواب هذا الهامش هنا ، وما الحق بهامش الصفحة التالية ١١٣ خطأ ، فتنبه لذلك) •

هم الذين يجحدونه أصلاً ولا يثبتونه ، وهم الدهرية ، والمؤثرون شهواتهم على الله : هم المنهمكون في المعاصي ، لتكذيبهم برسول الله ، وأمره ونهيه ، والشافون غيظهم بغضب الله تعالى : هم القاتلون أنبياء الله ، وسائر الداعين له ، المعذبون من ينصح لهم ، أو يذهب غير مذهبهم ، والمصرون رغبتهم بحظهم من الله تعالى : هم المنكرون للبعث والحساب ، والعاتون على الله : هم الذين لا يبالون بأن يكون ما هم فيه حقا أو باطلا فلا يتفكرون ولا يعتبرون ولا يستدلون والله أعلم بما أراد رسوله صلى الله عليه وسلم ان كان الحديث ثابتاً .

(باب)

« في بعد أبواب جهنم بعضها من بعض »

وما أعد الله تعالى فيها من العذاب

قال بعض أهل العلم^(١) في قوله تعالى : (لكل باب منهم جزء مقسوم) قال من الكفار ، والمنافين والشياطين ، بين الباب والباب خمسمائة عام فالباب الأول : يسمى جهنم لأنه يتجهنم في وجوه الرجال والنساء ، فيأكل لحومهم ، وهو أهون عذاباً من غيره ، والباب الثاني : يقال له : لظى نزاعة للشوى ، ويقول آكله لليدين والرجلين (تدعو من أدبر) عن التوحيد (وتولى) عما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ، والباب الثالث : يقال له سقر ، وانما سمي سقر لأنه يأكل لحوم الرجال والنساء لا يبقى لهم لحماً على عظم ، والباب الرابع يقال له : الحطمة . فقد قال تعالى (وما أدراك ما الحطمة) الآية تحطم العظام ، وتحرق الأفتدة : قال تعالى (التي تطلع على الأفئدة) تأخذه النار من قدميه ، وتطلع على فؤاده ، وترمى بشرر كالقصر ، كما قال تعالى : (ترمى بشرر كالقصر كأنه جمالة صفر) الآية يعني سوداً فتطلع الشرر الى السماء ، ثم تنزل فتحرق وجوههم وأيديهم وأبدانهم ، فيكون الدمع حتى ينفذ ،

(١) عزاه في تنزيه الشريعة (٣٧٩/٢) للخطيب قال : وفيه سلام الطويل قال أحمد : منكر الحديث وقال النسائي : متروك الميزان (١٧٥/٢)

ثم سيكون الدماء ، ثم سيكون القيح حتى تنفذ ، حتى ان السفن لو أرسلت تجرى فيما خرج من أعينهم لجرت ، والباب الخامس يقال له الجحيم وانما سمي الجحيم لأنه عظيم ، الجمرة الواحدة منه أعظم من الدنيا •

والباب السادس : يقال له : السعير وانما سمي السعير لأنه يسعر منذ خلق ؛ فيه ثلاثمائة قصر في كل قصر ثلاثمائة بيت في كل بيت ثلاثمائة لون من العذاب وفيه الحيات ، والعقارب ، والقيود ، والسلاسل ، والأغلال ، والأنكال ، وفيه جب الحزن ، ليس في النار عذاب أشد منه ، اذا فتح باب الجب حزن أهل النار حزناً شديداً • الباب السابع : يقال له الهاوية من وقع فيه لم يخرج منه أبداً • وفيه بئر الهباب اذا فتح تخرج منه نار تستعيز منه النار ، وفيه الذى قال الله عز وجل (سأرهقه صعوداً) أو جبل من نار تصعده أعداء الله على وجوههم مغلولة أيديهم الى أعناقهم مجموعة أعناقهم الى أقدامهم والزبانية وقوف على رؤوسهم بأيديهم مقامع من حديد ، اذا ضرب أحدهم بالمقعة ضربة سمع صوتها الثقلان ، وأبواب النار حديد ، فرشها الشوك ، غشاوتها الظلمة أرضها نحاس ورصاص وزجاج ، النار من فوقهم ، والنار من تحتهم ، لهم من فوقهم ظلل من النار • ومن تحتهم ظلل أوقد عليها ألف عام حتى احمرت وألف عام حتى ابيضت ، وألف عام حتى اسودت ، فهي سوداء مدلهمة مظلمة ، قد مزجت بغضب الله •

ذكره القتيبي في كتاب عيون الأخبار •

وذكر عن ابن عباس أن جهنم سوداء مظلمة لا ضوء لها ولا لهب ، وهى كما قال تعالى (لها سبعة أبواب) على كل باب سبعون ألف جبل على كل جبل سبعون ألف شعب من النار ، في كل شعب سبعون ألف شق من نار ، في كل شق سبعون ألف واد من نار ، في كل واد سبعون ألف قصر من النار ، في كل قصر سبعون ألف حية وسبعون ألف عقرب ، لكل عقرب سبعون ألف ذنب ، لكل ذنب سبعون ألف تقار لكل تقار

سبعون ألف قلة من سم ، فاذا كان يوم القيامة كشف عنها الغطاء فتطير منها سرادق عن يمين الثقلين وآخر عن شمالهم وسرادق أمامهم وسرادق من فوقهم وآخر من ورائهم ، فاذا نظر الثقلان الى ذلك جثوا على ركبهم وكل ينادى رب سلم سلم •

قال القرطبي (١) : ومثله لا يقال من جهة الرأى ، فهو توقيف لأنه اخبار عن مغيب • انتهى •

ثم نقل عن وهب بن منبه نحوه • وأقول : وهب يحدث عن الاسرائيليين كثيرا ، ولا يقبل مثل ذلك عنه ، ولا عن أمثاله ونظرائه الا أن يرد به دليل من الكتاب أو السنة الصحيحة ، وما ورد في ذلك من القرآن والحديث يكفى ، ويشفى ويغنى عن غيره •

(باب)

(ما جاء فى عظم جهنم وأزمتها)

وكثرة ملائكتها وفى عظم خلقهم وتفلتها من أيديهم

وفى قمع النبى صلى الله عليه وسلم اياها وردها عن أهل الموقف

عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام (٢) سبعون ألف ملك يجرونها » أخرجه مسلم • ورواه الطبرانى عن عبد الله بن مسعود أيضا عن النبى صلى الله عليه وسلم ولفظه « يجاء بجهنم ، تقاد بسبعين ألف زمام ، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها » قال فى مجمع الزوائد (٣) : رجاله رجال الصحيح غير حفص ابن عمر بن الصباح ، وقد وثقه ابن حبان • انتهى •

(١) التذكرة (٣٨٦) .

(٢) مسلم (٢١٨٤/٤) الزمام ما يزوم به الشئ أى يشد ويربط .

(٣) مجمع الزوائد (٣٨٨/١٠) .

زاد زيد بن أسلم : « فيبناهم اذ شردت عليهم شرده انفلتت من أيديهم ، فلولا أنهم أدركوها لأحرقت من في الجمع فأخذوها (١) » .
 ذكره ابن وهب بطوله ، وزاد أبو حامد في كتاب (كشف علم الآخرة)
 « فيجثو كل من في الموقف على الركب حتى المرسلين ، ويجعل كل واحد منهم يقول : نفسى نفسى لا أسلك اليوم غيرها ، ومحمد صلى الله عليه وسلم يقول : أمتى أمتى سلمها ونجها يارب . وليس في الموقف من تحمله ركبته ، وهو قوله تعالى : « وترى كل أمة جاثية ، كل أمة تدعى الى كتابها » (الجاثية ٢٨) الى آخر ما قال ، وملائكة النار كما وصفهم الله تعالى « غلاظ شداد » .

وعن عبد الرحمن بن زيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في خزلة جهنم : « ما بين منكبى أحدهما كما بين المشرق والمغرب »
 رواه ابن وهب (٢) . وقال ابن عباس : ما بين منكبى الواحد منهم مسيرة سنة ، وقوة الواحد منهم أن يضرب بالمقمعة ، فيدفع بتلك الضربة سبعين ألف انسان في قعر جهنم .

وأما قوله تعالى « عليها تسعة عشر » فالمراد رؤسائهم كما تقدم في باب الآيات ، وأما جملتهم ، فالعبارة عنهم كما قال تعالى : « وما يعلم جنود ربك الا هو » (المدثر ٣١) قال أهل العلم : انما خص النبي صلى الله عليه وسلم بردها وقمعها وكفها عن أهل المحشر دون غيره من الأنبياء ، لأنه رآها في مسراه ، وعرضت عليه في صلاته حسب ما ثبت في الصحيح ، وفي ذلك فوائد ثمان ذكرها القرطبي (٣) في التذكرة ليس في ذكرها هنا كثير فائدة .

(١) وهو ضعيف لارساله .

(٢) عبد الرحمن بن زيد تابعى والحديث مرسل ضعيف .

(٣) التذكرة (٣٨٨ - ٣٨٩) وقد ذكر الآثار والأحاديث قبلها .

(باب)

(في كلام جهنم وذكر أزواجها وأنه لا يجوزها الا من عنده جواز)

عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اذا جمع الله الخلائق في صعيد واحد يوم القيامة ، أقبلت النار ، يركب بعضها بعضا ، وخزنتها يكفونها ، وهى تقول : وعزة ربى ليخلين بينى وبين أزواجى أو لأغشين الناس عنقاً واحداً ، فيقولون من أزواجك ؟ فتقول : كل متكبر جبار ، أخرجه الحافظ أبو محمد عبد الغنى ^(١) . وفى قوله تعالى : « وفى قوله تعالى : « وتقول هل من مزيد » (ق ٣٠) دلالة على كلام جهنم واضحة لا خفاء بها ، وفى حديث أنس بن مالك يرفعه : تقول جهنم لا يجوزنى الا من عنده جواز . قال النبى صلى الله عليه وسلم : يا جبريل ما الجواز يوم القيامة ؟ قال : أبشر وبشر ألا من شهد أن لا اله الا الله جاز جسر جهنم . الحديث ذكره القرطبى ^(٢) .

(باب)

(ما جاء أن التسعة عشر خزنة جهنم)

قال تعالى (عليها تسعة عشر)

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : قال : ناس من اليهود لأناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : هل يعلم نبيكم عدد خزنة جهنم ؟ قالوا : لا ندرى حتى نسأل نبينا فجاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد غلب أصحابك اليوم ، فقال : وبم غلبوا ؟ .

(١) وسيأتى الكلام عليه .

(٢) التذكرة (٢٨٩ - ٢٩٠) .

قال سألهم يهود هل يعلم نبيكم عدد خزنة جهنم ؟ قال : فما قالوا ؟ ، قال : قالوا لا ندري حتى نسأل نبينا قال : أيغلب قوم سئلوها عما لا يعلمون ، فقالوا لا نعلم حتى نسأل نبينا ولكنهم قد سألوا نبيهم فقالوا : (أرنا الله جهرة) : على بأعداء الله اني سألتهم فلما جاءوا قالوا يا أبا القاسم : كم عدد خزنة جهنم ؟ قال : هكذا وهكذا ، في مرة عشرة ، وفي مرة تسع ، قالوا : نعم » الحديث رواه الترمذى ^(١) وقال : هذا حديث غريب ، انما نعرفه من هذا الوجه من حيث مجالد .

(باب)

(ما جاء في سعة جهنم وعظم سرادقها)

« تقدم ما ورد من الآيات في بابها »

عن مجاهد عن ابن عباس قال : أتدري ما سعة جهنم ؟ قلت : لا . قال أجل والله ما تدري ، ان بين شحمة أذنى أحدهم وبين عاتقه مسيرة سبعين خريفاً تجرى فيها أودية القيح والدم ، قلت له : أنهار ؟ قال : لا بل أودية ، ثم قال : أتدري ما سعة جهنم ؟ قلت : لا أدري ، قال : أجل والله ما تدري ، حدثتني عائشة أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله « والأرض جميعا قبضته يوم القيامة » (الزمر ٦٧) قالت : قلت : فأين الناس يومئذ ؟ قال على جسر جهنم » أخرجه بن المبارك والترمذى ^(٢) وصححه : قال في مجمع الزوائد : ورواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير عبسة بن سعيد وهو ثقة .

(١) الترمذى ٥ (٤٢٩ - ٤٣١) قلت : وفي مجالد مقال .

(٢) الترمذى (٣٧٢/٥) مقتصرا على النصف الآخر والتذكرة

(٣٩٠ - ٣٩١) بتمامة والزهد (٨٥/٥) .

وعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« لسرادق النار أربعة جدر كثف كل جدار مثل مسيرة أربعين سنة »
ذكره ابن المبارك وخرجه الترمذى ^(١) أيضا وقال عبد الله بن مسعود :
ان جهنم لتضيق على الكافر كتضيق الزج على الرمح ^(٢) وذكره الثعلبي
والقشيدى عن ابن عباس •

(باب)

(ما جاء فى أن الشمس والقمر يقذفان فى النار)

عن عطاء بن يسار أنه تلا هذه الآية « وجمع الشمس والقمر »
(القيامة ٩) قال : يجمعان يوم القيامة ثم يقذفان فى النار فتكون نار الله
الكبرى •

وعن يزيد الرقاشى عن أنس يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم
قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الشمس والقمر ثوران عقيران
فى النار : أخرجه أبو داود الطيالسى • قال فى مجمع الزوائد ورواه
أبو يعلى وفيه ضعف قد وثقوا ^(٣) •

قال القرطبى ^(٤) كذا الرواية « ثوران » بالمثلثة وانما يجمعان فى
جهنم لأنهما قد عبدا من دون الله ، ولا تكون النار عذابا لهما لأنهما
جماد ، وانما يفعل ذلك بهما زيادة فى تبيكت الكافرين وحسرتهم ،
وهكذا قال بعض أهل العلم •

(١) الترمذى (٧٠٦/٤) وفى اسناده : رشدين بن سعد ، وفيه
مقال ، قد تكلم فيه من قبل حفظه . افاده الترمذى عقيب - الزهد
. (٩٠/٥)

(٢) ذكره ابن المبارك (٨٦/٥) •

(٣) مجمع الزوائد (٣٩٠/١٠) ومنحة المعبود (٧٩/٢) •

(٤) التذكرة (٢٩٢) •

(باب)

(ما جاء في صفة جهنم وحرها وشدة عذابها أجارنا الله منها)

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أوقد على النار ألف سنة حتى أحمرت ، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى أسودت فهي سوداء مظلمة » رواه مالك والترمذي ^(١) وهذا لفظه قال : الموقوف في هذا الباب أصح ولا أعلم أحدا رفعه غير يحيى بن أبي بكير عن شريك ، وعنه موقوفاً مثله ، وقال « فهي سوداء كالليل » مكان « سواد مظلمة » رواه ابن المبارك ^(٢) وعنه أنه قال : ترونها كقاركم لهي أشد سواداً من القار ، والقار : الزفت .

وعنه قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتدرون ما مثل ناركم هذه من نار جهنم ؟ لهي أشد من ناركم هذه بسبعين ضعفاً » رواه الطبراني في الأوسط ، قال في مجمع الزوائد ^(٣) : ورجاله رجال الصحيح ، وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هذه النار جزء من مائة جزء من جهنم » رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

وعن سلمان قال : « النار سوداء لا يضيء لهبها ولا جبرها » .

وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « نار ابن آدم التي يوقدون منها جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم فقالوا : يا رسول الله وإن كانت لكافية قال فأنها فضلت بتسعة وستين جزءاً » . أخرجه مالك ومسلم وزاد : كلها مثل حرها .

(١) الترمذي (٧١٠/٤) .

(٢) الزهد (٨٨/٥) .

(٣) مجمع الزوائد (٣٨٧/١٠) .

وفي تيسير الوصول الى أحاديث جامع الأصول أخرجہ الثلاثة والترمذی وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم ، ولولا أنها أطفئت بالماء مرتين ما انتفعتم بها وأنها لتدعو الله أن لا يعيدها فيها » رواه ابن ماجه (١) ورواه البزار عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم بلفظ أنه ذكر نار جهنم فقال : « أنها لجزء من سبعين جزءا من نار جهنم ، وما وصلت اليكم حتى - أحسبه قال - نضحت مرتين بالماء ، لتضىء لكم ، ونار جهنم سوداء مظلمة » قال في مجمع الزوائد (٢) ورجاله ضعفاء على توثيق لين فيهم •

وعن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الرؤيا الصالحة بشرى وهى جزء من سبعين جزءا من النبوة وان ناركم - يعنى هذه - جزء من سبعين جزءا من سموم جهنم ومادام العبد ينتظر الصلاة فهو فى صلاة ما لم يحدث » رواه البزار وفيه عيب بن اسحاق العطار وهو متروك ووثقه ابن حبان ، وبقية رجاله رجال الصحيح قاله فى مجمع الزوائد (٣) •

وعن أبى هريرة نحوه مرفوعا وقال : « ولو أنها ضربت بالماء مرتين ما كان لأحد فيها منفعة » خرجہ سفیان بن عيينة ، وفى خبر عن ابن عباس : « هذه النار قد ضربت بماء البحر سبع مرات ، ولولا ذلك ما انتفع بها » ذكره أبو عمرو • وقال عبد الله بن مسعود : « لولا أنها ضرب بها البحر عشر مرات ما انتفعتم بشيء منها » وسئل ابن عباس عن

(١) برقم ٤٣١٨ وأخرجه الحاكم ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ، أفاده البوصيرى •
(٢،٣) مجمع الزوائد (٣٧٨/١٠) •

نار الدنيا مما خلقت ؟ فقال من نار جهنم ، غير أنها طمئت بالماء سبعين مرة ، ولولا ذلك ما قربت لأنها من نار جهنم (١) .

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة ، فيصبغ في النار صبغة ثم يقال : يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط ؟ هل مر بك نعيم قط ؟ فيقول : لا والله يا رب . »

ويؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا ، من أهل الجنة فيصبغ صبغة في الجنة فيقال له : يا ابن آدم هل رأيت بؤساً قط ؟ هل مر بك شدة قط ؟ فيقول : لا والله يا رب ما مر بى بؤس قط ولا رأيت شدة قط . »

أخرجه مسلم (٢) وأخرجه ابن ماجه (٣) أيضاً عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يؤتى يوم القيامة بأنعم أهل الدنيا من الكفار ، فيقال : اغمسوه في النار غمسة ، فيغمس فيها ثم يقال له أى فلان هل أصابك نعيم قط ؟ فيقول : لا ما أصابنى نعيم قط ، ويؤتى بأشد المؤمنين ضراً وبلاء ؟ فيقال اغمسوه غمسة في الجنة ، فيغمس فيها غمسة فيقال له أى فلان هل أصابك ضر قط أو بلاء ؟ فيقول لا ما أصابنى قط ضر ولا بلاء . »

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو أن جهنميا من أهل جهنم أخرج كفه الى أهل الدنيا ، حتى يبصروها لأحرقت الدنيا من حرها ، ولو أن خازناً من خزنة جهنم خرج الى أهل الدنيا حتى يبصرونه لمات أهل الدنيا حين يبصرونه من غضب الله »

(١) ذكرها جميعاً القرطبي (٣٩٤) .

(٢) مسلم (٢١٦٢/٤) .

(٣) برقم ٤٣٢١ وذكره القرطبي (٣٩٥) .

أخرجه ابراهيم بن هدية * ، وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو كان في المسجد مائة ألف أو يزيدون ثم تنفس رجل من أهل النار لأحرقهم » أخرجه البزار (١) .

(باب)

(ما جاء في شكوى النار وكلامها وبعد قعرها وأهوالها وفي قدر

الحجر الذي يرمى به فيها . أجازنا الله ، منها ومن أهوالها)

روى الأئمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اشتكت النار الى ربها فقالت رب أكل بعضى بعضاً فجعل لها نفسين نفساً في الشتاء ونفساً في الصيف فشدة ما يجدون من البرد زمهريرها وشدة ما يجدون من الحر من سمومها » أخرجه البخاري ومسلم والترمذي ورواه أبو يعلى عن أنس بن مالك ولفظه « فشدة ما تجدون من الحر من حرها وشدة ما تجدون من البرد من زمهريرها » قال في مجمع الزوائد (٢) وفيه زياد النيسري وهو ضعيف عند الجمهور ، انتهى .

(قلت) وأصله في الصحيح كما عرفت ، وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان جهنم قالت : يارب ائذن لي في نفس ، فاني أخشى أن أفيض على خلقك فأذن لها بنفسين في كل سنة

(*) وهو حديث باطل وسيأتي الكلام على ابراهيم بن هدية .
 (١) قال في مجمع الزوائد (٣٩١/١٠) : وفيه عبد الرحيم بن هارون وهو ضعيف ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال يعتبر حديثه اذا حدث من كتابه فان في حديثه من حفظه بعض مناكير ، وبقيته رجاله رجال الصحيح .

(٢) مجمع الزوائد (٣٨٨/١٠) .

مرتین ، فشدة الحر من فيحها وشدة البرد من زمهريرها » رواه البزار ورجاله رجاله الصحيح قال الهشمى في مجمع الزوائد (١) .

وعن أبى سعيد الخدرى قال : « سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوتا هائلا ، فأتاه جبريل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما هذا الصوت يا جبريل ؟ فقال : هذه صخرة هوت من شفير جهنم من سبعين عاما فهذا حين بلغت قعرها فأحب الله أن يسمعك صوتها ، فما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ضاحكا ملء فيه حتى قبضه الله » رواه الطبرانى في الأوسط وفيه اسماعيل بن قيس الأنصارى وهو ضعيف قاله في مجمع الزوائد (٢) .

وعن أبى هريرة قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ سمع وجبة فقال النبى صلى الله عليه وسلم « تدرون ما هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ، قال : هذا حجر رمى به فى النار منذ سبعين خريفا فهو يهوى فى النار الى الآن حتى انتهى الى قعرها » أخرجه مسلم (٣) وعن الحسن قال : قال عتبة بن غزوان على منبرنا هذا - يعنى منبر البصرة - عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ان الصخرة العظيمة لتلقى من شفير جهنم فتهدى فيها سبعين عاما وما تقضى الى قرارها ، قال وكان عمر يقول : أكثروا ذكر النار فان حرها شديد وان قعرها بعيد وان مقامها حديد » رواه الترمذى (٤) وقال لا نعرف للحسن سماعا من عتبة ابن غزوان ، وانما قدم عتبة بن غزوان البصرة فى زمن عمر ، وولد الحسين لسنتين بقيتا من خلافة عمر .

وعن لقمان بن عامر قال جئت أبا أمامة فقلت : حدثنا ما سمعت من

(١) مجمع الزوائد (٣٨٨/١٠) وفيه رواه الطبرانى .
 (٢) مجمع الزوائد (٣٨٩/١٠) - الترغيب (٨٨٣/٤) .
 (٣) مسلم (٢١٨٤/٤) .
 (٤) الترمذى (٧٠٢/٤) .

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو أن صخرة وزنت عشر خلفات ، قذف بها من شفير جهنم ، ما بلغت قعرها سبعين خريفا حتى تنتهي الى غي وأثام قيل : وما غي وأثام ؟ قال : بئران في جهنم يسيل منهما صديد أهل النار وهما اللذان ذكرهما الله تعالى في كتابه (أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا) وقوله (ومن يفعل ذلك يلقى أثاما) رواه الطبراني ^(١) وفيه ضعفاء قد وثقهم ابن حبان ، وقال : يخطئون •

وعن الزهري قال بلغنا أن معاذ بن جبل كان يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « والذي نفس محمد بيده ان ما بين شفة النار وقعرها ، لصخرة زنة سبع حلقات بشحومهن ولحومهن وأولادهن ، تهوى من شفة النار قبل أن تبلغ قعرها سبعين خريفا » • أخرجه ابن المبارك وروى الطبراني نحوه ، وفيه راو لم يسم وبقيّة رجاله رجال الصحيح قاله في مجمع الزوائد ^(٢) •

وعن أبي أمامة قال : ان ما بين شفير جهنم الى قعرها مسيرة سبعين خريفا من حجر يهوى — أو قال صخرة تهوى — عظمها كعشر عشرات عظام سمان ، فقال له مولى لعبد الرحمن بن خالد بن الوليد : هل تحت ذلك من شيء يا أبا أمامة ؟ قال : نعم غي وأثام ، رواه ابن المبارك ^(٣) •

وعن أبي موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو أن

(١) مجمع الزوائد (٣٨٩/١٠) والخلفة بفتح الخاء وكسر اللام . الحامل من النوق وهو في الترغيب (٨٨٤/٤) ، قال المنذرى : رواه الطبراني والبيهقي مرفوعا ورواه غيرهما موقوفا وهو أصح .

(٢) مجمع الزوائد (٣٨٩/١٠) والتذكرة (٣٩٦) والترغيب (٨٨٤/٤) والزهد (٨٦/٥) •

(٣) التذكرة (٣٩٦) الزهد (٨٩/٥) • عشرات : جمع عشراء : الناقة الحامل عشرة أشهر أو ثمانية •

حجرا كسبع خلفات بشحومهن وأولادهن ألقى في جهنم لهوى سبعين عاما لا يبلغ قعرها رواه أبو يعلى وفيه يزيد بن أبان الرقاشى وهو ضعيف وقد وثق وبقية رجاله رجال الصحيح كذا في مجمع الزوائد (١) .

وعن أبى موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو أن حجرا قذف به في جهنم لهوى سبعين خريفا قبل أن يبلغ قعرها « رواه أبو يعلى والبزار بنحوه وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط ، وبقية رجالهما ثقات (٢) » .

وعن بريدة عن النبى صلى الله عليه وسلم : « لو أن حجرا يهوى في جهنم لما وصل الا قعرها سبعين خريفا » رواه البزار والطبرانى وفيهما محمد بن أبان الجعفى وهو ضعيف .

وعن خالد بن عمير العدوى قال : خطبنا عتبة بن غزوان ، وكان أميرا على البصرة ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فإن الدنيا قد أذنت بصرم وولت حذاء ولم يبق منها الا صباة الاناء يتصاها صاحبها ، وانكم منتقلون منها الى دار لا زوال لها فاتتقلوا بخير ما بحضرتكم فانه قد ذكر لنا أن الحجر يلقي من شفة جهنم فيهوى فيها سبعين عاما لا يدرك لها قعرا ، والله لتملأن « الحديث أخرجه مسلم ، (٣) قال كعب : لو فتح من نار جهنم قدر منخر ثور بالشرق ورجل بالمغرب لغلى دماغه حتى يسيل من حرها ، وإن جهنم لتزفر زفرة لا يبقى ملك

(١) مجمع الزوائد (٤٨٩/١٠) .

(٢) الترغيب (٨٨٢/٤) .

(٣) مسلم (٢٧٨/٤) ، وأذنت : أعلمت ، والصرم « بضم الصاد » . الانتطاع والذهاب ، حذاء . بتشديد الذال . سرعة الانتطاع ، الصباة بضم الصاد . البقية من الشرب في أسفل الاناء .

مقرب ولا نبى مرسل ، الا خر جائيا على ركبتيه ويقول نفسى نفسى ذكره
القرطبي (١) ♦

(باب)

(ما جاء فى أن النار لها عينان وعنق وأذن ولسان)

ذكر رزين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من كذب على
متعمداً فليتبوأ بين عيني جهنم مقعداً ، قيل : يا رسول الله ولها عينان ؟
قال : أما سمعتم الله يقول (اذا رأته من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً
وزفيراً) يخرج عنق من النار له عينان تبصران ولسان ينطق فيقول :
وكلت بمن جعل مع الله الها آخر فلو أبصر بهم من الطير بحب السمسم
فيلتقطه من البرية » ♦

وفى رواية أخرى : فيخرج عنق من النار ، فيلتقط الكفار لقط الطائر
حب السمسم ، صححه أبو محمد بن العربى فى قيسه وقال : أى يفصلهم
عن الخلق فى المعرفة كما يفصل الطائر حب السمسم من البرية (٢) ♦

وعن أبى سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يخرج
عنق من النار يوم القيامة ، فيكلم بلسان طلق ذلق لها عينان تبصر بهما
ولها لسان تكلم به ، فيقول انى أمرت بمن جعل مع الله الها آخر ؛ وبكل
جبار عنيد ، ومن قتل نفساً بغير نفس ، فتتعلق بهم قبل سائر الناس
بخمسمائة عام » وفى رواية فتتنطوى عليهم فتقذفهم فى جهنم ، رواه
البزار واللفظ له وأحمد باختصار ، وأبو يعلى بنحوه والطبرانى فى
الأوسط ، وأحد اسناده الطبرانى رجاله رجال الصحيح (٣) ♦

(١ ، ٢) التذكرة (٢٩٧) .

(٣) مجمع الزوائد (٣٨٩ / ١٠)

وعن أبي سعيد قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : « اذا جمع الله الناس في صعيد واحد يوم القيامة ، أقبلت النار يركب بعضها بعضاً ، وخزنتها يكفونها ، وهى تقول : وعزة ربى ليخلى بينى وبين أزواجى ، أو لأغشى الناس عنقاً واحدة ، فيقولون : ومن أزواجك ؟ فتقول : كل متكبر جبار ، فتخرج لسانهم فتلتقطهم من بين ظهرانى الناس ، فتقذفهم فى جوفها ، ثم تستأخر ، ثم تقبل يركب بعضها بعضاً ، وخزنتها يكفونها ، وهى تقول : وعزة ربى ليخلى بينى وبين أزواجى ، أو لأغشى الناس عنقاً واحدة ، فيقولون : ومن أزواجك ؟ فتقول : كل جبار كفور ، فتلتقطهم بلسانها من بين ظهرانى الناس ، فتقذفهم فى جوفها ، ثم تستأخر ، ثم تقبل يركب بعضها بعضاً ، وخزنتها يكفونها ، وهى تقول : وعزة ربى ليخلى بينى وبين أزواجى ، أو لأغشى الناس عنقاً واحدة ، فيقولون : ومن أزواجك ؟ فتقول : كل مختال فخور ، فتلتقطهم بلسانها ، فتقذفهم فى جوفها • ثم تستأخر ويقضى الله بين العباد » رواه أبو يعلى ورجاله وثقوا الا أن ابن اسحق مدلس ، قاله فى مجمع الزوائد (١) .

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تخرج عنق من النار يوم القيامة ، له عيان تبصران ، وأذنان تسمعان ، ولسان ينطق ، يقول : انى وكلت بكل جبار عنيد ، وبكل من دعا مع الله الها آخر ، وبالمصورين ، أخرجه الترمذى (٢) وقال : هذا حديث حسن غريب صحيح • وفى الباب عن أبى سعيد ، وكان بعض الوعاظ يقول : أيها المجترىء على النار ألك طاقة بسطوة مالك

(١) مجمع الزوائد (٣٩٢/١٠) وفيه فى المرة الثالثة . كل جبار فخور .
(٢) الترمذى (٧٠١/٤ - ٧٠٢) .

خازن النار ، ومالك اذا غضب على النار وزجرها زجرة كادت تأكل بعضها بعضا .

(باب)

(ما جاء في مقامع أهل النار وسلاسلهم وأغلالهم)

روى عن الحسن أنه قال : « في جهنم واد ، ولا مغار ، ولا غل ، ولا سلسلة ولا قيد ، الا واسم صاحبه مكتوب عليه » وروى عن ابن مسعود نحوه . وعن ابن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَوْ أَنَّ رُضَاةً مِثْلَ هَذِهِ - وَأَشَارَ إِلَى مِثْلِ الْجُبَّةِ - أُرْسِلَتْ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ، وَهِيَ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ ؛ لَبَلَّغَتْ الْأَرْضَ قَبْلَ اللَّيْلِ ، وَلَوْ أَنَّهَا أُرْسِلَتْ مِنْ رَأْسِ السَّلْسِلَةِ لَسَارَتْ أَرْبَعِينَ خَرِيفًا اللَّيْلَ وَالتَّهَارَ قَبْلَ أَنْ تَبْلُغَ أَصْلَهَا أَوْ قَعْرَهَا » أخرجه الترمذى ^(١) وقال : هذا حديث اسناده صحيح . قال القرطبي ^(٢) : وفي الخبر أن الله تعالى ينشيء لأهل النار سحابة ، فاذا رأوها ذكروا سحاب الدنيا ، فيناديهم : يا أهل النار ما تشتهون ؟ فيقولون : نشتهي الماء البارد فتمطرهم أغلالا تزداد في أغلالهم وسلاسل تزداد في سلاسلهم . وقال محمد بن المنكدر : لو جمع حديد الدنيا ، ما خلا منها وما بقى ، ما عدل حلقة من حلقات جهنم .

وقال ابن زيد : ويقال ان حلقة من غل أهل جهنم لو أُلقيت على أعظم جبل في الدنيا لهدته . قال : « وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ » يقيمون بها هؤلاء ، فاذا قال : خذوه فيأخذوه كذا وكذا ألف ملك ، فلا يضعون

(١) الترمذى (٧٠٩ / ٤) .

(٢) التذكرة (٣٩٨) وذكره بنحوه في مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٠) وقال : رواه الطبراني في الاوسط وفيه من فيه ضعف قليل ومن لم أعرفه .

(م - ٩ بقطة اولى الاعتبار)

أيديهم على شيء من عظامه ، الا صارت تحت أيديهم رفاتا ، العظام
واللحم يصير رفاتا قال : فتجمع أيديهم وأرجلهم ورقابهم في الأغلال ،
قال : فيلقون في النار مصنودين ، قال : فليس لهم شيء يتقون به الا
الوجوه ، وهم مصفودون ، قد ذهبت الأبصار فهم عمى ، وقرأ قوله
تعالى : « أَفَمَنْ يَتَّبِعِ يَوْجِهَهُ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » الى آخر الآية .
قال : فاذا ألقوا فيها يكادون يبلغون قعرها ، ينقاهم لها ، فيردهم الى
أعلاها ، حتى اذا كادوا يخرجون تلتقتهم الملائكة بمقامع من حديد
فيضربونهم بها ، فجاء أمر غلب الله فهووا كما هم أسفل السافلين ،
وهكذا وقرأ قول الله عز وجل : « كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا
فِيهَا » (السجدة : ٢٠) فهم كما قال الله تعالى : « عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ تَصْلَى
نَارًا حَامِيَةً » (١) . (العاشية : ٣ - ٤) .

وعن أبي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لَوْ أَنَّ
مَقْمَعًا مِنْ حَدِيدٍ ، وَوُضِعَ فِي الْأَرْضِ ، فَاجْتَمَعَ لَهُ الثَّقَلَانِ مَا أَقْلَوْهُ مِنْ
الْأَرْضِ » رواه أحمد وأبو يعلى ، قال في مجمع الزوائد (٢) : وفيه ضعف
وقد وثقوا .

وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَوْ ضُرِبَ الْجَبَلُ
بِمَقْمَعٍ مِنْ حَدِيدٍ ، لَنَفَثَتْ ثُمَّ عَادَ » رواه أحمد وأبو يعلى في حديث طويل
وفيه ابن لهيعة وقد وثق على ضعفه (٣) .

وروى عن غاوس أن الله عز وجل خلق ملكا وخلق له أصابع على
عدد أهل النار فما من أهل النار معذب الا وملك يعذبه باصبع من
أصابعه فوالله لو وضع أصبعا من أصابعه على السماء لأذابها « ذكره
القتيبي في عيون الأخبار له (٤) .

(١) نقله القرطبي (٣٩٩) عنه وراجع .
(٢) مجمع الزوائد (١٠ / ٣٨٨) وعزاهما المنذرى (٤ / ٨٨٧) الى
الحاكم ونقل قوله عنهما صحيح الاسناد .
(٤) نقله القرطبي (٣٩٩) التذكرة .

(باب)

(ما جاء في كيفية دخول أهل النار وتلقى النار أهلها)

عن عبد الرحمن بن زيد قال : « تلقاهم جهنم يوم القيامة ، بشرر كالنجوم فيولوا هارين ، فيقول الجبار تبارك وتعالى : ردوهم عليها فيردونهم ، فذلك قوله تعالى : « يَوْمَ تُولَوْنَ مُدْبِرِينَ ، مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ » (غافر : ٣٣) أى مانع يمنعكم ، ويلقاهم وهجها قبل أن يدخلوها ، فَتَنْدَرُ حِدْقَهُمْ ^(١) ، فيدخلوها عميا مغلولين ، في الأغلال أيديهم وأرجلهم ورقابهم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خزنة جهنم ما بين منكبي أحدهم كما بين المشرق والمغرب » ذكره ابن وهب ^(٢) .

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان جهنم لما سيق إليها أهلها ، تلقتهم فلفحتهم لفحة ، فلم تدع لحما على عظم الا ألقته على العرقوب » رواه الطبراني في الأوسط ، وقال في مجمع الزوائد : ^(٣) وفيه محمد بن سليمان بن الأصبهاني ، وهو ضعيف ^(٤) .

(١) في نقل القرطبي (٣٩٩) : فَتَنْدَرُ أَعْيُنُهُمْ ، ومعنى تَدَرَّتْ : زالت كما في المصباح (٩٢٧) .

(٢) ولا تقوم به حجة للوسائط المجهولة بين عبد الرحمن بن زيد والنبي صلى الله عليه وسلم .

(٣) مجمع الزوائد (١٠ / ٣٨٩) .

(٤) عزاه المنذرى (٤ / ٢٤٠) الى الطبراني والبيهقى ، قال : ورواه غيرهما موقوفا عليه وهو أصح .

(باب)

(في رفع لهب النار أهل النار حتى يشرفوا على أهل الجنة)

قال القرطبي ^(١) : يروى أن لهب النار يرفع أهل النار ، حتى يطير ، كما يطير الشرر ، فإذا رفعهم أشرفوا على أهل الجنة ، وبينهم حجاب ، فينادى أصحاب الجنة أصحاب النار : « أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا ، فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ؟ » قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ، وينادى أصحاب النار أصحاب الجنة حين يروا الأنهار تطرد بينهم : « أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ، قَالُوا : إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ » فتردهم ملائكة العذاب بمقامع من حديد الى قعر النار .

قال بعض المفسرين : هو معنى قول الله تعالى : « كَلَّمَآ أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا ، وَقِيلَ لَهُمْ : ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِكُمْ تُكَذِّبُونَ » (السجدة : ٢٠) ذكره أبو محمد عبد الحق في كتاب العاقبة له ، وقال : لملك تقول : كيف يرى أهل الجنة أهل النار ؟ وأهل النار أهل الجنة ! وكيف يسمع بعضهم كلام بعض وبينهم ما بينهم من بعد المسافة وغلظ الحجاب ؟ فيقال لك : لا تقل هكذا ! فإن الله يقوى أسماعهم وأبصارهم ، حتى يرى بعضهم بعضا ، ويسمع بعضهم كلام بعض ، وهذا قريب في قدرة الله جدا .

(باب)

(في تنفس أهل النار)

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لو أن في هذا المسجد مائة ألف - أو يزيدون - وفيه رجل من النار ، فتنفس ، فأصاب نفسه ؛ لاحترق المسجد ومن فيه » رواه أبو يعلى عن شيخه اسحاق ، ولم يعينه فان كان ابن راهوية فرجاله رجال الصحيح وان كان غيره فلم أعرفه ، قاله في مجمع الزوائد ^(١) وعن أبي هريرة مثله ونلفظه : « ثم تنفس رجل من أهل النار لأحرقهم » رواه البزار وفيه عبد الرحيم بن هارون وهو ضعيف ، وذكره ابن حبان في الثقات وقال : يعتبر حديثه اذا حدث من كتابه فان في حديثه من حفظه بعض المناكير ، وبقيه رجاله رجال الصحيح ^(٢) .

(باب)

(ما جاء في أن في جهنم جبالا وخنادق وأودية وبحارا وصهاريج
وحياضا وآبارا وجبابا وتنانير وسجونا ويوتا وجسورا
وقصورا وأرحاء ونواعير وعقارب وحيات)
« أجازنا الله منها بفضلته وكرمه »

عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الصعود جبل من نار يتصعد فيه الكافر سبعين خريفا ، ويهوى

^٥
(١) مجمع الزوائد (٣٩١ / ١٠) وقال ابن رجب : قال الامام احمد : هو حديث منكر (٧٢) .

(٢) مجمع الزوائد (٣٩١ / ١٠) .

به ، كذلك منه أبدا » أخرجه الترمذى (١) . وقال : هذا حديث غريب ، لا نعرفه مرفوعا الا من حديث ابن لهيعة .

وفى حديث أنس رضى الله عنه أن من مات سكران فانه يبعث يوم القيامة سكران ، الى خندق فى وسط جهنم يسمى السكران (٢) أجازنا الله منه . وعن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ويل : واد فى جهنم ، يهوى فيه الكافر أربعين خريفا ، قبل أن يبلغ قعره ، والصعود : جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ، ثم يهوى فهو كذلك » أخرجه ابن المبارك عن طريق رشدين بن سعد عن عمرو بن الحارث عن أبى السمع عن أبى الهيثم (٣) .

وعن عطاء بن يسار قال : « الويل : واد فى جهنم ، لو سرت فيه الجبال لماعت من حره » وذكر ابن عطية فى تفسيره عن ابن عياض أنه قال : « الويل : صهريج فى جهنم من صديد أهل النار » وقال زياد بن فياض عن أبى عياض : « الويل مسيل فى أصل جهنم » وحكى الزهراوى عن آخرين : أنه من ابواب جهنم ، قال أبو سعيد الخدرى : « انه واديين جبلين يهوى فيه الهاوى أربعين خريفا » .

وأخرج الترمذى مرفوعا عن أبى سعيد : « الويل واد فى جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره » قال : وهذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعا الا من حديث ابن لهيعة (٤) .

(١) الترمذى (٧٠٣/٤) .

(٢) التذكرة (١٨٦) وهو حديث باطل ، فى اسناده : ابراهيم بن هديعة . قال أبو حاتم وغيره : كذاب .

(٣) الزهد والرقائق (٩٦/٦) وفى رشدين مقال .

(٤) الترمذى (٣٢٠/٥) وفى ابن لهيعة مقال .

وأخرجه الحاكم (٥٩٦/٤) وصححه وأقره الذهبى بنحوه .

وقال ابن زيد : الْيَحْمُومُ: جبل في جهنم يستغيث الى ظله أهل النار لا بارد بل حار ، لأنه من دخان شفير جهنم ، ولا كريم عذب . وقال سعيد بن المسيب : ولا حسن منظره ، وقال مجاهد : واد في جهنم يقال له موبق ، وعن عكرمة: هو نهر في جهنم ، يسيل ناراً ، على حافتيه حيات مثل البغال الدهم ، فاذا ثارت اليهم لتأخذهم استعاثوا منها بالاختحام في النار ، وقال أنس بن مالك : هو واد في جهنم من قيح ودم ، قال نوف النكالي في قوله تعالى : « وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا » (الكهف : ٥٢) قال : واد في جهنم ، بين أهل الضلالة وبين أهل الايمان .

وعن أبي بردة عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان في جهنم لواديا يقال له ههب ، يسكنه كل جبار » رواه الترمذي ورواه الطبراني بلفظ « ان في جهنم واديا وفي الوادي بشر يقال له ههب ، حق على الله أن يسكنها كل جبار عنيد » قال في مجمع الزوائد (١) : وفيه أزهر بن سنان وهو ضعيف .

وعن عبد الله بن الحارث بن جزء قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ فِي النَّارِ حَيَاتٍ كَأَمْثَالِ أَعْتَقِي الْبُحْتِ ، تَلْسَعُ إِحْدَاهُنَّ اللَّسْعَةَ فَيَجِدُ حَمْوَهَا أَرْبَعِينَ خَرِيفًا ، وَإِنَّ فِي النَّارِ عَقَارِبَ كَأَمْثَالِ الْبِغَالِ الْمُوكَفَةِ تَلْسَعُ إِحْدَاهُنَّ اللَّسْعَةَ فَيَجِدُ حَمْوَهَا أَرْبَعِينَ سَنَةً » رواه أحمد والطبراني ، قال في مجمع الزوائد : وفيه ضعفاء قد وثقوا (٢) . وعن أنس بن مالك قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « عُمَرُ الذَّبَابِ أَرْبَعُونَ لَيْلَةً ، وَالذَّبَابُ كُلُّهُ فِي النَّارِ إِلَّا النَّمْلَةَ » رواه أبو يعلى . قال في المجمع : ورجاله ثقات (٣) ، وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الذَّبَابُ كُلُّهُ فِي النَّارِ إِلَّا النَّمْلَةَ » رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير ابراهيم ابن محمد بن حازم وهو ثقة ورواه الطبراني في الكبير والأوسط والبخاري

(١) مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٣) وهو في الجامع الكبير ص (٢٣٠٣)
والهيب في أصل اللغة السريع . (٣٦٢) مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٠)
(٣٦٢) مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٠) .

(٤) إَكَافُ الْحِمَارِ كِتَابٌ وَغُرَابٌ ، وَوَكَاْفَةُ : بَرْدَعَتُهُ ، وَالْأَكَاْفُ : صَانِعُهُ ، وَآكَفُ الْحِمَارِ آيَكَاْفَا وَآكَفُهُ تَأْكِيْفًا : شِدَّةُ عَلَيْهِ . الْقَامُوسُ (١١٨ / ٣) .

عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم بأسانيد وبعض رجال أسانيد الطبراني ثقات ورواه الطبراني أيضا عن ابن مسعود مرفوعا . وقال : إلا النحل ، وفيه اسحاق بن يحيى بن طلحة وهو متروك وقد ذكره ابن حبان في الضعفاء وفي الثقات ، وقال : يحتج بما وافق فيه الثقات ويترك ما انفرد به بعد أن استخرت الله تعالى فيه ، وبقيّة رجاله رجال الصحيح وقد وافقه الثقات في أصل الحديث ^(١) . وعن ابن مسعود في قول الله تعالى : « زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ » قال : زيدوا عقارب آياها كالنخل الطوال » رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح ^(٢) . وعن ابن عباس في الآية المذكورة قال : هي خمسة أنهار تحت العرش ، يعذبون ببعضها بالليل وبعضها بالنهار » رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيحين ، كذا في مجمع الزوائد ^(٣) . وعن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها سألت عن قول الله تعالى : « فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا » (مريم ٥٩) قالت : نهر في جحيم .

واختلفوا في قوله تعالى : « أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ » فروى عن ابن عباس : أنه سجن في جحيم ، وقال كعب : هو بيت في جحيم ، إذا فتح صاح جميع أهل النار من شدة حره ، ذكره أبو نعيم .

وعنده عن حميد بن هلال قال : حدث أن في جحيم تناير ضيقها كضيق زج أحدكم في الأرض ، تضيق على قوم بأعمالهم ^(٤) » وذكر ابن المبارك ^(٥) أن في جحيم قصرا له هوى يرمى الكافر من أعلاه فيهوى

(١) مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٠) .

(٢) مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٠) وعزاه للطبراني .

(٣) مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٠) .

(٤) نقله وما قبله وما بعده في التذكرة (٤٠١) والزج : الحديدية في

أسفل الرمح .

(٥) الزهد والرقائق (٦ / ٩٦) .

أربعين خريفاً قبل أن يبلغ أصله ، قال تعالى : « وَمَنْ يَحِلِّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى » (طه : ٨١) وان في جهنم واديا يدعى أُنْثَامًا فيه حيات وعقارب ، في فقار احداهن مقدار سبعين قلة من سم ، والعقرب منهن مثل البغلة الموكفة ، تلدغ الرجل فلا تلهيه عما يجد من حرج جهنم حمة لدغتها ، فهو لما خلق له وان في جهنم سبعين داء لأهلها ، كل داء مثل جزء من أجزاء جهنم ، وان في جهنم واديا يسمى غِيًّا ، يسيل قيحا ودما ، فهو لما خلق له . قال تعالى : « فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا » (مريم : ٥٩) وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان في جهنم بحرا أسود مظلمًا منتن الريح ، يُفَرِّقُ اللَّهُ فِيهِ مَنْ أَكَلَ رِزْقَهُ وَعَبَدَ غَيْرَهُ » رواه أبو هذبة إبراهيم بن هذبة (١) .

وعن محمد بن واسع قال : دخلت على بلال بن أبي بردة . فقلت : « يا أبا بلال : ان أباك قد حدثني عن جدك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان في جهنم واديا يقال له : للمم ، ولذلك الوادي بئر ، يقال : له هيب ، حق على الله أن يسكنها كل جبار فإياك أن تكون منهم » رواه أبو نعيم (٢) .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان في جهنم واديا يقال له للمم ، ان أودية جهنم لتستعيز بالله من حره » أخرجه ابن المبارك (٣) .

(١) ولا يصح مما رواه شيء ، قال أبو حاتم وغيره : كذاب ، وقال الخطيب : حدث عن أنس بالباطيل ، وقال النسائي وغيره . متروك (١ / ٧١) الميزان .

(٢) في اسناده : أزهر بن سنان ، قال ابن عدي : ليست أحاديثه بالمتكررة جدا أرجو أنه لا بأس به ، وقال ابن معين ليس بشيء (١ / ١٧٢) الميزان .

(٣) الزهد والرقائق (٦ / ٩٥) وفي اسناده : يحيى بن عبيد الله وثقه القطان ، وقال ابن معين : ليس بشيء ، وقال أحمد : أحاديثه مناكير وقال مرة : ليس بثقة الميزان (٤ / ٣٩٥) .

وعن الحسين بن علي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :
« كل مسكر حرام ، وثلاثة غضب الله عليهم ، ولا ينظر إليهم ، ولا يكلمهم ، وهم في المنسا ، والمنسا بئر في جهنم : للمكذب بالقدر ، والمبتدع في دين الله ، ومدمن الخمر » رواه مالك والخطيب (١) . وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ الْمُتَكَبِّرِينَ يُحْشَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَشْبَاهَ الذَّرِّ عَلَى صُورِ النَّاسِ ، يَعْلُوهُمْ كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الصَّغَارِ ، يُسَاقُونَ حَتَّى يَدْخُلُوا سِجْنًا فِي جَهَنَّمَ يُقَالُ لَهُ بُولَس يُسْقَوْنَ مِنْ عَصَاةِ أَهْلِ النَّارِ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ » أخرجه ابن وهب وابن المبارك (٢) . وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ ، فِي صُورِ النَّاسِ ، يَعْشَاهُمُ الذَّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ، يُسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّى بُولَس ، يَعْلُوهُمْ نَارُ الْأَنْيَارِ ، يُسْقَوْنَ مِنْ عَصَاةِ أَهْلِ النَّارِ ، طِينَةِ الْخَبَالِ » أخرجه الترمذي (٣) . وقال :
حديث حسن .

وروى عن زيد بن ثابت قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« المدينة مهاجري وفيها مضجعي ، ومنها مخرجي ، حق على أمتي حفظ جيرانى فيها من حفظ وصيتي كنت له شهيدا يوم القيامة ، ومن ضيعها

(١) نقله في التذكرة (٤٠٢) وفي اسناده : أحمد بن سليمان الخفقي القرشي ، قال الدارقطني : متروك كذاب (١ / ١٠٢) الميزان .
(٢) الزهد والرفائق (٦ / ٥٢) .

(٣) قال القرطبي : طينة الخبال عرق أهل النار ، أو عصارتهم وهو شراب أيضا لمن يشرب المسكر ، جاء ذلك في صحيح البخاري . وعن جابر أن رجلا قدم من جيشان ، وجيشان من اليمن ، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن شراب يشربونه بأرضهم من الذرة يقال له المزر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مسكر هو ؟ قال : نعم ، قال : إن على الله عهدا لمن شرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال ، قالوا : يا رسول الله وما طينة الخبال ؟ قال : عرق أهل النار أو عصارة أهل النار (٤٠٣) التذكرة .

أورده الله حوض الخبال ، قيل : وما حوض الخبال يا رسول الله ؟ قال :
حوض من صديد أهل النار » .

قال القرطبي (١) : غريب من حديث خارجة بن زيد عن أبيه ، لم يروه
عنه غير أبي الزناد تفرد به عند ابنه عبد الرحمن والله أعلم .

وعن علي بن أبي طالب رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال : « تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ جُبِّ الْحُزْنِ ، فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! وَمَا جُبُّ
الْحُزْنِ ؟ قَالَ : وَادٍ فِي جَهَنَّمَ تَتَعَوَّذُ مِنْهُ جَهَنَّمَ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً أَعَدَّهُ اللَّهُ
لِلْقَرَاءِ الْمُرَائِينَ » (*) .

وفي رواية : « لِلَّذِينَ يَرَاؤُنَ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ » أخرجه أسد بن موسى
والترمذى وقال في حديث أبي هريرة : مائة مرة ، قلنا : يا رسول الله ومن
يدخله قال : القراء المراءون بأعمالهم » وقال هذا حديث غريب .

وخرجه ابن ماجه (٢) أيضا عن أبي هريرة . ولفظه قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ جُبِّ الْحُزْنِ » قالوا : يا رسول
الله ، وما جُبُّ الْحُزْنِ ؟ قال : وادٍ فِي جَهَنَّمَ تَتَعَوَّذُ مِنْهُ جَهَنَّمَ كُلَّ يَوْمٍ أَرْبَعَمِائَةَ
مَرَّةً قالوا : يا رسول الله ومن يدخله ؟ قال : أعد للقراء المرأين بأعمالهم
وان من أبغض القراء الى الله الذين يزورون الأمراء » قال المحاربي :
الْجَوْرَةَ ، ورواه الطبراني من حديث أبي هريرة أيضا ، ولفظه بعد قوله
أَرْبَعَمِائَةَ مَرَّةً : « يَلْقَى فِيهِ الْغَوَارُونَ قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! وَمَا الْغَوَارُونَ ؟
قال : المراءون بأعمالهم في الدنيا » قال في مجمع الزوائد (٣) وفيه محمد بن
الفضل بن عطية وهو مجمع على ضعفه . انتهى .

(١) التذكرة (٤٠٣) وفي اسناده : عبد الرحمن بن أبي الزناد ، قال في
الخلاصة : قال يعقوب بن شعبة : ثقة صدوق فيه ضعف ، وقال ابن
عدى : بعض ما يرويه لا يتابع عليه (١٩٢) . (٢) برقم ٢٥٦ .

(*) قال المنذرى (٩٩/٤) : رواه البيهقى باسناد حسن ، وفيه : من
جُبِّ الْحُزْنِ أو وادى الحزن فقيل يا رسول الله ، وما جُبِّ الْحُزْنِ أو وادى
الحزن ؟ (٣) مجمع الزوائد (٣٨٩/١٠) .

وفي حديث آخر ذكره أسد بن موسى أنه صلى الله عليه وسلم قال :
 « ان في جهنم لَواديا ان جهنم لتتعوذ من شر ذلك الوادى في كل يوم
 سبع مرات وان في ذلك الوادى لجباً ، ان جهنم وذلك الوادى ليتعوذان
 بالله من شر ذلك الجب ، وان في ذلك الجب لحية ، ان جهنم والوادى
 وذلك الجب ليتعوذون بالله من شر تلك الحية ، أعدها الله للأشقياء من
 حملة القرآن •

وقال أبو هريرة : « ان في جهنم أرجاء تدور بعلماء السوء فيشرف
 عليهم بعض من كان يعرفهم في الدنيا ، فيقول : ما صيركم الى هذا ، وانما
 كنا نتعلم منكم ؟ قالوا انا كنا نأمركم بالأمر ونخالفكم الى غيره » •

قال القرطبي ^(١) : وهذا مرفوع معناه في صحيح مسلم من حديث
 أسامة بن زيد •

وقال أبو المشنى الأملوكى : « ان في النار أقواما يربطون بنواعير من
 نار تدور بهم تلك النواعير ما لهم فيها راحة ولا فترة » •

قال محمد بن كعب القرطبي : « ان لمالك مجلسا في وسط جهنم
 وجسورا تمر عليها ملائكة العذاب فهو يرى أقصاها كما يرى أذناها »
 الحديث •

(باب)

(في بيان قوله تعالى « فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ »)

(وفي ساحل جهنم ووعد من يؤذي المؤمنين)

عن يزيد بن شجرة قال : وكان معاوية بعثه على الجيوش فلقى عدوا ، فرأى في أصحابه فشلا ، فجمعهم فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، اذكروا نعمة الله عليكم وذكر الحديث وفيه : انكم مكتوبون عند الله بأسمائكم وسماتكم ، فاذا كان يوم القيامة قيل : يا فلان هانورك ، يا فلان ! لا نور لك ، ان لجهنم ساحلا كساحل البحر فيه هوام وحيات كالْبَحَّاتِي وعقارب كالْبَغَالِ الدُّلَم .

فاذا استغاثت أهل النار قالوا : الساحل ، فاذا ألقوا فيها سلطت تلك الهوام عليهم ، فتأخذ شفار أعينهم وشفاههم ، وما شاء الله منهم تكشطها كسطا فيقولون : النار النار ، فاذا ألقوا فيها ، سلط عليهم الجرب ؛ فيحك أحدهم جلده حتى يبدو عظمه ، وان جلد أحدهم لأربعون ذراعا ، قال : يقال : يا فلان ! هل تجد هذا يؤذيك ؟ فيقول : وأى أذى أشد من هذا ؟ قال : هذا بما كنت تؤذي المؤمنين ^(١) .

وعن أبي سعيد الخدري قال : « ان صعدوا صخرة في جهنم اذا وضعوا أيديهم عليها ذابت فاذا رفعوها عادت » أخرجه ابن المبارك ^(٢) .

(١) الزهد والرقائق (٦ / ٩٥) ، والدلم : السود جمع ادلم .

(٢) الزهد والرقائق (٦ / ٩٦) .

قال ابن عمر وابن عباس : « هذه العقبة جبيل في جهنم » •

وقال محمد بن كعب وكعب الأحبار : « هي سبعون درجة في جهنم » •

وقال الحسن وقتادة : هي عقبة شديدة صعبة في النار دون الجسر فاقتموها بطاعة الله عز وجل » •

وقال مجاهد والضحاك والكلبي : هي الصراط ، وقيل : النار نفسها ، وقيل : هو جبل بين الجنة والنار ، يقول فلا جاوز هذه العقبة بعمل صالح • ثم بين اقتحامها بما يكون فقال « فَكَّ رَقَبَةٍ » الآية •

قال ابن زيد وجماعة من المفسرين : معنى الكلام الاستفهام ، تقديره : أفلا اقتحم العقبة ، يقول : هلا أفتق ماله في فك الرقاب ، واطعام السَّعْبَان ليجاوز به العقبة ، فيكون خيرا له من اتقاها في المعاصي ، وقيل : في الكلام التمثيل والتشبيه فشبه عظم الذنوب وثقلها بعقبة ، فاذا أعتق رقبة وعمل صالحا كان مثله كمثل من اقتحم العقبة ، وهي الذنوب التي تضره وتؤذيهِ وتثقله ، فاذا أزالها بالأعمال الصالحة والتوحيد الخالص كان كمن اقتحم عقبة يستوى عليها ويجوزها ، قال القرطبي ^(١) : هذا حديث حسن ، قال الحسن : هي والله عقبة شديدة : مجاهدة الانسان نفسه وهواه وعدوه الشيطان •

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : « لأن أجمع أناسا من أصحابي على صاع من طعام ، أحب الى من أن أخرج الى السوق » فاشتري نسمة فأعتقها ، أخرجه الطبراني في كتاب مكارم الأخلاق •

(باب)

ما جاء في قوله تعالى « وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ »

الوقود بالفتح : الحطب وبالضم اسم الفعل وهو المصدر ، والناس عام ومعناه الخاص ، أى من سبق عليه القضاء أنه يكون حطباً لها ، أجازنا الله منها بكرمه ، قال القرطبي ^(١) : حطب النار شباب وشيوخ وكهول ونساء عاريات قد طال منهن العويل •

وعن العباس بن عبد المطلب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يَظْهَرُ هَذَا الدِّينُ ، حَتَّى يُجَاوَزَ الْبَحَارَ ، وَحَتَّى يُخَاصَّ الْبَحَارُ بِالْخَيْلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، ثُمَّ يَأْتِي أَقْوَامٌ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ ، فَإِذَا قَرَأُوهُ قَالُوا : مَنْ أَقْرَأُ مِنَّا ؟ مَنْ أَعْلَمُ مِنَّا ؟ ثُمَّ انْتَفَتَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ : هَلْ تَرَوْنَ فِي أَوْلِيكَ مِنْ خَيْرٍ ؟ قَالُوا : لَا ، قَالَ أَوْلِيكَ مِنكُمْ وَأَوْلِيكَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَأَوْلِيكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ » • أخرجه ابن المبارك ^(٢) ، والحجارة : هى حجارة الكبريت ، خلقها الله عنده كيف شاء أو كما شاء قاله ابن مسعود •

وخلصت بذلك لأنها تزيد على جميع الحجارة بخمسة أنواع من العذاب : سرعة الايقاد ، وتتن الرائحة ، وكثرة الدخان ، وشدة الالتصاق بالأبدان ، وقوة حرها اذا حميت •

وقيل : المراد بالحجارة الأصنام لقوله تعالى : « إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ » (الأنبياء : ٩٨) والحَصْب : ما يلتقى فى النار

(١) التذكرة (٤٠٧) •

(٢) الزهد والرقائق (٦ / ٨٨) • ونقل محققه تصحيحه عن الحاكم •

مما يركى به ، وعليه فيكون الحجارة والناس وقودا للنار ، وعلى التأويل الأول يكونون معدين بالنار والحجارة قال القرطبي ^(١) : وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كل مؤذ في النار ^(٢) » ، وفي تأويله وجهان (أحدهما) أن كل من آذى الناس في الدنيا عذبه الله في الآخرة بالنار (الثاني) كل ما يؤذى الناس في الدنيا من السباع والبهائم وغيرها في النار معد لعقوبة أهل النار ، وذهب بعض أهل التأويل إلى أن هذه النار المخصوصة بالحجارة هي نار الكافرين والله أعلم .

(باب)

(ما جاء في تعظيم جسد الكافر وأعضائه بحسب اختلاف كفره)
وتوزيع العذاب على العصاة المؤمنين بحسب أعمال الأعضاء)

عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (يعظم أهل النار في النار ، حتى أن بين شحمة أذن أحدهم إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام ، وإن غلظ جلده سبعون ذراعا ، وإن ضرسه مثل أحد) . رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط ، وفي أسانيدهم أبو يحيى القات وهو ضعيف ، وفيه خلاف ، وبقيّة رجاله أوثق منه ، قاله في مجمع الزوائد ^(٣) .

وعن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَقْعَدُ الْكَافِرِ فِي النَّارِ مَسِيرَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، كُلُّ ضَرْسٍ مِثْلُ أَحَدٍ ، وَفَخِذُهُ مِثْلُ وَرْقَانٍ ،

(١) التذكرة (٤٠٧) .

(٢) حديث ضعيف عزاه السيوطي للدارقطني ، وفي أسناده : عثمان الأشج ، قال الخطيب : ليس بشيء ، وأورده الذهبي في المتروكين ، أفاده المناوي (٣٠ / ٥) .

(٣) مجمع الزوائد (١٠ / ٣١٠) وفيه : وإن جلده مثل أحد .

وقال المنذرى (٢٣٨ / ٤) وأسنده قريب من الحسن .

وَجِلْدُهُ سِوَى لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ ، أَرْبَعُونَ ذِرَاعًا » رواه أحمد وأبو يعلى وفيه ابن لهيعة وقد وثق على ضعفه (١) .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ضَرْسُ الْكَافِرِ أَوْ نَابُ الْكَافِرِ مِثْلُ أَحَدٍ وَغِلْظُ جِلْدِهِ مَسِيرَةُ ثَلَاثٍ » . رواه مسلم (٢) . وأخرج الترمذى (٣) عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إِنْ غُلِظَ جِلْدُ الْكَافِرِ اثْنَانِ وَأَرْبَعُونَ ذِرَاعًا ، وَإِنْ ضُرْسُهُ مِثْلُ أَحَدٍ ، وَإِنْ مَجْلِسُهُ مِنْ جَهَنَّمَ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ » قال : هذا حسن صحيح غريب من حديث الأعمش ، وفي رواية : وَفَخِذُهُ مِثْلُ الْبَيْضَاءِ وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ مَسِيرَةُ ثَلَاثٍ مِثْلَ الرِّبْدَةِ ، أخرجه عن صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة ، وقال : هذا حديث حسن غريب (٤) .

وعن أبي هريرة قال : « ضرس الكافر ، يوم القيامة ، أعظم من أحد يعظمون لتمتلىء منهم وليذوقوا العذاب » أخرجه ابن المبارك (٥) .

وعن أبي هريرة قال : « ضَرْسُ الْكَافِرِ مِثْلُ أَحَدٍ ، وَفَخِذُهُ مِثْلُ الْبَيْضَاءِ ، وَجِيْنُهُ مِثْلُ الْوَرْقَانِ وَمَجْلِسُهُ مِنَ النَّارِ كَمَا بَيْنَ الْوَرْقَانِ وَبَيْنَ الرِّبْدَةِ وَكَثْفُ بَصَرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا وَبَطْنُهُ مِثْلُ إِضْمٍ » قال الجوهري : اضم بالكسر جبل قال القرطبي (٦) : الورقان جبل بالمدينة .

(١) مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩) : وَوَرِقَانٌ : بوزن قَطْرَانٍ : جبل أسود

(٢) مسلم (٤ / ٢١٨٩) .

(٣) الترمذى (٤ / ٧٠٣) والبيضاء : جبل - الربدة : كما بين مكة والمدينة .

(٥) الزهد والرقائق (٦ / ٨٧) .

(٦) الزهد والرقائق (٦ / ٨٧) وفيه : كما بينى وبين الربدة .

(٧) التذكرة (٤٠٨) .

وعن عبيد بن عمير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بصر الكافر يعنى غلظ جلده سبعون ذراعا وضرسه مثل أحد ، وفي سائر خلقه » خرجه ابن المبارك ، ^(١) وذكر عن عمرو بن ميمون أنه يسمع بين جلد الكافر ولحمه وجسده دوى كدوى الوحش .

وعن ابن عمر قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ الْكَافِرَ لَيَسْحَبُ لِسَانَهُ الْقُرْسَحَ وَالْفَرْسَخَيْنِ يَتَوَطَّؤُهُ النَّاسُ » رواه الترمذى ^(٢) .

وعن أبي هريرة قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ضَرْسُ الْكَافِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِثْلُ أَحَدٍ ، وَعَرْضُ جِلْدِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ مِثْلُ مَا يَنِينِي وَيِنَّ الرُّبْدَةَ » رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير ربيع بن ابراهيم وهو ثقة ^(٣) .

وعن يزيد بن حيان التميمي قال انطلقت أنا وحسين بن سبرة وعمر بن مسلم الى زيد بن أرقم وحدثنا زيد في مجلسه ذلك قال : « ان الرجل من أهل النار ليعظم للنار حتى يكون الضرس من أضراسه مثل أحد » قال في مجمع الزوائد ^(٤) رواه أحمد في حديث طويل ، ورجاله رجال الصحيح . وعن ثوبان قال وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ضَرْسُ الْكَافِرِ مِثْلُ أَحَدٍ وَغَلِظُ جِلْدِهِ أَرْبَعُونَ ذِرَاعًا بِذِرَاعِ الْجَبَّارِ » رواه البزار وفيه عباد ابن منصور وهو ضعيف وقد وثق ، وبقية رجاله ثقات ^(٥) .

(١) ولا تقوم به حجة لانه مرسل .

(٢) الترمذى (٧٠٤/٤) وقال : هذا حديث غريب ، وعلمه بأن في اسناده أبا المخارق : ليس بمعروف وتمقبه المنذرى (٢٣٨/٤) فقال : وقول الترمذى أبو المخارق ليس بمعروف وهم انما هو أبو العجلان المحاربى ذكره البخارى فى الكنى ، وقد أورد المناوى فى الجامع الأزهر (١١٧/١) بلفظ : « ان الكافر ليجر لسانه وراءه قدر فرسخين يتوطؤه الناس » . وعزاه للإمام أحمد وقال : باسناد جيد .

(٣) مجمع الزوائد (٣٩١/١٠)

(٤) مجمع الزوائد (٣٩٢/١٠) قال : ورجاله رجال الصحيح غير عنبسة ابن سعيد وهو ثقة .

(٥) مجمع الزوائد (٣٩٢/١٠)

وعن سمرة بن جندب أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : مِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى كَعْبِيهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى حُجْزَتَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى تَرْقُوتَيْهِ .
أخرجه مسلم (١) .

قال القرطبي (٢) : هذا الباب يدل على أن كفر من كفر فقط ، ليس كفر من كفر وطغى وتمرد وعصى ، ولا شك في أن الكفار في عذاب جهنم متفاوتون ، كما قد علم من الكتاب والسنة ، ولأننا نعلم على القطع والثبات أنه ليس عذاب من قتل الأنبياء والمسلمين وقتل فيهم وأفسد في الأرض وكفر مساويا لعذاب من كفر فقط وأحسن للأنبياء والمسلمين ، ألا ترى أبا طالب كيف أخرجه النبي صلى الله عليه وسلم الى ضحضاح لنصرته إياه وذبه عنه وإحسانه إليه ؟ وحديث مسلم عن سمرة يصح أن يكون في الكفار بدليل حديث أبي طالب ، ويصح أن يكون فيمن يعذب من الموحدين إلا أن الله تعالى يميتهم اماتة حسب ما تقدم بيانه والله أعلم .

ومن خبر كعب الأحبار : « يا مالك مر النار لا تحرق ألسنتهم فقد كانوا يقرأون القرآن ، يا مالك قل للنار تأخذهم على قدر أعمالهم ، فالنار أعرف بهم ، وبمقدار استحقاقهم من الوالدة بولدها ، فمنهم من تأخذه النار الى كعبيه ، ومنهم من تأخذه النار الى ركبتيه ، ومنهم من تأخذه النار الى سرتة ، ومنهم من تأخذه النار الى صدره (٣) » .

وذكر القتيبي في « عيون الأخبار » له مرفوعا عن أبي هريرة أنه قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله اذا قضى بين خلقه

(١) مسلم (٢١٨٥ / ٤) .

(٢) التذكرة (٤٠٩) .

وزادت حسنات العبد دخل الجنة ، وإن استوت حسناته وسيئاته حبس على الصراط أربعين سنة ، ثم بعد ذلك يدخل الجنة ، وإن رادت سيئاته على حسناته دخل النار من باب التوحيد ، فيعذبون في النار ، على قدر أعمالهم فمنهم من تنتهي له النار إلى كعبه ومنهم من تنتهي إلى ركبتيه ، ومنهم من تنتهي النار إلى وسطه « (١) » .

وذكر الفقيه أبو بكر بن برجان (٢) أن حديث مسلم في معنى قوله تعالى : « وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا » قال : أرى والله أعلم أن هؤلاء الموصوفين في هذه الآية والحديث أهل التوحيد ، فإن الكافر لا تعاف النار منه شيئاً ، وكما اشتمل في الدنيا على الكفر شملته النار في الآخرة ، قال تعالى : « لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلٌّ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلٌّ » (الزمر : ١٦) .

وعن الحارث بن أقيش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِنْ مِنْ أُمَّتٍ مَنْ يُعْظَمُ لِلنَّارِ حَتَّى يَكُونَ أَحَدُ زَوَايَاهَا » (٣) .

(باب)

(ما جاء في شدة عذاب أهل المعاصي واذية أهل النار بذلك)

عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنْ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوِّرُونَ » أخرجه مسلم (٤) وذكره قاسم ابن أصبغ من حديث ابن مسعود أيضاً ، قال : قال رسول الله صلى الله

(٢٤١) نقله القرطبي في النذكرة (٤٠٩ - ٤١٠) .

(٣) رواه ابن ماجه برقم ٤٣٢٣ ، قال المنذرى : واسناده جيد

(٤) (٩٠٩ / ٤) الترغيب .

(٤) مسلم (١٦٧٠ / ٣) .

عليه وسلم : « إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ قَتَلَ نَبِيًّا أَوْ قَتَلَهُ نَبِيٌّ »
وَالْمُصَوِّرُ يُصَوِّرُ التَّمَائِيلَ » (١) .

وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه » أخرجه أبو عمر بن عبد البر وابن ماجه وابن وهب وفي اسناده عثمان بن مقسم البزى لم يرفعه غيره ، وهو ضعيف عند أهل الحديث ، معتزلى المذهب ليس حديثه بشيء . قاله أبو عمر (٢) .

وعن ابن زيد قال : « يقال : انه ليؤذى أهل النار تنُّ فروج الزناة يوم القيامة » ويذكر عن بعض أهل العلم قال : ثلاثة في النار قد آذوا أهل النار ، وكل أهل النار في أذى : رجال مغلفة عليهم توايت من نار ، وهم في أصل الجحيم ، فيصيحون حتى تعلوا أصواتهم أهل النار ، فيقول لهم أهل النار : ما بالكم من بين أهل النار قد فعل بكم هذا ؟ فقالوا : كنا متكبرين . ورجال قد شقت بطونهم يسحبون أمعاءهم في النار فقال لهم أهل النار : ما بالكم من بين أهل النار فعل بكم هذا ؟ قالوا : كنا نقتطع حقوق الناس بأيماننا وأماناتنا . ورجال يسعون بين أهل الجحيم والحميم ، لا يقرون ، قيل لهم : ما بالكم من بين أهل النار فعل بكم هذا ؟ قالوا : كنا نسمى بين الناس بالنميمة » ذكره ابن المبارك (٣) .

وعن شفي بن ماته الأصبحي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) بنحوه وزاد فيه : « امام جائر » الجامع الكبير ص (٢٠٨٥) وفي المسند بنحوه رقم ٢٨٦٨ (٥ / ٣٣٢ - ٢٣٣) قال الشيخ شاكر : اسناده صحيح .

(٢) التذكرة (٤١٠) .

(٣) مجمع الزوائد (١ / ١٨٥) والعزو الى ابن ماجه سهو .

وكذا ضعفه المنذرى والعراقي وابن حجر ذكره المناوى (١ / ٥١٨) .

(٣) الزهد والرقائق (٦ / ٩٣ - ٩٤) .

قال : أربعة يؤذون أهل النار ، على ما بهم من الأذى ، يسعون بين الجحيم والحميم ، يدعون بالويل والثبور ، يقول أهل النار بعضهم لبعض : ما بال هؤلاء قد آذونا على ما بنا من الأذى ؟ قال : فرجل مغلق عليه تابوت من جمر ، ورجل يجر أمعاءه ، ورجل يسيل فوه قيحا ودما ، ورجل يأكل لحمه ، قال : فيقال لصاحب التابوت : ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى ؟ قال : فيقول : ان الأبعد مات : وفي عنقه أموال الناس ، لم يجد لها قضاء ، أو قال وفاء ، ثم يقال للذي يجر أمعاءه : ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى ؟ قال : فيقول : ان الأبعد كان لا يبالي أين أصاب البول منه ثم لا يفسله ، ثم يقال للذي يسيل فوه قيحا ودما : ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى ؟ قال : فيقول : ان الأبعد كان ينظر في كل كلمة قذيمة خبيثة يستلذ بها ويستلذ الرفث بها فيذيعها أى يفشيها •

ثم يقال للذي يأكل لحمه ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى ؟ قال فيقول : ان الأبعد كان يأكل لحوم الناس ويمشى بالنميمة »
خرجه الحافظ أبو نعيم ^(١) . وقال تفرد به اسماعيل بن عياش ، وشفى مختلف فيه فقيل له صحبة •

(باب)

(في عذاب من عذب الناس في الدنيا)

عن خالد بن الوليد رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَشَدُّهُمْ عَذَابًا لِلنَّاسِ فِي الدُّنْيَا »
رواه أبو داود الطيالسي ^(٢) وخرجه البخاري في التاريخ ، وخرجه مسلم

(١) وخرجه ابن المبارك (٦ / ٩٤) الزهد - الترغيب (٣ / ٧٦٥) •

(٢) منحة المعبود (٢ / ٦١) •

بمعناه من حديث هشام بن حكيم بن حزام ، أَنَّهُ مَرَّ عَلَى أَنَاسٍ مِنَ الْأَنْبَاطِ
بِالشَّامِ ، قَدْ أُقِيمُوا فِي الشَّمْسِ ، فَقَالَ : مَا شَأْنُهُمْ ؟ قَالُوا : حُيسُوا فِي
الْجَزْيَةِ ، فَقَالَ هِشَامُ : أَشْهَدُ لَسَمِيعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يَقُولُ : « إِنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا » (١) .

(باب)

(في شدة عذاب من أمر بالمعروف ولم يأت ، ونهى عن المنكر وأتاه)
(وذكر الخطباء فيمن خالف قوله فعله ، وفي أعوان الظلمة كلاب النار)

عن أسامة بن زيد قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :
« يُجَاءُ بِرَجُلٍ فَيُطْرَحُ فِي النَّارِ ، فَيُطْحَنُ فِيهَا ، كَطْحَنِ الْحِمَارِ بِرَحَاهُ ، فَيُطِيفُ
بِهِ أَهْلُ النَّارِ ، فَيَقُولُونَ : أَيُّ قَلَانٍ ! أَلَسْتَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى
عَنِ الْمُنْكَرِ ؟ قَالَ فَيَقُولُ : كُنْتُ أَمُرُّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا أَفْعَلُهُ وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ
وَأَفْعَلُهُ » (٢) رواه البخاري (٣) وخرجه مسلم بمعناه عن أسامة بن زيد قال :
سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَيَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى
فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ : يَا قَلَانُ ! مَا لَكَ أَلَمْ تُكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ
وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ ؟ فَيَقُولُ : بَلَى كُنْتُ أَمُرُّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ وَأَنْهَى عَنِ
الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ » (٣) .

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(١) التذكرة (٤١٢) - مسلم (٤ / ٢٠١٨) .

(٢) بنحوه (٧ / ١٤٤) فتح الباري .

(٣) مسلم (٤ / ٢٢٩١) .

« أتيت ليلة أسرى بى على أقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار ، كلما قرضت ردت ، قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ فقال : هؤلاء خطباء أمتك ، الذين يقولون ولا يفعلون » أخرجه الحافظ أبو نعيم ، وروى مثله ابن المبارك أيضا ولفظه فى آخره « الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب ^(١) » .

وعن الشعبى قال : « يطلع قوم من أهل الجنة الى قوم فى النار فيقولون : ما أدخلكم النار ؟ وانما دخلنا الجنة بفضل تأديكم وتعليمكم ، قالوا : انا كنا نأمركم بالخير ولا نفعله » رواه ابن المبارك ^(٢)

وعن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله يعافى الأمين يوم القيامة ما لا يعافى العلماء » أخرجه أبو نعيم ^(٣) ، وهذا حديث غريب تفرد به سيار عن جعفر ، لم يكتبه الا من حديث أحمد بن حنبل رحمه الله ، وعن ابن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الجلاوزة والشرط أعوان الظلمة كلاب النار » رواه أبو نعيم وهو غريب من حديث طاوس تفرد به محمد بن مسلم الطائفى عن ابراهيم بن ميسرة عن طاوس ^(٤) .

(١) وفى اسناده : على بن زيد بن جدمان أحد علماء التابعين ، مختلف فيه قال أحمد : ضعيف وكذا ابن هبينة ، وقال البخارى وأبو حاتم : لا يحتج به وقال الترمذى : صدوق (١٢٧ / ٢) الميزان .

(٢) الزهد والرقائق (٢١) .

(٣) ذكره الذهبى مما ينكر على جعفر بن سليمان من الأحاديث واختلف فى الاحتجاج بها ثم قال : وقيل : أخطأ من حدث به من جعفر (١ / ٤١١) الميزان .

(٤) التذكرة (٤١٢ - ٤١٣) ومحمد بن مسلم الطائفى : وثقه يحيى ابن معين وغيره وضمفه أحمد بن حنبل - والجلاوزة : جمع جلاواز ، والجلاواز : الشرطى .

« فصل »

قال بعض السادة : أشد الناس حسرة يوم القيامة ثلاثة : رجل ملك عبدا ، فعلمه شرائع الاسلام فأطاع وأحسن ، وعصى السيد ، فإذا كان يوم القيامة أمر بالعبد الى الجنة ، وأمر بسيده الى النار ، فيقول عند ذلك : واحسرتاه واغبناه ، أما هذا عبيد ، أما كنت مالكا لهجته وماله ؟ وقادرا على جميع ماله ، فما له سعد ، ومالي شقيت ؟ فيناديه الملك الموكل به : لأنه تأدب وما تأدبت ، وأحسن ، وأسأت ، ورجل كسب مالا فعصى الله تعالى في جمعه ومنعه ، ولم يقدمه بين يديه حتى صار الى وارثه ، فأحسن في اتفاه وأطاع الله سبحانه في اخراجه ، وقدمه بين يديه ، فإذا كان يوم القيامة أمر بالوارث الى الجنة ، وأمر بصاحب المال الى النار ، فيقول : واحسرتاه ! واغبناه ! أما هذا مالي فأحسننت به أحوالي وأعمالى فيناديه الملك الموكل به : لأنه أطاع الله ، وما أطعته ، وأتقى لوجهه وما أنفقت فسعد وشقيت ، ورجل علم قوما ووعظهم فعملوا بقوله ولم يعمل ، فإذا كان يوم القيامة أمر بهم الى الجنة ، وأمر به الى النار ، فيقول : واحسرتاه ! واغبناه ! أما هذا علمي ؟ فما لهم فازوا به وما فزت ؟ وسلموا به وما سلمت ؟ فيناديه الملك الموكل به : لأنهم عملوا بما قلت وما عملت ، فسلموا وشقيت . ذكره أبو الفرج بن الجوزي رحمه الله .

قال ابراهيم النخعي : اني لاكره القصص لثلاث آيات : لقوله تعالى : « أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ » (البقرة : ٤٤) وقوله تعالى : « لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ، كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ » (الصف : ٢ - ٣) ، « وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِلَى مَا أَنْتُمْ عَنْهُ » (هود : ٨٨) .

قال القرطبي^(١) رحمه الله : وألفاظ هذه الآيات تدل مع ما ذكرناه من الأحاديث على أن عقوبة من كان عالما بالمعروف وبالمُنكر وبوجوب القيام بوظيفة كل واحد منهما أشد ممن لم يعلمه . وإنما ذلك لأنه كالمستهين بحرمات الله والمستخف لأحكامه وهو كالمستهزئ . ممن لم ينفعه الله بعلمه . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه »^(٢) . وروى أبو أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم يجرّون قصبهم في نار جهنم ، فيقال : لهم من أتم ؟ فيقولون : نحن الذين كنا نأمر بالبر وننسى أنفسنا . »

قال القرطبي في التذكرة^(٣) : ان قال قائل في حديث أبي سعيد الخدري أن من ليس من أهل النار اذا دخلوها أحرقوا فيها وماتوا على ما ذكرتموه في أصح القولين وهذه الأحاديث التي جاءت في العصاة بخلافه . فكيف الجمع بينهما ؟ قيل له : الجمع ممكن وذلك والله أعلم أن أهل النار الذين هم أهلها كما قال : « كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ » (النساء ٥٦) . قال الحسن : تنضجهم النار في اليوم سبعين ألف مرة ، والعصاة بخلاف هذا فيعذبون وبعد ذلك يموتون ، وقد تختلف أيضا أحوالهم في طول التعذيب بحسب جرائمهم وآثامهم . وقد قيل انه يجوز أن يكونوا متألّمين حالة موتهم ، غير أن آلام المؤمنين تكون أخف من آلام الكفار ، لأن آلام المعذّبين وهم موتى أخف من عقابهم وهم أحياء . دليله قوله تعالى : « وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ » .

(١) التذكرة (٤١٤) والفصل من اوله بلفظه له .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) ص (٤١٥) .

النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ » (غافر ٤٦) •

أخبر أن عذابهم اذا بعثوا أشد من عذابهم وهم موتى ، ومثله ما جاء في حديث البراء من قول الكافر : رب لا تقم الساعة ، رب لا تقم الساعة ، رب لا تقم الساعة ، لأنه يرى أن ما يخلص له من عذاب الآخرة أشد مما هو فيه والله أعلم •

وقد يكون ما جاء في الخطاب هو عذابهم في القبور في أعضاء مخصوصة كغيرهم ، كما في حديث سمرة الطويل ، إلا أن قوله في حديث أسامة ابن زيد « يوم القيامة » يدل على ذلك ، وقد يجمع له الأمران لعظم ما ارتكبه من مخالفة قولهم فعلهم ، نعوذ بالله من ذلك •

(باب)

(ما جاء في طعام أهل النار وشراهم ولباسهم)

تقدم في باب الآيات من ذلك ما يشفى ويكفى وفيها أن ثيابهم من نار وسرايلهم من قطران وطعامهم الزقوم والحميم والغساق والضريع والغسلين ، قال الهروي : معناه صديد أهل النار وما ينغسل ويسيل من أبدانهم ، والغساق : ما يسيل من صديدهم ، وقيل : القيح الغليظ •

قال ابن عمر : « لو أن قطرة منه تهراق في المغرب أتننت أهل المشرق ، ولو أنها تهراق في المشرق أتننت أهل المغرب •

وقيل : الغساق الذي لا يستطيع من شدة بروده وهو الزمهرير ، وقال كعب : « هو عين في جهنم يسيل إليها حمة كل ذات حمة فتستقم

ويؤتى بالآدمي فيغمس فيها غمسة فيسقط جلده ولحمه عن العظام ، فيجر لحمه في كعبه كما يجر الرجل ثوبه « جَزَاءً وَفَاقًا » ، أى : وافق أعمالهم الخبيثة ، واختلف في الضريع . فقيل : هو نبت ينبت في الربيع ، وقيل هو : الشوك ، وقيل : الحجارة ، وقيل الزقوم ، وقيل : واد في جهنم .

قال القرطبي : قال المفسرون : الزقوم أصلها في الباب السادس وأنها تحيا بلهب النار كما تحيا الشجرة ببرد الماء ، فلا بد لأهل النار من أن ينحدر إليها من كان فوقها فيأكلون منه ، وقال أبو عمران الجوني : بلغنا أن ابن آدم لا ينهش منها نهشة الا نهشت منه مثلها ، والمهل : ما كان ذايبا من الفضة والنحاس ، وقيل : المهل عكر الزيت الشديد السواد (١) .

(باب)

(ما جاء في أن أهل النار يجوعون ويعطشون)

(وفي دعائهم واجابتهم)

عن محمد بن كعب القرظي قال : لأهل النار خمس دعوات يجيبهم الله في أربع ، فإذا كان في الخامسة ، لا يتكلمون بعدها أبدا ، يقولون : « رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ » . فيجيبهم الله تعالى : « ذَلِكَم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ » (غافر ١٢) ثم يقولون « رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ » (السجدة ١٢) فيجيبهم الله تعالى « فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ » (السجدة ١٤) ثم يقولون « رَبَّنَا أَخْرْنَا إِلَى أَجَلٍ

قَرِيبٌ نُحِبُّ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعُ الرُّسُلَ » (ابراهيم ٤٤) فيجيبهم الله تعالى
« أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ » .

ثم يقولون : « رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ » فيجيبهم
الله تعالى : « أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ فَذُوقُوا
فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ » (فاطر : ٣٧) ويقولون : « رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا
شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ » . فيجيبهم الله تعالى : « اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا
تَكَلَّمُونَ » (المؤمنون : ١٠٦ - ١٠٨) . أى بعدها أبدا ، رواه
البیهقي .

وخرجه ابن المبارك ^(١) بأطول من هذا ، فقال: أخبرنا الحكم بن عمر
ابن أبي ليلى قال : حدثني عامر قال : سمعت محمد بن كعب القرظي
يقول : « بلغني أو ذكر لي أن أهل النار استعاثوا بالخزنة فقال الله :
« وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ
الْعَذَابِ » . فسألوا يوما واحدا يخفف عنهم فيه العذاب ، فردت عليهم
الخزنة : « أَوَلَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ؟ قَالُوا بَلَى » . فردت عليهم
الخزنة « فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ » (غافر : ٥٠) ، قال :
فلما يسوا ما عند الخزنة نادوا مالكا وهو عليهم غضبان . وله مجلس
في وسطها وجسور تمر عليها ملائكة العذاب ، فيرى أقصاها كما يرى
أدناها ، فقالوا : « يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ » (الزخرف : ٧٧) قال :
اسألوا الموت، فيسكت عنهم لا يجيبهم ثمانين سنة ، قال : والسنة ستون
وثلاثمائة شهر والشهر ثلاثون يوما ، واليوم كألف سنة مما تعدون . ثم
لحظ اليهم بعد الثمانين فقال : « إِنَّكُمْ مَآكُثُونَ » فلما سمعوا منه
ما سمعوا وأيسوا منه مما قبله ، فقال بعضهم لبعض : يا هؤلاء انه قد
نزل بكم من البلاء والعذاب ما قد ترون فهلهم فلنصبر فلمل الصبر ينفعنا ،

(١) الزهد (٦ / ٩١ - ٩٢) وفي المخطوطة التي طبع عليها الزهد في

هذا الموضع خرم اشار اليه محققه .

كما صبر أهل الطاعة على طاعة الله فنفعهم الصبر اذا صبروا ، فأجمعوا رأيهم على الصبر فصبروا ، فطال صبرهم ، ثم جزعوا فنادوا : « سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرُنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ » ، أى من منجى ، فقام ابليس عند ذلك ، فقال :

« إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ — الى قوله — وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ » (ابراهيم : ٢١ — ٢٢) قال : فلما سمعوا مقالته مقتوا أنفسهم ، قال : فنودوا : « لَمَلَقْتُ اللَّهَ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ — الى قوله — فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ » ، قال : فرد عليهم : « ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ » (غافر : ١٠ — ١٢) قال ، فهذه واحدة ، فنادوا الثانية : « رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ » .

قال : فرد عليهم « وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا » ، يقول : لو شئت لهديت الناس جميعا فلم يتخلف منهم أحد ، « وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ » ، فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ » (السجدة : ١٣ — ١٤) .

قال : فهذه ثنتان فنادوا الثالثة « رَبَّنَا أَخْرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نَجِبْ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ الرُّسُلَ » فرد عليهم « أَوْ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُم مِّنْ زَوَالٍ ، وَكَسَبْتُمْ فِي مَسَاكِينِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُم كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ — الى قوله — لَنَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ » (ابراهيم : ٤٤ — ٤٦) .

قال : فهذه الثالثة ، ثم نادوا « رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ » قال فيجيبهم : « أَوْ لَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ ، فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَّصِيرٍ » (فاطر : ٣٧) . ثم مكث عنهم ما شاء الله ثم ناداهم « أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ » .

قال، فلما سمعوا صوته قالوا : الآن يرحمنا ربنا ، فقالوا عند ذلك :
 « رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا » ، أى الكتاب الذى كتب علينا « وَكُنَّا قَوْمًا
 ضَالِّينَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ » فقال عند ذلك :
 « اخْسُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ » (المؤمنون : ١٠٥ - ١٠٨) فانقطع عند
 ذلك الرجاء والدعاء وأقبل بعضهم ينبس في وجه بعض وأطبقت عليهم .

قال : فحدثنى الأزهر بن أبى الأزهر أنه ذكر له أن ذلك قوله تعالى :
 « هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ، وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ » (المرسلات : ٣٥) .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : ان أهل جهنم يدعون مالكا
 فلا يجيبهم أربعين عاما ثم يرد عليهم « إِنَّكُمْ مَا كُنْتُمْ » قال : والله هانت
 دعوتهم على مالك ورب مالك قال : ثم يدعون ربهم فيقولون : « رَبَّنَا
 غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ » ، الآية . قال فسكت عنهم قدر
 الدنيا مرتين ، قال : ثم يرد عليهم « اخْسُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ » .

قال : فوالله ما نبس القوم بعدها بكلمة وما هو الا الزفير والشهيق في
 نار جهنم ، فشبه أصواتهم بصوت الحمير أولها زفير وآخرها شهيق «
 ومعنى « ما نبس » ما تكلم ، قال الجوهري : يقال : ما نبس بكلمة أى
 ما تكلم ، أخرجه ابن المبارك ^(١) .

وَعَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ عَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ
 اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يُلْقَى عَلَى أَهْلِ النَّارِ الْجُوعُ فَيَعْدِلُ مَا هُمْ
 فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ ، فَيَسْتَغِيثُونَ فَيُعَاثُونَ بِطَعَامٍ مِنْ ضَرِيعٍ ، لَا يُسْمِنُ وَلَا

(١) الزهد والرقائق (٦٠ / ٩١) وهو موضع السقوط ورواه الطبراني
 بنحوه ، رجاله رجال الصحيح (١٠ / ٣٩٦) مجمع الزوائد .

يُعْنِي مِنْ جُوعٍ ، فَيَسْتَفْشِئُونَ بِالطَّعَامِ فَيَعَاتُونَ بِطَعَامِ ذِي غُصَّةٍ فَيَذْكُرُونَ
 أَنَّهُمْ كَانُوا يُجِيرُونَ الْعُصَصَ فِي الدُّنْيَا بِالشَّرَابِ فَيَسْتَفْشِئُونَ بِالشَّرَابِ فَيَرْفَعُ
 إِلَيْهِمُ الْحَمِيمُ بَكَلَالِيبِ الْحَدِيدِ فَإِذَا دَنَتْ مِنْ وُجُوهِهِمْ شَوَتْ وَجُوهُهُمْ ،
 فَإِذَا دَخَلَتْ بَطُونُهُمْ قَطَعَتْ مَا فِي بَطُونِهِمْ ، فَيَقُولُونَ : ادْعُوا خَزَنَةَ جَهَنَّمَ ،
 فَيَقُولُونَ : « أَوَلَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ؟ قَالُوا بَلَى ! قَالُوا فَادْعُوا وَمَا
 دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ » . قَالَ : فَيَقُولُونَ : ادْعُوا مَالِكًا ، فَيَقُولُونَ :
 « يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ؟ » (الزخرف ٧٧) قَالَ : فَيَجِيبُهُمْ : « إِنَّكُمْ
 مَا كُنْتُمْ » قَالَ الْأَعْمَشُ : بُشِّتُ أَنْ يَبَيِّنَ دُعَائِهِمْ وَيَبَيِّنَ إِبَابَةَ مَالِكِ إِيَّاهُمْ أَلْفَ
 عَامٍ ، قَالَ : فَيَقُولُونَ : ادْعُوا رَبَّكُمْ ، فَلَا أَحَدَ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ ، فَيَقُولُونَ :
 « رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ » قَالَ : فَيَجِيبُهُمْ « اخْسَئُوا فِيهَا
 وَلَا تَكَلِّمُونِ » (المؤمنون ١٠٨) قَالَ : فَعِنْدَ ذَلِكَ يَسْبُوا مِنْ كُلِّ خَيْرٍ ،
 وَعِنْدَ ذَلِكَ يَأْخُذُونَ فِي الزُّفِيرِ وَالْحَسَرَةِ وَالْوَيْلِ ، أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (١) .
 وَزَادَ رَزِينٌ : فَيَقَالُ لَهُمْ : « لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا
 كَثِيرًا » وَالْحَدِيثُ رَفَعَهُ قُطَيْبَةُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ شَمْرِ بْنِ عَطِيَّةٍ
 عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ وَهُوَ ثِقَةٌ عِنْدَ أَهْلِ الْحَدِيثِ . وَالنَّاسُ يَوْقِفُونَهُ عَلَى
 أَبِي الدَّرْدَاءِ قَوْلَهُ .

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « وَهُمْ
 فِيهَا كَالْحَوَى » . قَالَ : تَشْوِيهِ النَّارِ فَتَقْلَصُ شَفَتُهُ الْعُلْيَا حَتَّى تَبْلُغَ وَسَطَ
 رَأْسِهِ وَتَسْتَرِخِي شَفَتُهُ السُّفْلَى حَتَّى تَضْرِبَ سُرَّتَهُ ، وَلِسَرَادِقِ النَّارِ أَرْبَعَةٌ
 جَدَرٌ كَثُفَ كُلُّ جِدَارٍ مِثْلَ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، وَلَوْ أَنَّ دُلُومًا مِنْ غَسَاقٍ
 يَهْرَاقُ فِي الدُّنْيَا لَأَتَتْ أَهْلَ الدُّنْيَا » رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (٢) وَقَالَ : هَذَا حَدِيثٌ
 حَسَنٌ صَحِيحٌ . وَعَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ :

(١) التِّرْمِذِيُّ (٧٠٧ - ٧٠٨) .

(٢) هُمَا حَدِيثَانِ : اسْنَادُ الْأَوَّلِ كَمَا قَالَ حَسَنٌ صَحِيحٌ (٧٠٨ / ٤) .
 وَفِي اسْنَادِ « لِسَرَادِقِ » : رِشْدِينَ .

كالمهل قال : « كعكر الزيت فاذا قربته اليه سقطت فروة وجهه فيه »
 قال أبو عيسى : هذا حديث انما نعرفه من حديث رشدين بن سعد
 ورشدين قد تكلم فيه من قبل حفظه (١) .

قال القرطبي (٢) : وقع في الحديث « فروة وجهه » وهو شاذ ، انما
 يقال فروة رأسه أى جلده هذا هو المشهور عند أهل اللغة وكذا جاء
 في حديث أبي أمامة .

وعن أبي حنيفة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
 قَالَ : « إِنْ الْحَمِيمُ لَيُصَبَّ عَلَى رُؤُسِهِمْ فَيَنْفَذُ الْحَمِيمُ حَتَّى يَخْلُصَ إِلَى
 جَوْفِهِ فَيَسْلُتْ مَا فِي جَوْفِهِ حَتَّى يَمُرَّ مِنْ قَدَمَيْهِ وَهُوَ الصَّهْرُ ثُمَّ يَعَادُ
 كَمَا كَانَ » قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح (٣) .

وعن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى :
 « وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُ » (ابراهيم ١٧) قال : يقرب الى فيه
 فيكرهه فاذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فاذا شربه قطع
 أمعاءه حتى تخرج من دبره يقول الله تعالى « وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ
 أَمْعَاءَهُمْ » (محمد ١٥) ويقول « وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ
 يَشْوِي الْوُجُوهُ يَنْسُ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا » (الكهف ٢٩) قال
 حديث غريب (٤) .

وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية
 « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ »
 (آل عمران ١٠٢) وَقَالَ: لَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنَ الزَّكْوِمِ قُطِرَتْ فِي دَارِ الدُّنْيَا

(١) الترمذي (٤ / ٧٠٦) - الزهد (٦ / ٩٠) .

(٢) التذكرة (٢٤٠) .

(٣) و (٤) الترمذي (٤ / ٧٠٥) .

لَأَفْسَدْتُ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا مَعَاشَهُمْ فَكَيْفَ يَمُنُّ بِكَونِ طَعَامِهِ» قَالَ أَبُو عِيسَى : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَخَرَجَهُ ابْنُ مَاجَةَ أَيْضًا (١) .

(بَابُ)

(مَا جَاءَ فِي بَكَاءِ أَهْلِ النَّارِ وَمِنْ أَدْنَاهُمْ عَذَابًا فِيهَا)

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ابْكُوا فَإِنْ لَمْ تَبْكُوا قَتَبَاكُمَا فَإِنَّ أَهْلَ النَّارِ يَبْكُونَ حَتَّى تَسِيلَ دُمُوعُهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ كَأَنَّهَا جَدَاوِلُ حَتَّى تَنْقَطِعَ الدَّمُوعُ فَتَسِيلَ الدِّمَاءُ فَتَقْرَحَ الْعُيُونُ فَلَوْ أَنَّ سُفْنًا أُجْرِيَتْ فِيهَا لَجَرَتْ » أَخْرَجَهُ ابْنُ الْمُبَارَكِ قَالَ فِي مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى وَأُضْعِفَ مِنْ فِيهِ يَزِيدُ الرَّقَاشِيُّ وَقَدْ وَثَّقَ عَلَى ضَعْفِهِ ، انْتَهَى (٢) .

وَأَخْرَجَ ابْنُ مَاجَةَ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « يُرْسَلُ الْبَكَاءُ عَلَى أَهْلِ النَّارِ فَيَبْكُونَ حَتَّى تَنْقَطِعَ الدَّمُوعُ ثُمَّ يَبْكُونَ الدَّمَ حَتَّى يَصِيرَ فِي وُجُوهِهِمْ كَهَيْئَةِ الْأَخْدُودِ لَوْ أُرْسِلَتْ فِيهَا السُّفُنُ لَجَرَتْ » (٣) .

وَعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَرَجُلٌ تَوَضَّعَ فِي إِخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ » أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٤) وَفِي رِوَايَةٍ : مَنْ لَهُ نَمْلَانِ وَشِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ كَمَا يَغْلِي الْمَرْجُلُ ، مَا يَرَى أَنَّ أَحَدًا أَشَدَّ مِنْهُ عَذَابًا وَإِنَّهُ لَأَهْوَنُهُمْ عَذَابًا » أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانُ (٥) وَالتِّرْمِذِيُّ .

(١) التِّرْمِذِيُّ (٤ / ٧٠٦) ابْنُ مَاجَةَ بِرَقْمِ (١٤٤٦) بِنَحْوِهِ .

(٢) الزَّهْدُ (٦ / ٨٥) - التَّذَكُّرَةُ (٤٢١) - مَجْمَعُ الزَّوَائِدِ (١٠ / ٣٩١)

(٣) ابْنُ مَاجَةَ بِرَقْمِ (٤٣٢٤) .

(٤) وَ (٥) مُسْلِمٌ (١ / ١٩٦) .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَبُو طَالِبٍ وَهُوَ مُتَّعِلٌ يَنْعَلِينَ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاعُهُ «
رواه البخارى (١) .

وعن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ ، أَكُنْتَ تَقْتَدِي بِهِ ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ ، فَيَقُولُ: أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا فَأَيَّتَ إِلَّا أَنْ تُشْرِكَ بِي « متفق عليه (٢) ، وروى عن أبي موسى الأشعرى موقوفاً أنه قال : أن أهل النار ليكون الدموع في النار حتى لو أجريت فيه السفن لجرت ثم انهم يكون الدم بعد الدموع ومثل ما هم فيه فليكن ، وفي التنزيل (فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (التوبة ٨٢) .

وعن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم: وَاللَّهِ لَوْ تَعَلَّمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا (٣) رواه الترمذى ، فمن كثر بكأؤه خوفاً من الله تعالى وخشية منه ضحك كثيراً في الآخرة قال الله تعالى مخبراً عن أهل الجنة (إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ) (الطور ٢٦) ووصف أهل النار فقال (وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ) (المطففين ٣١) وقال « وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ » (المؤمنون ١١٠) .

(١) مسلم (١ / ١٩٦) - والبخارى (٥ / ٦٦) بنحوه .

(٢) البخارى (٧ / ١٤٣) - مسلم (٢ / ٢١٦٠) .

(٣) الترمذى (٤ / ٥٥٦) .

(باب)

(لكل مسلم فداء من النار من الكفار)

عن أبي بردة عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا جمع الله الخلائق يوم القيامة ، أذن لأمة محمد صلى الله عليه وسلم في السجود فيسجدون له طويلا ثم يقال ارفعوا رؤوسكم ، قد جعلنا عدتكم فداءكم من النار » أخرجه ابن ماجه ^(١) ، وعنده عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان هذه الأمة مرحومة عذابها بأيديها ، فاذا كان يوم القيامة ، دفع الى كل رجل من المسلمين ، رجل من المشركين ، فيقال هذا فداؤك من النار » ^(٢) .

قال القرطبي : وهذان الحديثان وان كان اسنادهما ليس بالقوى قال الدارقطني جارة بن المغلس متروك ، فان معناهما صحيح بدليل حديث مسلم عن أبي بردة عن أبي موسى قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ دَفَعَ اللَّهُ إِلَى كُلِّ مُسْلِمٍ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا فَيَقُولُ هَذَا فِكَائِكَ مِنَ النَّارِ » ^(٣) ، وفي رواية أخرى ^(٤) : لَا يَمُوتُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ إِلَّا أَدْخَلَ اللَّهُ مَكَانَهُ النَّارَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا » قال فاستحلفه عمر بن عبد العزيز بالله الذي لا اله الا هو ثلاث مرات أن أباه حدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فحلف له ^(٥) .

(١) ابن ماجه برقم (٤٢٩١) .

(٢) ابن ماجه برقم (٤٢٩٢) .

(٣) مسلم (٤ / ٢١١٩) .

(٤) يعنى عن أبي بردة عن أبي موسى .

(٥) مسلم (٤ / ٢١١٩) .

فصل

قال علماؤنا رحمهم الله في هذه الأحاديث: ظاهرها الاطلاق والعموم وليست كذلك وانما هي في ناس من المسلمين تفضل الله عليهم برحمته ومغفرته فأعطى كل انسان منهم فكاكا من النار من الكفار واستدلوا بحديث أبي بردة عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَذْنُوبُ أَمْثَالَ الْجِبَالِ فَيَغْفِرُهَا اللَّهُ لَهُمْ وَيَضَعُهَا عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى « أخرجه مسلم ^(١) ومعنى يغفرها لهم أى يسقط المؤاخذة عنهم بها حتى كأنهم لم يذنبوا ، ومعنى الوضع أى يضاعف عليهم العذاب بذنوبهم حتى يكون عذابهم بقدر جرائمهم وجرم مذنبى المسلمين لو أخذوا بذلك . لأنه تعالى لا يأخذ أحدا بذنب أحد . كما قال « وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى » (الاسراء ١٥) وله سبحانه أن يضاعف لمن شاء العذاب ويخفف عن من يشاء بحكم ارادته ومشيئته اذ لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ ، وفي الرواية الأخرى : لَا يَمُوتُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ إِلَّا أَدْخَلَ اللَّهُ مَكَانَهُ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا ^(٢) ، فمعنى ذلك أن المسلم المذنب لما كان استحق مكانا من النار بسبب ذنوبه وغفا الله عنه وبقي مكانه خاليا منه أضاف الله ذلك المكان الى يهودى أو نصرانى ليعذب فيه زيادة على تعذيب مكانه الذى يستحقه بحسب كفره ، ويشهد لهذا قوله صلى الله عليه وسلم في حديث أنس: يقال للمؤمن الذى ثبت عند السؤال فى القبر « أَنْظِرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ » ^(٣) .

قال القرطبي : قد جاءت أحاديث دالة على أن لكل مسلم مذنباً

(١) مسلم (٤) / ٢١٢٠ .

(٢) مسلم (٤) / ٢١١٩ .

(٣) مسلم (٤) / ٢٢٠٠ .

كان أو غير مذهب منزلين : منزلا في الجنة ومنزلا في النار ، وذلك هو معنى قوله تعالى « أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ » (المؤمنون ١٠) ، أى يرث المؤمنون منازل الكفار ويجعل الكفار في منازلهم في النار وهو مقتضى حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم « ان العبد اذا وضع في قبره » الحديث الا أن هذه الوراثة تختلف فممنهم من يرث ولا حساب ولا مناقشة ومنهم من يرث بحساب ومناقشة وبعد الخروج من النار حسب ما تقدم من أحوال الناس والله أعلم .

وقد يحتمل أن يسمى الحصول على الجنة وراثة من حيث حصولها دون غيرهم وهو مقتضى قوله تعالى « وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ » (الزمر ٧٤) والله أعلم (١) .

(باب)

(في قوله تعالى : « وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ »)

عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَتَقُولُ قَطُّ قَطُّ : بِعِزَّتِكَ وَكَرَمِكَ . وَلَا يَزَالُ فِي الْجَنَّةِ فَضْلٌ حَتَّى يُنْشِئَ اللَّهُ لَهَا خَلْقًا فَيُسْكِنَهُمْ فَضْلَ الْجَنَّةِ » أخرجه مسلم ^(١) والبخاري والترمذي ، وفي رواية من حديث أبي هريرة « فَأَمَّا النَّارُ فَلَا تَمَلُّ حَتَّى يَضَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا رَجُلَهُ فَتَقُولُ قَطُّ قَطُّ قَطُّ ^(٢) فَمِنْهَا تَمَلُّ وَيُزَوَّى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَلَا يَظْلِمُ اللَّهُ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا ، وَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللَّهَ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا » ^(٣) .

قال القرطبي ^(٤) : وللعلماء في قول النار « هَلْ مِنْ مَزِيدٍ »

تأويلان .

(أحدهما) : وعدّها ليملاها فقال : أوفيتك ، فقالت : وهل من مسلك

أى قد امتلأت ، وهذا تفسير مجاهد وغيره وهو ظاهر الحديث .

الثاني : (زدنى زدنى) تقول ذلك غيظا على أهلها وحنقا عليهم كما قال « تَكَادُ تَمَيُّزُ مِنَ الْغَيْظِ » (الملك ٨) ، أى تنشق ويبين بعضها من بعض ، وهى عبارة عن يتأخر دخوله فى النار من أهلها وهم جماعات كثيرة لأن أهل النار يلقون فيها فوجا فوجا كما قال تعالى : « كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ » (الملك ٨) ،

(١) مسلم (٢١٨٨ / ٤) - والبخاري (١٦٨ / ٨) بنحوه .

(٢) قط معناها : حسبى وهى باسكان الطاء أو بكسرها منوتا وغير

منون نقله الآبى عن القاضى عياض (٢١٨ / ٧) .

(٣) مسلم (٢١٨٦ / ٤) .

(٤) التذكرة (٤٢٤) .

ويؤيده أيضا قوله في الحديث « لا يزال يلتقى فيها » فالخزنة تنتظر أولئك المتأخرين اذ قد علموهم بأسمائهم وأوصافهم كما روى عن ابن مسعود أنه قال: ما في النار بيت ولا سلسلة ولا مقمع ولا تابوت الا وعليه اسم صاحبه ، وكل واحد من الخزنة ينتظر صاحبه الذي قد عرف اسمه وصفته . فاذا استوفى كل واحد ما أمر به وما ينتظره ولم يبق منهم أحد قالت الخزنة : قط قط ، أى حسبنا حسبنا اكتفينا اكتفينا، وحينئذ تنزوى جهنم على من فيها ، وتنطبق ، اذ لم يبق أحد ينتظر ، فعبر عن ذلك الجمع المنتظر بالرجل والقدم ، لأن الله تعالى ليس بجسم من الأجسام ، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا .

والعرب تعبر عن جماعة الناس والجراد بالرجل ، فتقول : جاءنا رجل من جراد ، ورجل من الناس : أى جماعة منهم والجمع أرجل ، ويشهد لهذا التأويل قوله في نفس الحديث « وَلَا يَزَالُ فِي الْجَنَّةِ فَضْلٌ حَتَّى يُنْشِئَ اللَّهُ لَهَا خَلْقًا آخَرَ فَيُسْكِنَهُمْ فَضْلَ الْجَنَّةِ » وفي الحديث تأويلات أتينا عليها في الأسماء والصفات أشبهها ما ذكرنا والله أعلم .

وفي التنزل « أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ » (يونس ٢) قال ابن عباس : المعنى منزل صدق ، وقال الطبرى : عمل صالح ، وقيل هو السابقة الحسنة ، فدل على أن القدم ليس حقيقة في الجارحة والله الموفق . قال ابن فورك : وقال بعضهم القدم خلق من خلق الله يخلقه يوم القيامة ، فيسميه قدما ، ويضيفه اليه من طريق الفعل ، يضعه في النار فتمتلىء النار منه ، قال القرطبي ، وهذا نحو ما قلناه في الرجل : انتهى كلام القرطبي .

وأقول : كل ما ذكر القرطبي هنا من تأويل الرجل والقدم لا يشهد له دليل من كتاب ولا سنة ولا لغة ولا مذهب أحد من سلف الأمة وأئمتها ، ونقل ابن فورك ، « القدم خلق » الخ لا يقبل حتى يدل

عليه دليل من السنة، وآنى ذلك الدليل عند أهل التأويل، والتأويل هو صنيع المتكلمين ووظيفة المتحلين لمذاهب الحكماء والفلسفة الطاغين، ولهذا حذر النبي صلى الله عليه وسلم منه وقال «يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلْفٍ عُدُولُهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ وَاتِّحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ» رواه البيهقي في كتاب المدخل عن ابراهيم العذري (١).

ولهذا كان السلف الصالحون يجرون آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها من غير تكيف ولا تشبيه ولا تأويل ولا تعطيل، ولم يكونوا يؤولون شيئا منها بشيء من عند أنفسهم حذرا من مضادة مراد الله ورسوله في تأويل تلك النصوص، وكانوا يقولون الله أعلم بمراده بذلك.

فمن أول شيئا من صفاته سبحانه فقد خالف الشريعة الحقة، وسلف الأمة واقتدى بمن نكب عن الصراط المستقيم، وقد انتدب جماعة من أهل العلم بالقرآن والحديث لرد أقوال المؤولين، وردوا عليهم أقوالهم حرفا حرفا، وأوضحوا خطأهم في إثارة التأويل على التفويض لفظا لفظا، وألفوا في ذلك كتباً جمة مطولة ومختصرة قديما وحديثا وكثرت فيها الزلازل والقلقل، حتى آل الأمر إلى المقاتلة والمجادلة والتكفير والتضليل في كل زمان ومكان، وابتلى بها المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا.

وكان ما كان وحاشا أهل الحديث والسنة والخبر والأثر وأصحاب الكتاب العزيز أن يعتقدوا فيه سبحانه وتعالى التجسيم والتكيف، أو يعطلوا صفاته العليا، أو يؤولوا أسماءه الحسنى، بل هم أشد

(١) سئل عنه الإمام أحمد، فقال: هو صحيح كما نقله العراقي في التقييد (١٣٩) وعزاه في قواعد التحديث (٤٩) إلى ابن عدي والدارقطني وأبي نعيم قال: وتعدد طرقه يقضى بحسنه كما جزم به العلاني اهـ.

الناس ردا على المجسمة المشبهة وأغضبهم في سبيل الله على الجهمية المعطلة ، وانما ينسبهم الى التجسيم من هو جاهل سفيه لا يعرف صورهم ، ولا سيرهم ولا يعلم الكتاب ولا السنة ، ولا يحوم حولهما ولا يفهم معانيهما •

وقد زل قدم قوم من أهل المعرفة بالأخبار أيضا في هذا المقام حتى ذهبوا الى التأويل كالبیهقي في الأسماء والصفات ، وكالقرطبي عفا الله عنا وعنهم بمنه وكرمه ، وأما مقلدة الأئمة الأربعة وأصحاب المذاهب المعتبرة فلا تسئل عنهم فانهم بمعزل عن حلاوة الاتباع ، على مراحل شاسعة عن سعادة التمسك بالسنة ، رزقنا الله تعالى اقتداء سلف الأمة / وأئمتها ، وجنبنا عن تقليد الرجال ، وحفظنا عن اختيار الآراء في مقابلة نصوص من كتاب الله العزيز وأدلة سنة رسوله المختار والله سبحانه وتعالى أعلم وعلمه أتم وأحكم وهو المستعان •

(باب)

(في ذكر آخر من يخرج من النار)

(و آخر من يدخل الجنة وفي تعيينه وتعيين قبيلته واسمه)

عن عبد الله بن مسعود قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِنِّي لَا أَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا ، وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ : رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ حَبْوًا فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ : اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ فَيَأْتِيهَا فَيَحِيلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلَأَى فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلَأَى فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ : اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ : فَيَأْتِيهَا فَيَحِيلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلَأَى ، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ يَا رَبِّ ! وَجَدْتُهَا مَلَأَى فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ : اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشْرَةَ أَمْثَالِهَا وَأَنْ لَكَ عَشْرَةَ أَمْثَالِ الدُّنْيَا قَالَ فَيَقُولُ : أَسْخَرْتُ بِي (أَوْ أَنْصَحْتُكَ بِي) وَأَنْتَ الْمَلِكُ ؟ قَالَ : لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَحَكَ حَتَّى بَلَّتْ نَوَاجِذُهُ ، قَالَ : فَكَانَ يُقَالُ : ذَاكَ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً ^(١) .

وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ فَهُوَ يَمْشِي مَرَّةً وَيَكْبُو مَرَّةً وَتَسْقَعُهُ النَّارُ مَرَّةً فَإِذَا مَا جَاوَزَهَا التَفَّتْ إِلَيْهَا ، فَقَالَ : تَبَارَكَ الَّذِي نَجَّانِي مِنْكَ ، لَقَدْ أَعْطَانِي اللَّهُ شَيْئًا مَا أَعْطَاهُ أَحَدًا مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ، فَرَفَعَ لَهُ شَجَرَةً فَيَقُولُ أَيُّ رَبِّ أَدْنَيْتَنِي مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَلَا سِتْطِلَ بِظِلِّهَا وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : يَا ابْنَ آدَمَ لَعَلِّي إِنْ أَعْطَيْتُكَهَا سَأَلْتَنِي غَيْرَهَا فَيَقُولُ : لَا يَا رَبِّ وَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا ، وَرَبُّهُ يَعِذُّهُ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبَرَ لَهُ عَلَيْهِ ، فَيُعْذِرُهُ مِنْهَا فَيَسْتِظِلُّ بِظِلِّهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا ثُمَّ تَرَفَّعَ لَهُ شَجَرَةٌ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَى فَيَقُولُ ، أَيُّ رَبِّ أَدْنَيْتَنِي مِنْ هَذِهِ لِأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا وَأَسْتِظِلُّ بِظِلِّهَا لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا . فَيَقُولُ : يَا ابْنَ آدَمَ أَلَمْ تَعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا ؟ فَيَقُولُ : لَعَلِّي إِنْ أَدْنَيْتُكَ مِنْهَا تَسْأَلَنِي

غَيْرَهَا فِعَاهِدَهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ فَيَدْنِيهِ مِنْهَا فَيَسْتِظِلُّ بِظِلِّهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا ثُمَّ تَرْفَعُ لَهُ شَجَرَةً عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَيَيْنِ فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ أَدْنَيْ مِنْ هَذِهِ لِأَسْتِظِلُّ بِظِلِّهَا وَأَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ أَلَمْ نَعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ هَذِهِ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا. وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهَا فَيَدْنِيهِ مِنْهَا فَإِذَا أَدْنَاهُ مِنْهَا فَيَسْمَعُ أَصْوَاتَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ أَدْخَلْنِيهَا فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ مَا يَصْرِنِي مِنْكَ؟ أَرَضِيكَ أَنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا؟ قَالَ: يَا رَبِّ أَتَسْتَهْزِيءُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟

فَضَحِكَ ابْنُ مَسْنُودٍ فَقَالَ: أَلَا تَسْأَلُونَنِي مِمَّ اضْحَكُ؟ فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ؟ قَالَ: هَكَذَا ضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَنْ ضَحِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ حِينَ قَالَ: أَتَسْتَهْزِيءُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ فَيَقُولُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِيءُ مِنْكَ وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ» أخرجه مسلم (١).

وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم آخر من يدخل الجنة رجل من جهينة يقال له جهينة يقول أهل الجنة: عند جهينة الخبر اليقين، ذكره أبو حفص عمر بن عبد المجيد القرشي في كتاب الاختيار في الملح من الأخبار والآثار، ورواه أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب من حديث عبد الملك بن الحكم (٢).

وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أن آخر من يدخل الجنة رجل من جهينة يقال له جهينة فيقول أهل الجنة عند جهينة الخير اليقين سلوه هل بقي من الخلاق أحد، رواه الدارقطني في كتاب رواة مالك ذكره السهيلي، وقد قيل أن اسمه هناد (٣) والله أعلم.

(*) ما يصرني منك: معناه ما يقطع مسالتك مني.

(١) مسلم (١ / ١٧٤).

(٢) و (٣) قال ابن حجر: حديث باطل (٢ / ٩٣) لسان الميزان، وكذا قال ابن عراقي (٢ / ٣٩١) تنزيه الشريعة.

(باب)

(في الشافعين لمن دخل النار وما جاء أن النبي صلى الله عليه وسلم يشفع رابع أربعة وذكر من يبقى في جهنم بعد ذلك)

عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع يوم القيامة ثلاثة : الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء ، أخرجه ابن ماجه^(١) وعن ابن مسعود قال : يشفع نبيكم رابع أربعة : جبريل ثم ابراهيم ثم موسى أو عيسى ثم نبيكم صلى الله عليه وسلم ثم الملائكة ثم النبيون ثم الصديقون ثم الشهداء ويبقى قوم في جهنم فيقال لهم « مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ - الى قوله - فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ » (المذثر ٤٢ - ٤٨) .

قال ابن مسعود : فهؤلاء هم الذين يقون في جهنم . أخرجه ابن الساك أبو عمر وعثمان بن أحمد ، وقيل أن هذا هو المقام المحمود لنبينا صلى الله عليه وسلم كما أخرج أبو داود الطيالسي عن عبد الله أى ابن مسعود ولفظه قال : ثم يأذن الله عز وجل في الشفاعة فيقوم روح القدس جبريل عليه السلام ، ثم يقوم ابراهيم ثم يقوم موسى أو عيسى عليهما السلام ، ثم يقوم نبيكم رابعا فيشفع لا يشفع لأحد من بعده في أكثر مما يشفع وهو المقام المحمود الذى قاله الله تعالى « عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا » (الاسراء ٧٩) .

وعن عبد الله بن أبي الجعداء أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لِيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ شَفَاعَةُ رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَكْثَرُ مِنْ بَنِي تَيْمٍ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ سِوَاكَ ، قَالَ : سِوَايَ » قلت : : أنت سمعته من رسول الله ؟ قال أنا سمعته . أخرجه ابن ماجه والترمذي^(٢)

(١) برقم (٤٣١٣) وهو حديث موضوع لأن في اسناده عنبيه بن عبد الرحمن قال ابن أبي حاتم : كان يضع الحديث (١٦١/٨) التهذيب .
(٢) ابن ماجه برقم (٤٣١٦) والترمذي (٦٢٦/٤) بنحوه . وأخرجه الحاكم بنحوه وصححه وأقره الذهبي (٤٠٨/٣) .

وقال حديث حسن صحيح غريب ، ولا يعرف لابن أبي الجداء غير هذا الحديث الواحد ، وخرجه البيهقي في دلائل النبوة .

وعن أبي أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يَدْخُلُ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي الْجَنَّةَ مِثْلُ أَحَدِ الْحَيِّينَ رَيْعَةً وَمُضَرَّ . قَالَ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا رَيْعَةٌ مِنْ مُضَرٍّ ؟ قَالَ : إِنَّمَا أَقُولُ مَا أَقُولُ» قال : فكان المشيخة يرون أن ذلك الرجل عثمان بن عفان (١) . أخرجه ابن السماك .

وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «إِنَّ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَشْفَعُ لِلْفَنَاءِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْفَعُ لِلْقَبِيلَةِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْفَعُ لِلْعُصْبَةِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْفَعُ لِلرَّجُلِ حَتَّى يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ . أخرجه الترمذي (٢) وقال حديث حسن وعن ثابت أنه سمع أنس بن مالك يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَشْفَعُ لِلرَّجُلَيْنِ وَلِلثَلَاثَةِ» ، وَالرَّجُلُ لِلرَّجُلِ (٣) قال القاضي عياض في الشفاء : عن كعب : ان لكل رجل من الصحابة رضى الله عنهم شفاعه

قال القرطبي : ان قال قائل كيف تكون الشفاعه لمن دخل النار والله تعالى يقول : «إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ» (آل عمران ١٩٢) وقال : «لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى» (الأنبياء ٢٨) وقال : «وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى» (النجم ٢٦) ومن يرضاه الله لا يخزيه أبدا . قال الله تعالى «يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ» (التحريم ٨) .

قلنا هذا مذهب أهل الوعيد الذين ضلوا عن الطريق وحادوا عن التحقيق . وأما مذهب أهل السنة الذين جمعوا بين الكتاب والسنة

(١) الترمذي (٤ / ٦٢٧) بنحوه (٢) الترمذي (٤ / ٦٢٧) .

(٣) أخرجه ابن خزيمة في كتاب التوحيد (٣١٥) ورجاله رجال

الصحيح ١ هـ كما في كتاب الشفاعه لمقبل الوادعي (١٩٥/١٩٦) .

فإن الشفاعة تنفع العصاة من أهل الملة حتى لا يبقى منهم أحد الا دخل الجنة ، ثم أجاب عن الآيات بأنها خاصة جاءت في قوم لا يخرجون من النار .

قال أبو حامد الغزالي رحمه الله في الأحياء : إذا حق دخول النار على طوائف من المؤمنين فإن الله تعالى بفضله يقبل فيهم شفاعة الأنبياء والصديقين بل شفاعة العلماء والصالحين ، وكل من له عند الله تعالى جاه وحسن معاملة فإن له شفاعة في أهله وقرابته وأصدقائه ومعارفه ، فكن حريصا على أن تكتسب لنفسك عندهم رتبة للشفاعة ، وذلك بأن لا تستصغر معصية أصلا ، فإن الله تعالى خبا غضبه في معاصيه فلعل مقت الله فيه .

وشواهد الشفاعة في القرآن والأخبار كثيرة .

ثم ذكر آيات وأخبار ، منها حديث اختلاف الناس الى آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ثم الى محمد صلى الله عليه وسلم ، قال فهذه شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولأحاديث أمته من العلماء والصالحين شفاعة أيضا .

قلت : ولكن هذه الشفاعة تكون بأذن من الله سبحانه ، كما نطق به الكتاب العزيز في مواضع ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم أول شافع وأول مُشَفَّع يوم القيامة ، اللهم أرزقنا شفاعة يوم القيامة ، قال تعالى « مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ » (البقرة ٢٢٥) وقال تعالى : « مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ » (يونس ٣) وقال تعالى : « وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ » (الأنبياء ٢٨) وقال تعالى : « وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ » (سبأ ٢٣) .

وقال في المواهب اللدنية : وأما ما يفتر به الجهال من أنه لا يرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدخل أحد من أمته النار فهو غرور

الشیطان لهم ولعبه بهم ، فانه یرضى بما یرضى به ربه تبارك وتعالى وهو سبحانه یدخل النار من يستحقها من الکفار والعصاة ثم یحد لرسول الله صلى الله علیه وسلم حدا یشفع فیهم ، ورسول الله أعرف به وبحقه من أن یقول لا أرضى أن یدخل أحدا من أمتی النار ویدعه فیها، بل ربه تبارك وتعالى یاذن له فی الشفاعة فیمن شاء الله أن یشفع فيه ، ولا یشفع فی غیر من أذن له ورضیه •

وقال الخازن تحت الآیة الأولى : هذا استفهام انکار ، والمعنى لا یشفع عنده أحد الا بأمره وازادته ، وذلك ان المشركین زعموا أن الأصنام یشفعون لهم ، فأخبر أنه لا شفاعة لأحد عنده الا ما استثناء بقوله « إِلَّا بِإِذْنِهِ » یرید بذلك شفاعة النبی صلى الله علیه وسلم وشفاعة الأنبياء والملائكة وشفاعة المؤمنین بعضهم لبعضهم • اهـ •

وفی الكبير : لا یقدر أحد علی الشفاعة الا باذن الله تعالى ، فیکون الشفیع فی الحقيقة الذی یاذن الله له فی تلك الشفاعة •

وقال فی الخازن أيضا : قال تعالى « قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا » (الزمر ٤٤) أى لا یشفع أحد الا باذنه • وفی الحديث : « فاستأذن على ربی فیأذن لی » ، وقال الشیخ زین الدین بن علی المقرئ فی مرشد الطلاب : .

أعلم انه صلى الله علیه وسلم لا یشفع لجميع عباد الله ، بل یشفع لمن أذن الله فی شفاعته ، انتهى •

وفی تفسیر الحدادی : لا یشفع أحد لأحد عند الله الا بأمره ورضاه ، كما یشفع المؤمنون بعضهم لبعض بالدعاء كما یشفع الأنبياء للمؤمنین • اهـ •

وفی الباب أخبار وآثار كثيرة ، وأقوال لأهل العلم غزيرة لا یسع هذا المقام لبسطها •

(باب)

• (ما جاء في خروج الموحدين من النار وذكر الرجل

الذي ينادى يا حنان يا منان وفي أحوال أهل النار) .

عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنْ نَاسًا مِنْ أُمَّتِي ،
يَدْخُلُونَ النَّارَ يَذُنُوبُهُمْ ، فَيَسْكُونُونَ فِي النَّارِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُونُوا ، ثُمَّ
يُعِيرُهُمْ أَهْلُ الشَّرِّكَ ، يَقُولُونَ : مَا رَأَى مَا كُنْتُمْ تَخَالِفُونَنَا فِيهِ مِنْ تَصَدِيقِكُمْ
وَأِيمَانِكُمْ فَتَعْمَكُمْ فَلَا يَبْقَى مُوَحِّدٌ إِلَّا أَخْرَجَهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ « رَبِّمَا بَوِّدَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَلَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ » (الحجر : ٣) أَخْرَجَهُ
الطبراني (١) .

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنْ عَبْدًا فِي جَهَنَّمَ
يُنَادِي أَلْفَ سَنَةٍ : يَا حَنَّانُ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : لَجَبْرِيلُ أَتَيْتَ عَبْدِي
فَلَا تَأْتِيهِ فَيَجِيءُ بِهِ فَيَقُولُ لَهُ : يَا عَبْدِي كَيْفَ وَجَدْتَ مَكَانَكَ وَمَقِيلَكَ ؟
قَالَ : فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ : يَا رَبِّ لَمْ أَرَهُ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : إِنَّهُ فِي مَكَانٍ كَذَا وَكَذَا
قَالَ : فَيَأْتِيهِ فَيَجِيءُ بِهِ فَيَقُولُ لَهُ : يَا عَبْدِي كَيْفَ وَجَدْتَ مَكَانَكَ وَمَقِيلَكَ ؟
قَالَ : فَيَقُولُ : شَرَّ مَكَانٍ وَشَرَّ مَقِيلٍ ، قَالَ : فَيَقُولُ : رَدُّوا عَبْدِي قَالَ : فَيَقُولُ :
يَا رَبِّ مَا كُنْتُ أَرْجُو أَنْ تَرُدَّنِي إِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنْهَا فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى دَعُوا عَبْدِي »

(١) ساقه بإسناده القرطبي (٤٢٧) وتابعيه مجهول ، فهو ضعيف وذكر نحوه
في مجمع الزوائد (٣٧٩/١٠) وقال : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله
رجال الصحيح غير بسام الصيرفي ، وهو ثقة .
وهو في الجامع الأزهر (١١٤٩/١)

رواه أبو ظلال هلال بن أبي مالك القسلي ، بعد في البصريين ^(١)

وعن سعيد بن جبير قال : « إن في النار لرجلا - أظنه في شغب من شعابها - ينادي مقدار ألف سنة يا حنان يا منان ^(٢) » فيقول رب العزة لجبريل : يا جبريل أخرج عبدى من النار ، فيأتبها فيجدها مطبقة فيرجع فيقول يارب إنهما عليهم مؤصدة ، فيقول : يا جبريل ، ارجع فتكهما فأخرج عبدى من النار ، فيفكهما فيخرج مثل الخيال فيطرحه على ساحل الجنة حتى يثبت ، الله له شعراً ولحماً ودماً » ذكره أبو نعيم ^(٣) .

وروى إيث عن مجاهد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إنما الشفاعة يوم القيامة لمن عمل الكبار من أمتي ، الحديث وفيه : وأطولهم مسكناً من يمكث فيها مثل الدنيا ، منذ خلقت إلى يوم أفنيت وذلك سبعة آلاف سنة ^(٤) » .

ثم إن الله تعالى إذا أراد أن يخرج الموحدين منها قذف في قلوب أهل الأدبان ، فقالوا لهم : كنتم وإيماننا جميعاً في الدنيا ، فأمنتم وكفرتنا ، وصدقتم وكذبنا ، وأقررتهم وجحدنا ، فما أغنى ذلك عنكم ، ونحن وأنتم اليوم فيها سواء تعذبون ، كما نعذب ، وتخلدون فيها كما نخلد ، فيغضب الله عند ذلك غضباً شديداً ، لم يغضب مثله من شيء فيم مضى ولا يغضب من شيء . فيما بقي ، فيخرج أهل التوحيد منها إلى عين بين الجنة والنار والعصاة ، يقال لها نهر الحياة

(١) هذا سياق القرطبي في التذكرة (٤٢٨) وساقه في مجمع الزوائد بحوه (٣٨٤ / ١٠) ثم قال : رواه أحمد وأبو يعلى ، ورجاهما رجال الصحيح . غير أبي ظلال ، ضعفه الجمهور ، وثقه ابن حبان . (٣) التذكرة (٤٢٨) .
(٢) الخناب الذي يقبل على من أعرض عنه ، والمنان الذي يبدأ بالنوال قبل السؤال ، سبحانه ، وروى ذلك عن علي ذكره القرطبي (٤٢٢)

(٢) التذكرة (٤٢٨) .

فيرش عليهم من الماء فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل^(١) فما بلى الظل منها أخضر ، وما بلى الشمس منها أصفر ، ثم يدخلون الجنة ، فيكتب على جباههم عقاب الله من النار ، إلا رجلاً واحداً يمكث فيها ألف سنة . ثم ينادى يا حنان يا منان ، فيبعث الله إليه ماسكاً ، فيخوض في النار في طلبه سبعين عاماً لا يقدر عليه ، ثم يرجع فيقول : إنك أمرتني أن أخرج عبدك فلانا من النار منذ سبعين عاماً ، فلم أقدر عليه ، فيقول الله تعالى : انطلق فهو في وادى كذا تحت صخرة فأخرجه ، فيذهب فيخرجه منها فيدخله الجنة ، ثم إن الجهنميين يطلبون من الله عز وجل أن يمحو عنهم ذلك الاسم ، فيبعث الله ملكاً فيمحوه عن جباههم ثم إنه يقال لأهل الجنة ومن دخلها من الجهنميين اطلعوا إلى أهل النار ، فيطلعون إليهم ، فيرى الرجل أباه ، ويرى جاره ، ويرى العبد مولاه ، ثم إن الله يبعث إليهم الملائكة ، بأطباق من نار ، ومسامر من نار ، وحمد من نار ، فيطبق عليهم بتلك الأطباق ، وبشد بتلك المسامر ، وتعد بتلك العمد ، فلا يبقى فيها خلل عليهم منها روح ، ولا يخرج منه غم وينسأم الرحمن على عرشه^(٢) ، ويتشاغل أهل الجنة بتعيمهم ، ولا يستغيثون بعدها أبداً ، وينقطع الكلام ، فيكون كلامهم زفيراً وشهيقاً . فذلك قوله تعالى « إِنَّمَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ »^(٣) (الهمزة ٩٠٨) .

-
- (١) الحبة بكسر الحاء بذور البقول ، وحميل السيل ما احتمله من طين وغطاء ، فإذا اتفق أن يكون فيه حبة فانها تنبت في يوم وليلة ، وهي أسرع نابتة نباتاً ، فشبه النبي ﷺ سرعة نبات أجسامهم بسرعة نبات تلك الحبة قاله القرطبي (٤٣١) (٢) قال القرطبي أي يتركهم في العذاب كما قال (نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ) أي تركوا عبادته وتوحيده فتركهم لا يعابهم ولا ينافى إليهم (التذكرة ٤٣٢) .
- (٣) التذكرة (٤٢٨ - ٤٢٩) وعزاه للترمذي الحكيم في نوادر الاصول

وذكر أبو نعيم الحافظ عن زاذان قال سمعت كعب الأحمار يقول : « إذا
 كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ، فنزلت الملائكة ،
 فصاروا صفوفًا ، فيقول الله تعالى لجبريل : أنت بجهم ، فيجئ بها جبريل ،
 تقاد بسبعين ألف زمام ، حتى إذا كانت من الخلائق على قدر مائة عام زفرت
 زفرة طارت بها أفئدة الخلائق ، ثم زفرت ثانية ، فلا يبقى ملك مقرب ،
 ولا نبي مرسل إلا جثا لركبتيه ، ثم تزفر الثالثة ، فتبلغ القلوب الحناجر ،
 وتذهل العقول ، فيفزع كل امرئ إلى عمله ، حتى إن إبراهيم الخليل يقول :
 بخلى لا أسألك إلا نفسي ، ويقول موسى : بمناجاتي لا أسألك إلا نفسي ،
 ويقول عيسى : يا أكرم مني لا أسألك إلا نفسي ، لا أسألك مريم النى ولدتنى .
 ومحمد ﷺ يقول : أمتي أمتي لا أسألك اليوم نفسي ، إنما أسألك
 أمتي ، قال : فيجيبه الجليل جل جلاله : إن أوليائي من أمتك لا خوف عليهم
 ولا هم يحزنون ؛ فوعزتي وجلالي لأقرن عينك في أمتك ، ثم تقف الملائكة
 بين يدي الله تعالى ينتظرون . ما يؤمرون به ، فيقول لهم الله تعالى وتقدس :
 معاشر الزبانية انطلقوا بالمصريين من أهل الكباثر من أمة  إلى النار ،
 فقد اشتد غضبي عليهم ، بتهوانهم بأمرى في دار الدنيا ، واستخفافهم بحقي
 وانهاكهم حرمي ، يستخفون من الناس وبيارزوني ، مع كرامتي لهم ،
 وتفصيلي إياهم على الإسم ، ولم يعرفوا فضلي وعظيم نعمتي
 فعندها تأخذ الزبانية بالحق الرجال وذوائب النساء ، فينطلق بهم إلى
 النار ، وما من عبد يساق إلى النار غير هذه الأمة إلا مسوداً وجهه ، قد
 وضعت الأنكال في رجله والأغلال في عنقه ، إلا من كان من هذه الأمة
 فإنهم يساقون بألوانهم ، فإذا وردوا على مالك قال لهم : معاشر الأشقياء من
 أي أمة أنتم ؟ فما ورد على أحسن وجوها منكم ، فيقولون : يا مالك نحن من

أمة القرآن ، فيقول لهم : يا معاشر الأشقياء أو ليس القرآن أنزل على محمد ﷺ ؟ قال : فيرفعون أصواتهم بالنحيب والبكاء ، فيقولون : : واعمداه ! واعمداه ! اشفع لمن أمر به إلى النار من أمتك .
قال فينادى مالك بتهدد وانتهازجيا مالك من أمرك بمعاقبة أهل الشقاء ،
ومحادثتهم والتوقف عن إدخالهم العذاب ؟ يا مالك لا تسود وجوههم فقد
كانوا يسجدون لى فى دار الدنيا .

يا مالك لا تغلهم بالأغلال ، فقد كانوا يغتلمون من الجنابة ، يا مالك
لا تلبسهم القطران ، فقد خلعوا ثيابهم للاحرام ، يا مالك لا تعذبهم بالأنكال
فقد طافوا بيتى الحرام ، يا مالك مر النار لا تحرق السنتهم ، فقد كانوا
يقرأون القرآن ، يا مالك قل للنار تأخذهم على قدر أعمالهم . فالنار أعرف بهم
ويعقود استحقاقهم من الوالدة بولدها ، فمنهم من تأخذه النار إلى كعبه
ومنهم من تأخذه النار إلى ركبتيه ومنهم من تأخذه النار إلى سرتة ومنهم
من تأخذه إلى صدره ومنهم دون ذلك .

فاذا انتقم الله عز وجل منهم ، على قدر كباثرهم وعتوم وإضرارهم فتح
بينهم وبين المشركين بابا ، فرأوهم فى الطبقة الأعلى من النار لا يذوقون فيها
حرًا ولا شرابًا ، يبيكون ويقولون : يا محمد ارحم من أمتك الأشقياء ،
وأشفع لهم فقد أكلت النار لحومهم ودماهم وعظامهم .

ثم ينادون : يا رباه واسيداه ارحم من لم يشرك بك فى دار الدنيا ، وإن كان
قد أساء وأخطأ وتمدى ، فعندها يقول المشركون ما أغنى عنكم إيمانكم
بالله وبمحمد شينا ، فيغضب الله تعالى لذلك ، فعندها يقول : يا جبريل انطلق
فاخرج من فى النار من أمة محمد ، فيخرجهم ضباثر ، قد امتحشوا ، فيلقاهم
على نهر على باب الجنة ، يقال له نهر الحيوان فيمكثون حتى يعودوا أنضر

ما كانوا ، ثم يأمر بإدخالهم الجنة ، مكتوب على جباههم هؤلاء الجاهلون ،
عقلاء الرحمن من أمة محمد ﷺ ، فيعرفون من بين أهل الجنة بذلك ،
فيقتصرعون إلى الله أن يحجو عنهم تلك السمة ، فيمحوها الله تعالى عنهم ،
فلا يعرفون بها بعد ذلك أبداً ^(١) .

وذكر أبو نعيم الحافظ عن أبي عمران الجوني قال : باغتنا أنه إذا كان
يوم القيامة أمر الله بكل جبار وكل شيطان وكل من يخاف الناس من
شره في الدنيا فيوثقون بالحديد ، ثم أمر بهم إلى النار ، ثم أوصدها عليهم ،
أي أطبقها ، فلا والله لا نستقر أقدامهم على قرارها أبداً ، ولا والله
ما ينظرون إلى أديم السماء أبداً ولا والله لا ياتق جفونهم على غمض نوم
أبداً ، ولا والله لا يذوقون فيها بارد شراب أبداً ، فقال : ثم يقال لأهل
الجنة : يا أهل الجنة افتحوا اليوم الأبواب فلا تخافوا شيطاناً ولا جباراً ،
وكلوا اليوم واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية ، قال أبو عمران :
هي والله يا إخوتاه أيامكم هذه ^(٢) .

* * *

(باب)

(نفارت أهل النار في العذاب)

عن أبي سعيد قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنْ آمَوْنَ أَهْلُ النَّارِ
عَذَابًا ، رَجُلٌ مُنْتَهِلٌ بِنِعْمَيْنِ مِنْ نَارٍ ، يَفْعَلُ مِنْهُمَا دِمَاعَهُ ، مَعَ أَجْزَاءِ
الْعَذَابِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ فِي النَّارِ إِلَى صَدْرِهِ ، مَعَ أَجْزَاءِ الْعَذَابِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ فِي

(١) التذكرة (٤٣٠ — ٤٣١)

(٢) التذكرة (٤٣١)

النَّارِ إِلَى تَرْفُوتِهِ مَعَ أَجْزَاءِ الْعَذَابِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَدْ انْفَسَ فِيهَا ، رواه
البزار ورجاله رجال الصحيح ^(١)

وعن جابر قال : سئل رسول الله ﷺ وقيل له : هل نَفَعَتْ أَبَا طَالِبٍ
بَشْيٌ ؟ قَالَ : أَخْرَجْتُهُ مِنَ النَّارِ إِنْ ضَخَّضَاحِ مِنْهَا ، رواه البزار وفيه من لم
أعرفه ^(٢) .

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « أَذْنَى أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا الَّذِي لَهُ كَعْلَانِ
مِنْ نَارٍ ، يَفْغِي مِنْهُمَا دِمَاقُهُ » رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال
الصحيح ، غير يزيد بن خالد بن موهب ، وهو ثقة ^(٣) .

وعن عمران بن حصين ، قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ
بَشْيً فِي الدُّنْيَا عُذِّبَ بِهِ فِي الْآخِرَةِ » رواه البزار وفيه إسحاق بن إدريس ،
وهو متروك ^(٤) ، وعن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال : « وَاللَّهِ لَا يَخْرُجُ مِنَ
النَّارِ أَحَدٌ حَتَّى يَمُوتَ فِيهَا أَحْقَابًا ، قَالَ : وَالْحَقُّ بَضْعٌ وَتَمَانُونَ سَفَةً ، كُلُّ
سَفَةٍ ثَلَاثُونَ وَسَعُونَ يَوْمًا مِمَّا تَبْدُلُونَ » رواه البزار وفيه سليمان بن مسلم
الخشاب وهو ضعيف جداً ، كذا في مجمع الزوائد ^(٥) .

(بَاب)

(فِي الاسْتِمْرَاءِ بِأَهْلِ النَّارِ وَبَيَانِ قَوْلِهِ تَعَالَى)

« فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ عَلَى الْأَرَائِكِ يَبْتَظِرُونَ مَلَأَ
تُوبَ الْكُفَّارِ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ » (المؤمنون ٣٤ - ٣٦) .

(١ ، ٢ ، ٣) مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٥) (٤) الجامع الأزهر (٣ / ٢٨ ب) .

(٥) مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٥) .

عن أبي صالح في قوله تعالى: «اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ» (البقرة: ١٥) قال :
يقال لأهل النار وهم في النار : اخرجوا ، ففتحت لهم أبواب النار ، فإذا
رأوها قد فتحت أبوابها أقبلوا إليها يريدون الخروج ، وللمؤمنون ينظرون
إليهم على الأرائك ، فإذا انتهوا إلى أبوابها أغلقت دونهم فذلك قوله عز
وجل «اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ» ويضحك منهم المؤمنون حين غلقت دونهم ،
فذلك قوله تعالى (فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا) إلخ ذكره ابن المبارك ^(١) .

وعن قتادة في قوله تعالى للذكور ، قال : ذكر لنا أن كعبا كان
يقول : إن بين الجنة والنار كوى ^(٢) ، فإذا أراد المؤمن أن ينظر إلى مدو
له ، كان في الدنيا اطلع من بعض الكوى ، قال تعالى في آية أخرى :
«فَاطْلَعْ قَرَأَهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ» (الصفات ٥٥) قال : ذكر لنا أنه يطلع
فيرى جاحم القوم تغلى «رواه ابن المبارك ^(٣)» قال : وأخبرنا معمر عن
قتادة قال : قال بعض العلماء : لولا أن الله عز وجل عرفه آياه ما عرفه ، لقد
تغير خبره وسببه فعند ذلك يقول «تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ تُزِيدُنِي وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي
لَكُنْتُ مِنَ الْخَاسِرِينَ» (الصفات ٥٦ - ٥٧) في النار ^(٤) .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : «إن
للمستهزئين بعباد الله في الدنيا تفتح لهم أبواب الجنة يوم القيامة ، فيقال لهم
ادخلوا الجنة ، فإذا جاءوا أغلق الباب دونهم ، ويفتح الثانية فيقال لهم :
ادخلوا الجنة ، فإذا جاءوا أغلق الباب دونهم وتفتح لهم الثالثة ، فيُدْعَوْنَ

(١) التذكرة (٤٣٢) .

(٢) جمع كوة بضم الكاف وهى الشباك بلغة العصر .

(٣) التذكرة (٤٣٣) .

(٤) التذكرة (٤٣٤) والحبر والسبر : اللون والمهينة .

فلا يحجبون ، قال : فيقول لهم الرب : أنتم المستهزئون بعبادى ؟ أنتم آخر
الناس حساباً فيقومون حتى يفرقوا في عرقهم فينادون يا ربنا إما صرفنا إلى
جهنم وإما إلى رضوانك » أخرجه أبو هذبة وأورده القرطبي في التذكرة ^(١).

(باب)

(ما جاء في استنشاق رائحة الجنة والصرف منها إلى النار)

قال رسول الله ﷺ : « يؤمر يوم القيامة بأناس إلى الجنة ، حتى إذا دنوا
منها ، واستنشقوا رائحتها ، ونظروا إلى قصورها ، وإلى ما أعد الله لأهلها
فيها ، نودوا أن اصرفهم عنها ، لانصيب لهم فيها ، فيرجعون بحسرة ما رجع
الأولون والآخرون بمثلها ، فيقولون : يا ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا
ما أريتنا من ثوابك ، وما أعددت فيها لأولائك كان أهون علينا .
قال : ذلك أردت بسكم ، كنتم إذا خلوتم بى بارزتموى بالعظام ، وإذا
لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين ، تراءون الناس بخلاف ما تعطونى من قلوبكم ،
هبتهم الناس ولم تنهبونى ، وأجلتكم الناس ولم تجلوني ، وتركتهم للناس ولم تنركوا
لى ، فالיום أذيتكم العذاب الأليم ، مع ما حرمتكم من الثواب » ذكره أبو
حامد الغزالي وأورده القرطبي ^(٢) ولينظر فى سنده ^(٣).

(باب)

• (ما جاء في ميزات أهل الجنة منازل أهل النار) •

جاء فى الخبر عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ
لِكُلِّ إِنْسَانٍ مَسْكَنًا فِي الْجَنَّةِ ، وَمَسْكَنًا فِي النَّارِ ، فَأَمَّا لِلْمُؤْمِنُونَ فَيَأْخُذُونَ

(١) التذكرة (٤٣٤) وهو حديث باطل . (٢) التذكرة (٤٣٤ - ٤٣٥)

(٣) وهو حديث باطل ، لأن فى أسناده إبراهيم بن هذبة : قال العراقى :
هالك (٥١٨/٤) أحياء علوم الدين .

مَنَازِلَهُمْ وَبَرُّوْنَ مَنَازِلَ الْكُفَّارِ، وَتُجْمَلُ الْكُفَّارُ فِي مَنَازِلِهِمْ مِنَ النَّارِ « خَرَجَهُ
ابن ماجه ^(١) بِمَعْنَاهُ .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا مِنْكُمْ
مِنْ أَحَدٍ إِلَّا لَهُ مَنَزَلَانِ مَنَزِلٌ فِي الْجَنَّةِ وَمَنَزِلٌ فِي النَّارِ ، فَإِذَا مَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ
وَرِثَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنَزِلَهُ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى (أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ) وإسناده
صحيح . قال القرطبي : وهذا بين في أن لكل إنسان منزلا في النار ومنزلا
في الجنة .

* * *

(باب)

* (ما جاء في خلود أهل الدارين وذبح
الموت على الصراط ومن يذبحه) *

عن ابن عمر قال رسول الله ﷺ : إِذَا صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ ، وَأَهْلُ
النَّارِ إِلَى النَّارِ جِئَ بِالْمَوْتِ ، حَتَّى يُجْمَلَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ثُمَّ يُذَبِّحُ ؛ ثُمَّ يُنَادِي
مُنَادٍ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا مَوْتَ ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ لَا مَوْتَ ، فَيَزِدُّدُ أَهْلَ الْجَنَّةِ
فَرَحًا إِلَى فَرَحِهِمْ ، وَيَزِدُّدُ أَهْلَ النَّارِ حُزْنَ إِلَى حُزْنِهِمْ « أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ^(٢) »
وعن أبي سعيد الخدري قال : رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يُجَاءُ بِالْمَوْتِ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ كَبُشٌّ أَمَّا ح ^(٣) » ، فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، فَيُقَالُ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ

(١) ابن ماجه برقم (٤٣٤١) قال البوصيري : إسناده صحيح على شرط

الشيخين — التذكرة (٤٣٥)

(٢) البخارى (١٤٢/٨)

(٣) الذى يكون فيه يبيض وسواد واللبياض أكثر .

هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَشْتَرِبُونَ وَيَنْظُرُونَ ، وَيَقُولُونَ : نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ . قَالَ
وَيَقَالُ : يَا أَهْلَ النَّارِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ قَالَ : فَيَشْتَرِبُونَ وَيَنْظُرُونَ ، وَيَقُولُونَ :
نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ ، قَالَ : فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُذْبِحُ ، قَالَ : ثُمَّ قَالَ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ
فَلَا مَوْتَ ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ . ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :
« وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ ، إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ » وَأَشَارَ
بِيَمِينِهِ إِلَى الدُّنْيَا « أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ^(١) وَخَرَجَهُ أَبُو عِيسَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ
أَبِي سَمِيدٍ يَرْفَعُهُ قَالَ : « إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أُتِيَ بِالْمَوْتِ كَالْكَبِشِ الْأَمْلَحِ ،
فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، فَيُذْبِحُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ، فَلَوْ أَنَّ أَحَدًا مَاتَ فَرَحًا
لَمَاتَ أَهْلُ الْجَنَّةِ . وَلَوْ أَنَّ أَحَدًا مَاتَ حُزْنًا لَمَاتَ أَهْلُ النَّارِ » وَقَالَ : هَذَا حَدِيثٌ
حَسَنٌ صَحِيحٌ ^(٢) .

وذكر ابن ماجه ^(٣) في حديث فيه طول عن أبي هريرة رضى الله عنه قال :
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يُؤْتَى بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُوقَفُ عَلَى الصِّرَاطِ . فَيَقَالُ :
يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ، فَيُطْلَمُونَ خَائِفِينَ وَجَائِعِينَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْ مَكَانِهِمُ الَّذِي هُمْ فِيهِ ،
ثُمَّ يَقَالُ يَا أَهْلَ النَّارِ ، فَيُطْلَمُونَ مُسْتَبْشِرِينَ فَرِحِينَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْ مَكَانِهِمُ
الَّذِي هُمْ فِيهِ ، فَيَقَالُ : هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ قَالُوا : نَعَمْ . هَذَا الْمَوْتُ ، قَالَ فَيُؤْمَرُ بِهِ
فَيُذْبِحُ عَلَى الصِّرَاطِ ، ثُمَّ يَقَالُ لِلْفَرِيقَيْنِ كِلَاهُمَا خُلُودٌ فَمَا تَعْبُدُونَ لَا مَوْتَ فِيهَا
أَبَدًا » وَخَرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ بِمَعْنَاهُ مَطُولًا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَيْضًا وَفِيهِ فَإِذَا أَدْخَلَ
اللَّهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلَ النَّارِ النَّارَ ، أُتِيَ بِالْمَوْتِ مُلَابِّيًا فَيُوقَفُ عَلَى الصِّرَاطِ
الَّذِي بَيْنَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ . ثُمَّ يَقَالُ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ فَيُطْلَمُونَ خَائِفِينَ ، ثُمَّ

(١) مسلم (٢١٨٨/٤)

(٢) الترمذى (٦٩٣/٤)

(٣) برقم ٤٣٢٧ ؛ وإسناده صحيح رجاله ثقات أفاده أبو بصير .

يَقَالُ : يَا أَهْلَ النَّارِ فَيَطْلَمُونَ مُسْتَبْشِرِينَ يَرْجُونَ الشَّفَاعَةَ ، فَيَقَالُ لِأَهْلِ
الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ : هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا ؟ فَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ : قَدْ
عَرَفْنَاهُ هُوَ الْمَوْتُ الَّذِي وَكَّلَ بِنَا فَيُضْغَعُ فَيُذْبَحُ ذَبْحًا عَلَى السُّورِ الَّذِي بَيْنَ
الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ثُمَّ يَقَالُ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُودُوا فَلَا مَوْتَ وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُودُوا
فَلَا مَوْتَ ، قَالَ : هذا حديث حسن صحيح ^(١) .

وعن أنس قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : « يُؤْتَى بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
كَأَنَّهُ كَبِشٌ أَمْلَحُ فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، ثُمَّ يُنَادِ مُنَادٍ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ،
فَيَقُولُونَ : لَبَّيْكَ رَبَّنَا ، قَالَ : هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ رَبَّنَا هَذَا الْمَوْتُ ،
فَيُذْبَحُ كَمَا تُذْبَحُ الشَّاةُ فَيَأْمَنُ هَؤُلَاءِ وَيَنْقَطِعُ رَجَاءُ هَؤُلَاءِ » رواه أبو يعلى ،
والطبراني في الأوسط بنحوه ، والبخاري ورجاله رجال الصحيح غير نافع بن خالد
الطاحي وهو ثقة ^(٢) والطاحي نسبة إلى الطاحية ، بطن من الأزدي ، ومحلة لهم
بالبصرة .

وعن معاذ بن جبل أن رسول الله (ﷺ) بعثه إلى اليمن فلما قدم عليهم قال :
« يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) إِلَيْكُمْ ، يخبركم أن اللرد إلى الله
وإلى جنة أو نار ، خلود بلا موت وإقامة بلا ظمن » رواه الطبراني في الكبير
والأوسط بنحوه وزاد فيه : في أجساد لا تموت ، وإسناد الكبير جيد إلا أن
ابن سابط لم يدرك معاذاً ، قلت ^(٣) : الذي سقط بينهما عمر بن ميمون
الأودي ، كما رواه الحاكم في المستدرک في أواخر كتاب الإيمان ، وفي طريقه

(١) الترمذی (٤ / ٦٨ - ٦٩٢) ملقباً : لبيبه تلبيبا جمع ثياه غند نخره في
الحصومة ثم جره ، نقله في التحفة عن القاموس (٢٧٧/٧) .

(٢) مجمع الزوائد (١٠ / ٢٩٥ - ٢٩٦) .

(٣) الفائل الهيشي (١٠ / ٢٩٦) .

مسلم بن خالد الزنجي وقال عقبه : هذا حديث ضعيف الإسناد رواية مكنون
عن مسلم بن خالد الزنجي إمام أهل مكة ومفتيهم إلا أن الشيخين قد نسباه
إلى أن الحديث ليس من صنعه والله سبحانه وتعالى أعلم .

وعن عبد الله - يعني ابن مسعود - قال : قال رسول الله ﷺ : « لو قيل
لأهل النار : إنكم ما كثثون في النار عدد كل حصاة في الدنيا لفرحوا بها ،
ولو قيل لأهل الجنة : إنكم ما كثثون عدد كل حصاة لحزنوا ولسكن جعل لهم
الأبد » رواه الطبراني ^(١) وفيه الحكم بن ظهير وهو مجمع على ضعفه .

وعن عبد الله بن عمرو قال : « أهل النار يدعون مالكا ، ولا يجيبهم
أربعين عاما ، ثم يقول إنكم ما كثثون ثم يدعون ربهم فيقولون : ربنا
أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون ، فلا يجيبهم مثل الدنيا ثم يقول اخشوا
فيها ولا تكلمون ، ثم ييأس القوم فاهربوا إلا الزفير والشهيق ، تشبه أصواتهم
أصوات الخمر ، أولها شهيق وآخرها زفير » رواه الطبراني ورجاله رجال
الصحيح ، كذا في مجمع الزوائد ^(٢) .

قال الفرطى ^(٣) : هذه الأحاديث مع صحتها نص في خلود أهل النار
فيها ، لا إلى غاية ولا أمد ، مقيمين على الدوام والسرمد ، من غير موت
ولا حياة ، ولاراحة ولا نجاة ، بل كما قال في كتابه الكريم ، وأوضح فيه
من عذاب الكافرين : « وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ ، لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ
فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ، وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ
فِيهَا - إلى قوله - مِنْ أَنْصَبٍ » (فاطر ٣٧) وقال : « كُلَّمَا نُصِجَتْ
جُلُودُهُمْ بِدَنَانِهِمْ جُلُودًا غَيْرَهَا » (أنسا ٥١) .

(١) ، (٢) مجمع الزوائد (٣٠٦ / ١٠)

(٣) التذكرة (٤٣٦ - ٤٣٨)

وقال: (قَالَ بَن كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ نِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُعَسَّبُ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ
الْجَنِيمُ يَصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ، وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ كُنَّا أَرَادُوا أَنْ
يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا) الخ ، وقد تقدمت هذه اللماني كلها فن
قال : إنهم يخرجون منها وإن النار تبقى خالية بحملتها خاوية على عروشها
وإنها تبقى وتزول ، فهو خارج عن مقتضى المقول ، ومخالف لما جاء به الرسول
ﷺ ، وما أجمع عليه أهل السنة والأئمة المدول « وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ
بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ
وَسَاءَتْ مَصِيرًا » (النساء : ١١٥) وإنما تحلى جهنم وهي الطبقة العليا التي فيها
المصاة من أهل التوحيد ، وهي التي بنيت على شفيرها فيما يقال الجرجير ^(١) .
قال فضال بن صالح المغافري : كنا عند مالك بن أنس ذات يوم فقال
لنا : انصرفوا فلما كان المشمة رجعنا إليه فقال : إنما قلت لكم انصرفوا لأنه
جاءني رجل يستأذن على زعم أنه قدم من الشام في مشقة ، فقال : يا أبا عبد الله
ما تقول في أكل الجرجير ؟ فانه يتحدث عنه أنه ينبت على شفير جهنم ؟
فقلت له : إنه لا بأس به ، فقال : استودعك الله وأقرأ عليك السلام « ذكره
الخطيب أبو بكر أحمد .

وذكر أبو بكر البزار ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الله بن عمرو بن
العاص قال : « يأتي على النار زمان تخفق الرياح أبوابها ، ليس فيها أحد ،
يعنى من الموحدين » هكذا رواه موقوفاً من قول عبد الله بن عمرو
وليس فيه ذكر النبي صلى الله عليه وسلم « ومثله لا يقال من جهة الراى ،
فهو مرفوع والله أعلم .

قال القرطبي : قد تقدم أن الموت معنى ؛ والكلام في ذلك وفي الأعمال

(١) واضح أن هذا القول لا دليل عليه .

وأنها لا تنقلب جوهرًا ، بل يخلق الله أشخاصًا من ثوب الأعمال وكذلك الموت يخلق الله كبشًا يسمى الموت ؛ ويلقى في قلوب الفريقتين أن هذا هو الموت ويكون ذبحه دليلًا على الخلود في الدارين .

قال الترمذى : والمذهب في هذه عند أهل العلم من الأئمة رضى الله عنهم مثل سفيان الثوري ، ومالك بن أنس ، وابن المبارك ، وابن عيينة ، ووكيع وغيرهم أنهم رَوَوْا هذه الأشياء ، وقالوا : ونروى هذه الأحاديث ولا يتال كيف ؟ وهذا الذى اختاره أهل الحديث أن تروى هذه الأشياء ويؤمن بها ولا تفسر ولا تنوهم ، ولا يقال كيف ، وهذا أمر أهل العلم الذى اختاروه وذهبوا إليه .

قال القرطبي : وإنما يؤتى بالموت كالكبش والله أعلم لما جاء أن ملك الموت أتى آدم عليه السلام في صورة كبش أُمْلَحَ قد نشر من أجنحته أربعة آلاف جناح ، وفي التفسير من صورة الملك عن ابن عباس ومقاتل والسكلي في قوله تعالى (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ) أن الموت والحياة جسمان ، فجعل الموت في هيئة كبش لا يمر بشيء ولا يجد ريحه إلا مات ، وخلق الحياة على صورة فرس أنثى بلفاء ، وهى التى كان جبريل والأنبياء عليهم السلام يركبونها ، خطوها مد للبعير ، فوق الحمار ودون البغل ، ولا تمر بشيء أو يجد ريحها إلا حي ، ولا تغا على شيء إلا حي ، وهى التى أخذ السامري من أنرها فألقاها على العجل فحي . حكاه الثعلبي والقشيري ، عن ابن عباس ، والماوردي عن مقاتل والسكلي .

❖ باب ❖

(فيمن يستحق النار)

عن أبي هريرة قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِّنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِمَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ » ^(١) كَذَا فِي صَحَاحِ الْمَصَابِيح . قَالَ فِي مَجَالِسِ الْأَبْرَار : الْمُرَادُ بِهَا أُمَّةُ الدَّعْوَةِ ؛ فَعَلَى هَذَا يَدْخُلُ فِيهِ جَمِيعُ أَهْلِ الْمَلَلِ الْبَاطِلَةِ ، وَتَخْصِيصُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى بِأَقْدَرٍ لِأَنَّهَا مَعَ كَوْنِهَا أَهْلُ كِتَابٍ وَصَاحِبِي شَرِيعَةٍ إِذَا كَانَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ بَتَرَكَ الْإِيمَانَ بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ فَفَسَدَ بِهَا مَنْ لَمْ يَسْكُنْ لَهُ كِتَابٌ وَلَا شَرِيعَةٌ أُولَى بِذَلِكَ . فَكَانَهُ ﷺ قَالَ أَلَسَمُ بِاللَّهِ الَّذِي نَفْسِي بِقُدْرَتِهِ أَنْ كُلَّ مَنْ يَسْمَعُ بِنَبِيِّنِي وَلَا يُؤْمِنُ بِمَا جِئْتُ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى حَتَّى يَمُوتَ يَكُونُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ . انْتَهَى .

وَعَنْ مَعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : « أَلَا إِنَّا مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً وَإِنَّا هَذِهِ الْأُمَّةُ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ ، ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَهِيَ الْجَمَاعَةُ » أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي كِتَابِ السُّنَنِ ، وَهَذَا الْحَدِيثُ ، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ مِنْ طَرِيقَيْنِ (أَحَدُهُمَا) مِنْ طَرِيقِ أَحَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَمُحَمَّدَ بْنِ يَحْيَى الْقَهْمَلِيِّ (وَالثَّانِي) مِنْ طَرِيقِ عُمَرَ بْنِ عُمَانَ عَنْ بَقِيَّةٍ عَنْ صَفْوَانَ ، فَقَرَدَ بِهِ صَفْوَانُ عَنْ أَزْهَرَ .

قال الشوكاني في فتاواه : أما أحمد بن حنبل فهو الإمام الجليل الحافظ

الذى اتفق المؤلف والمخالف على توثيقه وروى عنه أهل الصحيحين وغيرهما وهو أجل قدرا من أن يحتاج إلى تعديل ، وأرفع محلا من أن يتكلم فيه متكلم ، بل هو إمام الجرح والتعديل وإمام الحفظ والإتقان .

وأما محمد بن يحيى فهو الإمام الجليل الثقة الثابت الحافظ ، وأما عمر بن عثمان فهو القرشي مولاهم الحمصي الثقة المشهور ، وفى (التقريب)^(١) صدوق وأما بقرية فهو أحد الأعلام ، قال النسائي : إذا قال حدثنا وأخبرنا فهو ثقة ، وقال ابن عدى : إذا حدث عن أهل الشام فهو ثبت ، وقال الجوزجاني : إذا حدث عن الثقات فلا بأس به ، وهو هنا قد صرح بالتحديث وحدث عن شاذى وهو صفوان ، وروى عن ثقة وهو أيضاً صفوان ، فحصل الشرط الذى ذكره هؤلاء الأئمة الثلاثة ، وقد أخرج له مسلم ، وأما صفوان : فقال أبو حاتم : ثقة وقد أخرج له مسلم أيضاً ، وأما أزهر فقال فى التقريب^(٢) : صدوق تكلموا فيه للنصب وقال فى الخلاصة : صدوق .

وإذا عرفت هذا ، فرجال إسناد الحديث كلهم ثقات أئمة ، إلا بقية وأزهر ، وبقية لم ينفرد ، وأزهر تفرد وهو ضعيف ، لأن قولهم صدوق من صيغ التلخيص فهوكون هذا الحديث فى الطريق الثانية ضعيفاً . انتهى كلام الشوكانى .

وعن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قَالَ : « تَفَرَّقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً الْحَدِيثَ أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ »^(٣) وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وفى رواية عن أبى داود « وَتَفَرَّقَتِ النَّصَارَى عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ أَوْ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً » الحديث وأخرجه الترمذى عن ابن

(١) تقريب التهذيب (٦٠/٢) .

(٢) التقريب (٥٢/١) وسماه أزهر بن عبد الله بن جميع الحرازى ،

(٣) الترمذى (٢٥/٥) وأبو داود (٥٠٣/٢) .

مرو بن العاص قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى ثَلَاثِينَ وَسَبْعِينَ مِثَّةً وَتَفَرَّقُوا أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِثَّةً ، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً ، قَالُوا : مَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي » أخرجه الترمذى وقال غريب ^(١) .

وأخرج ابن ماجه ^(٢) مثل ذلك عن عوف بن مالك وأنس .
والحديث دليل على أن اليهود والنصارى وفئة كثيرة من هذه الأمة على اختلاف فرقهم ومذاهبهم ، في النار إلا أصحاب الحديث وأتباع الأصحاب .
والحديث استشكل من جهتين : (الأولى) ما فيه من الحكم على الأكثر بالهلاك ، والسكون في النار ، وذلك يناق الأحدث الواردة في الأمة ، بأنها مرحومة ، وبأنها أكثر الأمم في الجنة ، منها : حديث عنه ﷺ « أُمَّتِي أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ مَغْفُورٌ لَهَا مَتَابٌ عَلَيْهَا » ^(٣) ، وغيره مما ملئت به كتب السنة من الأحاديث الدالة على سعة رحمة الله ، ولو سردناها لاطال الكلام .

ولما كان حديث الافتراق مشكلا كما ترى ، أجاب بعضهم بأن المراد بالأمة في هذا الحديث ، أمة الدعوة لا أمة الإجابة ، بنى الأمة التي دعاها رسول الله ﷺ إلى الإيمان والاقرار بوحدانيته هي المفرقة إلى تلك الفرق ، وإن أمة الإجابة هي الفرقة الناجية ، يريد بها من آمن بما جاء به النبي ﷺ وحينئذ فلا إشكال .

قال السيد العلامة محمد بن إسماعيل الأمير البني (رح) : وهذا جواب حسن لولا أنه يبعد بوجوه : (الأول) أن لفظ أمتي حيث جاء في كلامه

(١) في الترمذى : حسن غريب ، قال في التحفة : في سنده عبد الرحمن بن زياد الأفریقی وهو ضعيف ، فتحسين الترمذى له لاعتضاده بأحدث الباب (٧/٤٠٠)
(٢) برقم ٣٩٩٢ ، ٣٩٩٣ سنن ابن ماجه وفي اسناد الأول مقال واسناد الحديث الثاني صحيح كما في الزوائد .
(٣) أبو داود بنحوه (٢/٤٢١) .

ﷺ لا يراد به إلا أمة الإجابة غالباً ، كحديث : أمتي أمة مرحومة ليس لها عذاب في الآخرة وحديث : إذا وضع السيف في أمتي وحديث : ليكون في أمتي قوم يستحلون الحرير ^(١) وغير ذلك مما لا يحصى .

فالأمة في كلامه ﷺ حيث أطلقت لأحمل إلا على ما تعورف منها ، و عهد بلفظها ، ولا تحمل على خلافه وإن جاء نادراً .

(والثاني) قوله : ستفترق بالسین الهدالة على أن ذلك أمر مستقبل .

(والثالث) قوله (ليأتين على أمتي) فإنه إخبار بما سيكون ويحدث ، ولو جعلناه إخباراً بافتراق المشركين في المستقبل ، لما كان فائدة ، إذ هم على هلاك اجتمعوا أو افترقوا .

(الرابع) قرأهم بطائفتين اليهود والنصارى فإن للفرقين منهما هم طائفة الإجابة لظاهر قوله تعالى « وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ » (البينة ٤) وقوله تعالى « وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ » (البقرة ٢١٣) وقوله تعالى « وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ » (آل عمران ١٠٥) .

(الخامس) ما أخرجه الترمذى ^(٢) عن أبي واقد الليثي أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى غزوة خيبر مرَّ بشجرةٍ للمُشركين فقال لها ذات أنواطٍ بملقون عليها أسلحتهم فقالوا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواطٍ كما لهم ذات أنواطٍ فقال النبي ﷺ : « سُبْحَانَ اللَّهِ ، إلى أن قال : والذي نفسي بيده : « لَتَرْكَبَنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ » وهذا خطاب لمن خاطبه من أمة الإجابة قطعاً .

فالذي يظهر لي في ذلك أجوبة :

(أحدها) أنه يجوز أن هذه للفرق المحكوم عليها بالهلاك قليلة العدد ،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه وغيره . (٢) الترمذى (٤٧٥ / ٤) وقال :

هذا حديث حسن صحيح والحقه (٤٠٧ / ٦) .

ولا يكون مجموعها أكثر من الفرقة الناجية ، فلا يمت أكثرية الهلاك ولا يرد الإشكال .

فإن قيل : يمنع عن هذا أنه خلاف الظاهر من ذكر كثرة عدد فرق الهلاك فإن الظاهر أنهم أعظم قدراً ، قلت : ليس ذكر العدد في الحديث لبيان كثرة المهالكين وإنما هو لبيان اتساع طرق الضلال وسعتها ووحدة طريق الحق ، نظير ذلك ما ذكره أئمة التفسير في قوله تعالى : « وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْشَوْا بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ » (الأنعام ١٥٣) أنه جمع السبل للنهي عن اتباعها لبيان تشعب طرق الضلال وكثرتها وسعتها وأفرد سبيل الهدى والحق لوحده وعدم تعدده .

(ثانيها) أن الحكم على تلك الفرق بالهلاك والكون في النار حكم عليها باعتبار ظاهر أعمالها وتفریطها ، كأنه قيل كلها هالكة باعتبار أعمالها محكوم عليها بالهلاك وكونها في النار ، ولا ينافي ذلك كونها مرحومة باعتبار آخر ، من رحمة الله لها ، وشفاعتها صالحاتها لطالحتها ، والفرقة الناجية إن كانت مفقودة إلى رحمة الله تعالى لكنها باعتبار ظاهر أعمالها يحكم لها بالنجاة لإتيانها بما أمرت به وانتهائها عما نهيت عنه .

(ثالثها) أن ذلك الحكم مشروط بعدم عقابها في الدنيا ، وقد دل على عقابها في الدنيا الفتن والزلازل والفقار والبلايا . أخرجه الطبراني في الكبير والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي موسى الأشعري ، فيكون حديث الإفتراق مقيداً بهذا الحديث في قوله هالكة ما لم تعاقب في الدنيا لكنها تعاقب في الدنيا فلم يست بهالكة .

(رابعها) أن الإشكال في حديث الإفتراق إنما نشأ من جعل القضية الحاكمة به وبالهلاك دائمة ، بمعنى أن الإفتراق في الأمة ، وهلاك من يهلك منها ، دائم مستمر من زمن تسكاته ﷺ بهذه الجملة إلى قيام الساعة ، وبذلك يتحقق أكثرية المهالكين وأقلية الناجين فهم الإشكال ، والحق أن القضية حينية بمعنى أن

ثبوت الافتراق للامة والهلاك لمن يهلك ، ثابت في حين من الأحيان ، وزمن من الأزمان ؛ ويدل على أن المراد ذلك وجوه :

الأول : « ستفترق » الهالة على الاستقبال لتحاية المضارع بالسین .

الثاني : قوله ليأتين فإنه إخبار بأمر مستقبل .

الثالث : قوله « ما أنا عليه وأصحابي » فإن أصحابه من مسمى أمته بلا خلاف ، وقد حكم عليهم بأنهم أمة واحدة وأنهم الناجون ؛ وأن من كان على ما هم عليه هم الناجون ؛ فلو جعلنا القضية دائماً حين التكلم للزم أن تكون تلك الفرق كائنة في أصحابه عليه السلام ورضى عنهم وهم جرا ، وقد صرح الحديث نفسه بخلاف ذلك .

فإذا ظهر لك أن الحكم الافتراق والهلاك ؛ إنما هو في حين من الأحيان وزمن من الأزمان ، لم يلزم أكثرية الهالكين وأقلية الناجين ، وهذا الجواب بحمد الله تعالى والذي قبله جيد ولا غبار عليه .

فإن قلت : يجوز أن يكون زمن الافتراق أطول من زمن خلافه فيكون أهله أكثر فيكون الهالكون أكثر من الناجين ، قلت : أحاديث سعة الرحمة وأكثرية الداخلين من هذه الأمة إلى الجنة قد دللت على أن الهالكين أقل وذلك لقصر حياتهم المتفرع عليه ، فلا بد من الجمع بين ما يورهم التناقض وقد تم الجمع بهذا الوجه وما قبله فتعین الصير إليهما .

هذا ولا يبعد أن ذلك الحين والزمان هو آخر الدهر الذي وردت الأحاديث بفساده ، وفشو الباطل وخفاء الحق ، وأن القابض على دينه كالتقابض على الجزر ، وأنه الزمان الذي يصبح الرجل فيه مؤمناً ويمسى كافراً ، وأنه زمان غربة الدين ، فتلك الأحاديث الواردة فيه التي شغفت بها كتب السنة قرأنا دالة على أنه زمان

كثرة الهالكين وزمان تفرق وتدابر ، ويحتمل أيضاً أن الافتراق كائن من القرون الشهود لها بالغيرية ، وأن في كل قرن منها فرقاً من الهالكين وأكثرها في آخر الزمان ، وهذا جواب مستقل عن الأشكال .

الجهة الثانية من جهتي الأشكال في تعيين الفرقه الناجية :

قد تكلم الناس فيها ، كل فرقة تزعم أنها هي الفرقه الناجية ، ثم قد يقيم بعض الفرق على دعواها برهاناً أو هن من بيت المنكبات ، ومنهم من يشغل بتعداد الفرق الخالفة لما هو عليه ، وبعد إلى ما شئت به من الأقوال ، ليبين بذلك أنها هالكة لاعتمادها على تلك الأقوال ، وأنه ناج بملخصه عنها ، ولو فُتس ما أنطوى عليه لوجد عنده من المقالات ، ما هو أشنع من مقالات من خالفه لكن عين المرء كايمة عن عيب نفسه وبالجملة :

فَكُلُّ يَدْعَى وَصَلًا لِلَّيْلِ وَلَيْلٍ لَا تُتَوَّعُ لَهُمْ بَذَاكَ

وكان الأحسن بالناظر في الحديث أن يكتمن بالفسير النبوي لتلك الفرقه فقد كفاه معلم الشرائع الهادي إلى كل خير المثونة وعين الفرقه الناجية بأنها من كان على ما هو عليه ﷺ وأصحابه وقد عرف بمحمد الله من له أدنى همة في الدين ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ونقل إلينا أقوالهم وأفعالهم حتى أكلهم وشربهم ونومهم ويقظتهم حتى كانوا رأيناهم رأى العين .

وبعد ذلك فن رزقه الله إنصافاً من نفسه وجمله من أولى الأبواب لا يخفاه حال نفسه أولاً هل هو متبع لما كان عليه النبي ﷺ أو غير متبع ثم لا يخفى حال غيره من كل طائفة هل هي متبعة أو مبتعدة ، ومن ادعى أنه متبع للسنة النبوية متفيد بها ، تصدق دعواه أفعاله وأقواله وتكذبها فإن ما كان عليه النبي ﷺ قد ظهر لكل إنسان ؛ فلا يمكن التباس المتبع بالمبتنع .

وعندي على تقدير ذلك الجواب أن زمن الافتراق والمهلاك هو آخر
لزمان أنه لا بعد في أن الفرقة الناجية هم الغرباء المشار إليهم في الأحاديث
كحديث: **بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَبَدَأَ فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ قِيلَ وَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ**
اللَّهِ قَالَ: الَّذِينَ يُصَلُّونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ (١) وفي رواية الَّذِينَ يَفْرُونَ بِدِينِهِمْ مِنَ
الْفِتَنِ وفي رواية الَّذِينَ يُصَلُّونَ مَا أَفْسَدَ النَّاسُ مِنْ سُنَّتِي (٢).

وفي حديث عبد الله بن عمرو قلنا: من الغرباء يا رسول الله؟ قال: **قَوْمٌ**
صَالِحُونَ قَلِيلٌ فِي أَنْاسٍ سَوِيٍّ كَثِيرٍ مِنْ بَعْضِهِمْ أَكْثَرُ يَمْنَنُ بِطَيْبِهِمْ (٣) «وم
المرادون بحديث **« لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ**
خَالَفَهُمْ أَوْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ » وم المرادون بما أخرجه الطبراني وغيره،
عن أبي أمامة عن النبي ﷺ أنه قال: **إِنْ لِكُلِّ شَيْءٍ إِقْبَالًا**
وإِدْبَارًا وَإِنْ لِهَذَا الدِّينِ إِقْبَالًا وَإِدْبَارًا وإن من إدبار الدين ما كنتم
عليه من العمى والجهالة وإن من إقبال الدين أن تفقه القبيلة بأسرها حتى
لا توجد فيها إلا الفاسق والفاسقان فهما مقهوران ذليلان إن تسكما قهرا
وقعما واضطهدا وإن من إدبار الدين أن تجفو القبيلة بأسرها حتى لا يكون فيها
إلا الفقيه والفقهاء وهما مقهوران ذليلان إن تسكما فأمرأ بالمعروف ونهيأ عن
النكر قعما وقهرا واضطهدا فهما مقهوران ذليلان لا يجدان على ذلك أعوانا
ولا أنصارا (٤).

فهذه الأحاديث وما في معناها في وصف آخر الزمان وأهله قد دلت على أنه

(١) عزاه الهيثمي للطبراني في الثلاثة من رواية ابن سعد بلفظ: **وَالَّذِينَ**
يُصَلُّونَ عِنْدَ فُسَادِ النَّاسِ، وقال: **وَرِجَالُهُ رِجَالُ رِجَالٍ الصَّحِيحِ غَيْرِ بَكْرِ بْنِ**
سَلِيمٍ وَهُوَ ثَقَفٌ (٢٧٨/٧).

(٢) عزاه ابن رجب للترمذي (٦).

(٣) عزاه الهيثمي نحوه — إلى أحمد والطبراني في الأوسط، قال: وفيه ابن
ليمة، وفيه ضعف (٧٨/٧).

(٤) أورده الهيثمي نحوه ثم قال: وفيه علي بن يزيد وهو مقروك (٢٦١/٧).

زمان كثرة المالكين وقلة الناجين ، وأحاديث الفرباء قد دلت على أوصافهم بأنهم الفرقة الناجية في ذلك الزمان وليسوا بفرقة مشار إليها كالأشعرين والمعتزلة بل هم النزاع من القبائل كما في الحديث وهم متبعو الرسول ﷺ اتباعاً قولياً وفعلياً من أى فرقة كانت ، وقد ذكر في الفرقة الناجية أنهم صالحو كل فرقة وذكر أنهم أهل البيت النبوي عليهم السلام ومن اتبعهم إلا أن ذلك مبنى على أن القضية دائمة ثم هو لا يدفع الأشكال .

نعم وهذا كله توفيق بين الأحاديث مبنى على صحة قوله « كلها هالكة إلا فرقة ولا شك أنه قد ثبت في كتب السنة كما سمعته ، ولكنه قد نقل السيد العلامة محمد بن إبراهيم الوزير رحمه الله في بعض رسائله ، عن أبي محمد بن حزم الأندلسي رحمه الله ما لفظه قال ابن حزم : إن الزيادة بمعنى قوله : كلها هالكة إلا فرقة » موضوعة وإنما الحديث المعروف « إنما تفرق إلى نيف وسبعين فرقة » لا زيادة على هذا في نقل الثقات .

فالحديث المشهور كان عند المحدثين معلاً ، وما زاده غير صحيح وإن كان الراوى ثقة غير أن مخالفة الثقات فيما شاركوه في الحديث بقوى الظن على أنه وهم فيما زاده أو أدرج في الحديث كلام بعض الرواة وحسبه من كلام رسول الله ﷺ فيملون الحديث بهذا وإن لم يكن مقدوحاً فيه ، على أن أصل الحديث الذي حكموا بصحته ليس مما انفقوا على صحته ، وقد ترك إخراج البخاري ومسلم مع شهرته لعدم اجتماع شرائطهما فيه ، انتهى كلامه حرره السيد العلامة الأمير رحمه الله في سنة ١١٢٣ الهجرية .

وفي الفتح الرباني في فتاوى الشوكاني بعد ذكر حديث أبي هريرة المتقدم والكلام عليه جرحاً وتمديلاً ما نصه : فنقرر بهذا أن رجال حديث أبي هريرة رجال الصحيح فيكون أصل الحديث أغنى افراق الأمة إلى تلك الفرق صحيحاً ثابتاً .

وأما الزيادة التي في الحديث الأول فضميمة فلا تقوم بها حجة

في حكم شرعي ولو على بعض المكلفين ، فكيف في مثل هذا الأمر العظيم الذي هو حكم بالهلاك على هذه الأمة المرحومة شرفها واختصاصها بمخائص لم يشاركها فيها أمة من الأمم السابقة ، وزادها شرفاً وتعظيماً وتجليلاً بأن جعلها شهداء على الناس ، وأى خير في أمة تفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة وتهلك جميعاً فلا ينجو منها إلا فرقة واحدة ؟

ولقد أحسن بعض الحفاظ حين يقول : وأما زيادة « كلها هالكة إلا واحدة » فزيادة غير صحيحة القاعدة وأظهرها من دسيس الملاحدة وكذلك أنكر ثبوتها الحفاظ ابن حزم .

ولقد جاد ظن من ظن أنها من دسيس الملاحدة والزنادقة فإن فيها من التنفير عن الإسلام والتخويف من الدخول فيه ما لا يقادر قدره فتحصل لواقعها ما يطلبه من العلم على هذه الأمة المرحومة والتنفير عنها كما هو شأن كثير من الخذولين الواضعين للمطامير المنافية للشريعة السمحة السهلة كما قال الصادق عليه السلام : « بُعِثَتْ بِالْخَنِيفَةِ السَّهْلَةِ ^(١) » وقال الله عز وجل : « وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ » (الحج ٧٨) وقال عليه السلام : « بَشِّرُوا وَلَا تَنْفَرُوا ، بَشِّرُوا وَلَا تَنْفَرُوا ^(٢) » .

وها أنا أضرب لك مثلاً وهو أنك لو رأيت جماعة من الناس قد اجتمعوا في مكان من الأرض عددهم اثنان وسبعون رجلاً وقال لك قائل : ادخل مع هؤلاء فإن واحداً منهم سيملك ما طامت عليه الشمس وسيضرب أعناق الباقين أجمعين وربما تفوز أنت من بينهم بالسلامة فتمطى تلك الملكة ، فهل ترضى أن تكون واحداً منهم داخلاً بينهم والحال هكذا ولا يدري من هذا الواحد منهم يدعى لنفسه أنه الفائز بالسلامة الظاهر بالفتنة بمجرد الأمنية والدعوى الماطلة عن البرهان .

(١) قال المصنف : رواه أحمد من حديث أبي امامة بسند ضعيف دون قوله « السهلة » ، نقله الزبيدي (١٨٤/٩) .
(٢) صحيح مسلم (١٣٥٨/٣) .

فان قلت : إن قوله في هذا الحديث في الفرقة الناجية : هي الجماعة وقوله في حديث آخر وهي ما أنا عليه وأصحابي ، قلت هذا التعمين وإن قلل شيئاً من ذلك التخويف والتنفير لكن قد تعاورت هذه الفرقة للهيئة الدعاوى وتناوبتها الأمانى ، فشكل طائفة من الطوائف تدعى لنفسها أنها الجماعة وأنها الظاهرة بما كان عليه النبي ﷺ وأنهم الذين لا يزالون على الحق ظاهرين .

فإن قلت أن معرفة الجماعة ومعرفة المتصفين بموافقة ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ممكنة ومن أدعى من المبتدعة إثبات ذلك الوصف لنفسه فدعواه مردودة عليه مضروب بها في وجهه ، قلت نعم ولكن ليس ها هنا حجة شرعية توجب علينا المصير إلى هذا التعمين وتلجئنا إلى تكلف تعيين الفرق الهالكة وتعدادها فرقة فرقة كما فعله كثير من المتكلمين للكلام على هذا الحديث .

وأما أنه هل يدل هذا الحديث على الافتراق قديماً وحديثاً أم على زمان مخصوص فالجواب عنه أن الافتراق لما كان منسوباً إلى الأمة حيث قال ﷺ تَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كما في حديث أبي هريرة وكذلك قوله في حديث معاوية المذكور وإن هذه اللمة ستفترق على ثلاث وسبعين ، كان ذلك صادقاً على هذه الأمة بأسرها وعلى هذه الأمة أولها وآخرها من دون تخصيص ببعض منها دون بعض ولا بمعدودون عصر ، فأفاد ذلك أن هذا الافتراق المنتهى إلى ثلاث وسبعين فرقة كائن في جميع هذه الأمة من أولها إلى آخرها ، ومن زعم اختصاص ذلك بأهل عصر من المصور أو بطائفة من الطوائف فقد خالف الظاهر بلا سبب يقتضى ذلك .

وأما أنها قد نبئت نجاة الصحابة ، فهل يدل على أنهم لم يختلفوا في

الأصول أصلاً: فالجواب عنه أنه لا ملازمة بين نجاة جميع الصعابة وبين عدم اختلافهم في الأصول بل يجوز الحكم بنجاتهم جميعاً مع الحكم باختلافهم في الأصول.

وبيان ذلك أن الأحكام الشرعية عندئذ متساوية الأقدام منسوبة إلى الشرع نسبة واحدة وكون بعضها راجعاً إلى العمل لا يستلزم تعاونها على وجه يكون الاختلاف في بعضها موجباً لعدم نجاة بعض المختلفين وفي بعضها لا يوجب ذلك فاعرف هذا وأهمه.

واعلم أن ما صح عنه عليه السلام من أن المصيب في اجتهاده له أجران والمخطئ له أجر لا يختص بمسائل للعمل ولا يخرج عنه مسائل الاعتقاد فاقوله كثير من الناس من الفرق بين المسائل الأصولية والفروعية وتصويب المجتهدين في الفروع دون الأصول ليس على ما ينبغي بل الشريعة واحدة وأحكامها متحدة وإن تفاوتت باعتبار قطعية بعضها وظنية الآخر.

فالخلق عند الله عز وجل متعين يستحق موافقة أجري ، ويقال له مصيب من الصواب دون الإصابة ويقال لخالفه إنه مخطئ كما قال النبي ﷺ فيما ثبت عنه في الصحيحين ^(١) وغيرهما من حديث عمرو بن العاص: «إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ، ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ الْخَارِجَةِ عَنِ الصَّحِيحِ مِنْ غَيْرِ حَدِيثِهِ أَنَّهُ إِنْ أَصَابَ فَلَهُ عَشْرَةُ أَجُورٍ وَهَذِهِ زِيَادَةٌ خَارِجَةٌ مِنْ مَخْرَجِ حَسَنِ كَأَنَّهُ مَعْرُوفٌ.

فالنبي ﷺ قد سمي من خالف الحق مخطئاً، فن قال إنه.

مصيب في الظنيات الفروعيات إن أراد أنه مصيب من الإصابة فقد أخطأ وخالف النص وإن أراد أنه مصيب من الصواب الذي يصح إطلاقه باعتبار استحقاق الأجر لا باعتبار إصابة الحق فلذلك وجهه ، فأعرف هذا وافهمه حتى يتبين لك اختلاف الناس في أن كل مجتهد مصيب أم لا .

وأعلم أنه لا فرق عند التحقيق بين ما تسميه الناس فروعاً وبين ما يسمونه أصولاً ، هذا إن كان مطلوب السائل ما هو عند المحجوب ، وإن كان مطلوبه ما قاله الناس فكلامهم معروف في مؤلفاتهم . انقضى كلام الشوكاني رحمه الله .

* * *

(باب)

(في سوء الخاتمة وبيان الخوف والرجاء)

قال في مجالس الأبرار : وله أسباب يجب على المؤمن أن يحترز عنها :
 منها : الفساد في الاعتقاد وإن كان مع كمال الزهد والصلاح ، فإن كان له فساد
 في اعتقاده مع كونه قاطعاً به ، متيقناً له ، غير ظان أنه أخطأ فيه ، قد
 ينكشف له في حال سكرات الموت ، بطلان ما اعتقده من الاعتقادات الحقّة
 مثلي هذا الاعتقاد باطل ، لا أصل له ، إن لم يكن عنده فرق اعتقاد
 واعتقاد ، فيكون انكشاف بطلان بعض اعتقاداته ، سبباً لزال بقية اعتقاداته ،
 فإن خروج روحه في هذه الحالة قبل أن يتدارك ويعود إلى أصل الإيمان
 ينجم له بالسوء ويخرج من الدنيا بفهم إيمان ، فيكون من الذين قال الله
 تعالى فيهم « وَبَدَأَهُم مِّنْ أَفْهٍ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ » (الزمر ٤٧) وقال
 في آية أخرى « قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ، الَّذِينَ ضَلَّ سَمْعُهُمْ فِي الْحَيَاةِ
 الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا » (الكهف : ١٠٣ - ١٠٤) .
 فإن كل من اعتقد شيئاً على خلاف ما هو عليه إما نظراً برأيه وعقله أو
 أخذاً بمن هذا حاله فهو واقع في هذا الخطر ، ولا يدفعه الزهد والصلاح ، وإنما
 يدفعه الاعتقاد الصحيح المطابق لكتاب الله وسنة رسوله ، لأن العقائد الدينية
 لا يعتد بها إلا ما أخذت منها .

ومنها الإصرار على المعاصي ، فإن من له إصرار عليها يحصل في قلبه إلتها ،
 وجميع ما ألقه الإنسان في عمره يعود ذكره عند موته ، فإن كان ميله إلى
 الطاعات أكثر ، يكون أكثر ما يحضره عند الموت ذكر الطاعات ، وإن كان ميله
 إلى المعاصي أكثر يكون أكثر ما يحضره عند الموت ذكر المعاصي ، فربما يقلب

عليه حين زول الموت به قبل التوبة شهوة ومعصية من المعاصي فيتعقيد قلبه بها
وتصير حجاباً بينه وبين ربه ، وسبباً لشقاوته في آخر حياته لقوله **﴿المعاصي بريد الكفر﴾** (١).

والذي لم يرتكب ذنباً أصلاً أو ارتكب وتاب فهو بعيد عن هذا الخطر ،
وأما الذي ارتكب ذنباً كثيرة حتى كانت أكثر من طاعاته ولم يقب عليها ، بل
كان مصرأ عليها . فهذا الخطر في حقه عظيم جداً إذ قد يكون غلبة الإلف
بها سبباً لأن يمثّل في قلبه صورتها ، ويقع منه ميل إليها وتقبض روحه عليها
فيكون سبباً لسوء خاتمته .

ويعرف ذلك بمثال ، وهو أن الإنسان لا شك أنه يرى في منامه من
الأحوال التي ألفها طول عمره ، حتى إن الذي قضى عمره في العلم يرى من الأحوال
المعلقة بالعلم والعلماء والذي قضى عمره في الخياطة يرى من الأحوال المتعلقة
بالخياطة والخياط ، إذ لا يحضر في حال النوم إلا ما حصل له مناسبة مع قلبه
لطول الإلف . والموت وإن كان فوق النوم لكن سكراته وما يتقدمه من الفنى
قريب من النوم ، فطول الألف بالمعاصي يقتضى تذكرها عند الموت وعودها في
القلب وتمثلها فيه وميل النفس إليها ، وإن قبض روحه في تلك الحالة يحتم له بالسوء
ومنها العدول على الاستقامة ، فإن من كان مستقيماً في ابتدائه ثم تغير عن حاله
وخرج مما كان عليه في ابتدائه يكون سبباً لسوء خاتمته ، كما ببليس الذي كان في
ابتدائه رئيس الملائكة ومعلمهم وأشدّهم اجتهاداً في العبادة ، ثم لما أمر بالسجود
لآدم أبى واستكبر وكان من الكافرين ، وكبهام بن باعور (٢) الذي آتاه الله
آياته فانسأخ مخلوده إلى الدنيا وانبع هواه وكان من الفاوين ، وكبر صيصالعابد

(١) يعني نجر إليه ، قال ابن حجر الهيتمي : أظنه من قول السلف (٢٩٦/١) كشف الحفاء .

(٢) رأسه الجيس الملائكة كلام لا أصل له .

الذى قال له الشيطان : ا كفر فلما كفر قال : إني برىء منك إني أخاف الله رب العالمين فإن الشيطان أغراه على الكفر فلما كفر تبرأ منه مخافة أن يشاركه في العذاب ولم ينفعه ذلك ، كما قال تعالى : « فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ » (الحشر ١٧) .

ومنها ضعف الإيمان : فإن كان في إيمانه ضعف يُضْعِفُ حُبَّ الله تعالى فيه ويقوى حب الدنيا في قلبه ويستولى عليه بحيث لا يبقى فيه موضع لحب الله تعالى إلا من حيث حديث النفس بحيث لا يظهر له أثره في مخالفة النفس ، ولا يؤثر في الكف عن المعاصي ولا في الحث على الطاعات ، فونهك في الشهوات وارتكاب السيئات ، فتتراكم ظلمات الذنوب على القلب فلا تزال تطفئ ما فيه من نور الإيمان مع ضعفه ، فإذا جاءت سكرات الموت يزداد حب الله ضعفاً في قلبه لما يرى أنه يفارق الدنيا وهي محبوبة له وحباها غالب عليه لا يريد تركها وبقاؤه من فراقها ، ويرى ذلك من الله تعالى فيخشى أن يحصل في باطنه بغضه تعالى بدل الحب وينقلب ذلك الحب الضعيف بغضاً ، فإن خرج روحه في اللحظة التي خطرت فيها هذه الخطرة ينجم له بالسوء ويهلك هلاكاً مؤبداً .

والسبب المفضى إلى هذه الخاتمة حب الدنيا والركون إليها والفرح بها مع ضعف الإيمان الموجب لضعف حب الله تعالى ، وهو الهاء المضال الذى قد عم أكثر الخلق فإن من يغلب على قلبه عند الموت أمر من أمور الدنيا يتمثل ذلك الأمر في قلبه ويستغرقه حتى لا يبقى لنفسه منسع ، فإن خرج روحه في تلك الحالة يكون رأس قلبه منكوساً إلى الدنيا ووجهه مصروقاً إليها ، ويحصل بينه وبين ربه حجاب .

حكى أن سليمان بن عبد الملك لما دخل المدينة حاجاً قال : هل بهارجل أدرك هدة من الصحابة ؟ قالوا : نعم ، أبو حازم ، فأرسل إليه ، فلما أتاه قال : يا أبا حازم

مالنا نذكره الموت؟ قال: إنكم عمرتم الدنيا، وخرتم الآخرة، فتسكرون الخروج من العمران إلى الخراب، قال: صدقت، ثم قال: ليت شعري مالنا عند الله تعالى؟ قال: أعرض عملك على كتاب الله، قال: فأين أجده؟ قال: في قوله تعالى: «إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نِعَمٍ وَإِنَّ الْفَجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ» (الانفطار ١٣ - ١٤) قال: فأين رحمة الله؟ قال: (رَحْمَةُ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ).

قال: ليت شعري كيف العرض على الله تعالى غدا؟ قال: أما الحسن فكما الغائب الذي يقدم على أهله، وأما المسيء: فكما لآبق يقدم على مولاه، فبكي سليمان حتى علا صوته واشتد بكاءه ثم قال أوصني:، قال: إياك أن يراك الله تعالى حيث نهاك أو يفقدك حيث أمرك» انتهى.

قال الغزالي في الأحياء^(١): إن العمل على الرجاء أعلى منه على الخوف، لأن أقرب العباد إلى الله أحبه لهم، والحب يقلب بالرجاء، قال: وإن الرجاء من جملة مقامات السالكين وأحوال الطالبين.

ثم ذكر دواء الرجاء والنسيب الذي يحصل منه حال الرجاء ويقلب ثم ذكر الآيات والأخبار والآثار الدالة على ذلك، ثم اتبعه ببيان حقيقة الخوف وبيان دواء الخوف، وبيان معنى سوء الخاتمة، وبيان أحوال الخائفين من الأنبياء والصالحين، وبيان درجات الخوف واختلافه في القوة والضعف، وبيان أن الأفضل هو غلبة الخوف أو غلبة الرجاء أو اعتدالهما، وبيان الدواء الذي يُسْقَطُ به حال الخوف والإيمان بالله تعالى واليوم الآخر يهيمُ الخوف من النار والرجاء للجنة، والخوف يقويان على الصبر،، إن الجنة قد حفت بالمسكاره فلا يصبر على تحملها إلا بقوة الرجاء، والنار قد حفت بالشهوات فلا يصبر على قمعها إلا بقوة الخوف. ولذلك قال على عليه

(١) إحياء علوم الدين (٢/١٤١).

السلام : « من أشفق من النار رجع عن الحرمات ، ومن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات » .

قال الغزوي في رياض الصالحين ^(١) : إن المختار لله بد في حال الصحة أن يكون خائفاً راجياً ، ويكون خوفه ورجاؤه سواء ، وفي حال المرض يتمحض الرجاء ، وقواعد الشرع من نصوص الكتاب والسنة وغير ذلك متظاهرة على ذلك ، قال تعالى « فَلَا يَأْمُنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ » (الأعراف ٩٩) وقال تعالى « إِنَّهُ لَا يَأْمُنُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ » (يوسف ٨٧) وقال تعالى « يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ » (آل عمران ١٠٦) .

وقال تعالى « إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ » (الأعراف ١٦٧) والآيات في هذا المعنى كثيرة ، فوجتمع الخوف والرجاء في آيتين مقترعتين أو آيات أو آية ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْمُغْوِيَةِ مَا طَمَعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ » رواه مسلم ^(٢) .

وعن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : الْجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَيَّ أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ » رواه البخاري ^(٣) . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لَا يَلْبِغُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ حَتَّى يَمُودَ اللَّبَنُ فِي الصَّرْعِ » رواه الترمذي ^(٤) وحسنه وصححه .

وعنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « سَبْعَةٌ يُظْلَمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ

(١) رياض الصالحين (١٧٥) .

(٢) مسلم (٢١٠٩/٤) .

(٣) البخاري (١٢٧/٨) .

(٤) الترمذي بشرح التحفة (٦٠٠/٦) وعبارته : هذا حديث صحيح .

إِلَّا ظُلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابَّ نَشَأً فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مَمْلُوكٌ بِالسَّجْدِ،
وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ
وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالَهُ
مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ « متفق عليه ^(١) .

وعن أبي أمامة صَدَيِّ بْنِ عَجَلَانَ الْبَاهِلِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ
قَالَ: « لَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ قَطْرَتَيْنِ وَأُتْرُبَيْنِ: قَطْرَةٌ دُمُوعٍ مِنْ
خَشْيَةِ اللَّهِ، وَقَطْرَةٌ دَمٍ مُهِرَّائِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَمَّا الْأُتْرَابُ فَأَنْزَلَنِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ
وَأَنْزَلَنِي فِي فَرِيضَةٍ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ تَعَالَى » رواه الترمذی ^(٢) وقال حديث حسن
وفي الباب أحاديث كثيرة اهـ .

قلت وفي الأحياء ^(٣): وسوء الخاتمة على رتبتين - إحداهما أعظم من
الأخرى - فأما الرتبة العظيمة الهائلة: فهي أن يظلم على القلب عند
سكرات الموت وظهور أهواله إما الشك وإما الجحود فتقبض الروح على
تلك الحالة فتسكون حجاباً بينه وبين الله تعالى أبداً، وذلك يقتضي البعد
الدائم والعذاب الخلد .

(والثانية) وهي دونها أن يظلم على قلبه عند الموت حب أمر من أمور
الدنيا أو شهوة من شهواتها فيتمثل ذلك في قلبه ويستغرقه حتى لا يبقى في
تلك الحالة متسع لغيره، فهما اتفق قبض الروح في حالة غلبة حب الدنيا فالأمر
مخطر لأن المرء يموت على ما عاش عليه، وعند ذلك تعظم الحسرة إلا أن

(١) الترمذی (٥٩٨/٤) مسلم (٧١٥/٢) اللؤلؤ والمرجان برقم ٦١٠

(٢) الترمذی بشرح التحفة (٣١١/٦)

(٣) الأحياء (١٧٠/٤)

أصل الإيمان وحب الله تعالى إذا كان قد رسخ في القلب مدة طويلة وتأكد ذلك بالأعمال الصالحة يحو عن القلب هذه الحالة التي عرضت له عند الموت ، فإن كان إيمانه في القوة إلى حد مثقال أخرج من النار في زمان أقرب ، وإن كان أقل من ذلك طال مكثه في النار ولكن لو لم يكن إلا مثقال حبة فلا بد وأن يخرج من النار ولو بعد آلاف سنين وكل من اعتقد في الله تعالى وفي صفاته وأفعاله شيئاً على خلاف ما هو به إما تقليداً وأما نظراً بالرأى والمعقول فهو في هذا الخطر ، والزهد والصلاح لا يكفي لدفع هذا الخطر بل لا ينبغي منه إلا الاعتقاد الحق وفق الكتاب العزيز والسنة الملهمة ، والبسطة بمعزل عن هذا الخطر .

ولكن الآن قد استرخى العنان ، وفشا الهذيان ونزل كل جاهل على وفق طبعه بظن أو حساب ، وهو يعتقد أن ذلك علم واستيقان ، وأنه صفو الإيمان ، ويظن أن ما قنع به من حدس وتخمين : علم اليقين وعين اليقين وإيمان نبأه بعد حين ، وينبغي أن ينشد في هؤلاء عند كشف الغطاء :

أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت ولم تخفّ سوء ما يأتي به القدر
وسألتك الآيالي فاغتررت بها وعند صفو الآيالي يحدث السكر

وأما الخاتمة الثمانية التي هي دون الأولى وليست مقتضية لاخلود في النار فلها أيضاً سببان :

أحدهما : كثرة المعاصي وإن قوى الإيمان ، والآخر : ضعف الإيمان وإن قلت المعاصي ، وليس الخوف بكثرة الذنوب بل بصفاء القلوب وكال المعرفة وإلا فليس أمتنا لقلّة ذنوبنا وكثرة طاعاتنا بل قادتنا شهوتنا وغلبت علينا

شَقَوْنَا وَصَدَّنَا مِنْ مَلاحِظَةِ أحوالنا غفلتْنا وَقَسَوْنَا ، فَلَا قُربَ الرَّحِيلِ بَيْنَنا ،
وَلَا كَثْرَةَ الذَّنوبِ تَحْرِكُنا وَلَا مَشاوِدَةَ أحوالِ الْخائِفِينَ نَحْوَنا ، وَلَا خَطرَ
الْخَلَامَةِ يَزِجُنا ، فَتَسْأَلُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَتَدَارَكَ بِنُصْلهِ وَجُودهِ أحوالنا فَيُصْلِحَها
إِنْ كانَ تَحْرِيكَ اللِّسانِ بِمَجْرَدِ السَّوْالِ دُونَ الاسْتِعْدَادِ يَنْفَعُنا .

فَلَمَّا قَا قَلْبِي وَضَاقَتْ مَذاهِبي جَعَلْتَ رَجائِي نَحْوَ عَفْوَكَ صَلَما
بِمَظْلَمِي ذَنْبِي فَلَمَّا قَرَنْتَهُ بِعَفْوَكَ رَبِّي كانَ عَفْوَكَ أَعْظَما
فما زِلْتُ ذا عَفْوَ عَنِ الذَّنْبِ لَمْ تَزَلْ تَجُودُ وَتَعْفُو مِنْهُ وَتُكْرِما

وَبِالْجِلَّةِ فَالْخَلَامَةُ مَخْطَرَةٌ لَا يَدْرِي حَقِيقَتُها ، وَقَدْ قالَ صَلَوةُ بَنِ أَشِيمَ عَلى قَبْرِ
أَخِيهِ :

فَإِنْ نَجَّجَ مِنْها نَجَّجَ مِنْ ذِي عَظِيمَةٍ وَإِلَّا فَانِي لَا أَخالِكَ نَاجِيا

وَيَوْمَ الْقِيامَةِ يَوْمٌ تَقِفُ فِيهِ الْخَلائِقُ شَاخِصَةً أَبْصارُهُمْ مَنْفُطَةٌ قُلُوبُهُمْ
لَا يَسْكَمُونَ ، وَلَا يَنْظُرُ فِي أُمُورِهِمْ ، وَلَا يَأْكُلُونَ فِيهِ ، وَلَا يَشْرَبُونَ ، وَلَا يَجِدُونَ
فِيهِ رُوحَ نَسِيمٍ ، حَتَّى إِذا انْقَطَعَتْ أَعناقُهُمْ عَطْشا ، وَاحْتَرَقَتْ أَجْوافُهُمْ جُوعاً ،
انْصَرَفَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ ، فَسَقُوا مِنْ عَيْنِ آتِيَةٍ ، قَدْ آنَ حَرُّها وَاشْتَدَّ لَفْحُها ،
فَقَامِلٌ فِي طُولِ هَذا اليَوْمِ ، وَشَدَّةِ الْإِنْتِظارِ فِيهِ ، حَتَّى يَخْفَ عَلَيْكَ انْتِظارُ الصَّبْرِ
عَنِ الْمَعَاصِي فِي عَمَلِكَ الْمُخْتَصِرِ .

ثُمَّ تَفَكَّرْ بَعْدَ هَذا الْأَحوالِ ، نَما يَتَوَجَّهُ عَلَيْكَ مِنَ السَّوْالِ ، شَفاهاً مِنْ غَيرِ
تَرْجَمَانٍ ، فَتَسْأَلُ عَنِ الْقَلِيلِ وَالكَثِيرِ ، وَالنَّقِيرِ وَالْقَطْمِيرِ ، وَالْجَمِيلِ وَالْحَقِيرِ ،
وَيُؤَنَّى بِالْمِيزانِ ، وَيُطَارَ بِالسَّكِّبِ ، إِلَى الشَّامِثِ وَالْإِيمَانِ ، وَتُكْرَمُ الْخَصَماءُ ،
وَيُسَاقُونَ إِلَى الصِّراطِ ، وَبَغَضِ الرَّبِّ غَضَباً لَمْ يَبْغَضْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَلَا يَبْغُضُ

بعده مثله ، وقد أخبرت بأن النار مورد للجميع ، فانت من الورود على يقين ، ومن النجاة في شك ، فاستشعر في قلبك ذلك المورد فمساك تستمد للنجاة منه . فهذه أهوال يوم القيامة ، وأصناف عذاب جهنم ، على الجلة ، وتفصيل غمومها وأحزانها ، ومحها وحسراتها ، لانهاية له ، وقد تصدى لذكرها القرطبي في التذكرة وأعظم الأمور عليهم ، مع ما يلاقونه من شدة المذاب ، حسرة فوت نعيم الجنة ، وفوت لقاء الله تعالى ، وفوت رضاه ، مع علمهم بأنهم باعوا كل ذلك ، بثمان بجنس دراهم معدودة ، إذ لم يبيعوا ذلك إلا بشهوات حقيرة في الدنيا ، أياما قصيرة وكانت غير صافية بل كانت مكدرة منقصة .

فيا لحسرة هؤلاء ، وقد فاتهم ما فاتهم ، وبلوا بما بلوا به ، ولم يبق معهم شيء من نعيم الدنيا ولذاتها ، قال أحمد بن حرب : أهدنا يؤثر الظل على الشمس ، ثم لا يؤثر الجنة على النار ، وقال عيسى عليه السلام : كم من جسد صحيح ووجه صبيح ولسان فصيح ، غدا بين أطباق النار يصيح ، فانظر في هذه الأحوال .

واعلم أن الله تعالى خلق النار بأهوالها ، وخلق لها أهلا ، لا يزيدون ولا ينقصون وأن هذا أمر قد قضى وفرغ منه ، قال تعالى : « وَأَنْذَرُكُمْ يَوْمَ الْحُسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ » (مريم ٣٩) ولعمري الإشارة به إلى يوم القيامة ، ولكن ما قضى الأمر يوم ، بل في أزل الآزال ، ولكن أظهر يوم القيامة ماسبق به القضاء فالمعجب منك حيث تضعك وتلهو وتشغل بمعمرات الدنيا واست تدري أن القضاء بماذا سبق في حقك .

فإن قلت : فليت شعري ماذا موردى ؟ ، وإلى ماذا مآلى ومرجى ؟ وما الذي سبق به القضاء في حقي ؟ ، فلك علامة نستأنس بها ونصدق رجاءك

بسيها ، وهو أن تنظر إلى أحوالك وأعمالك فإن كلا ميسر لما خلق له ، فإن كان قد يسر لك سبيل الخير فأبشر فإنك مبعثد عن النار وإن كنت لا تقصد خيراً إلا وتحيط بك الموائق فددعه ولا تقصد شراً إلا ويتيسر لك أسبابه ، فاعلم أنك مقضى عليك فإن دلالة هذا على العاقبة كدلالة المطر على النبات ودلالة الدخان على النار ، فقد قال تعالى : « إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ، وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ » (الانفطار : ١٣ - ١٤) فاعرض نفسك على الآيتين وقد عرفت مستقرك من الدارين .

(باب)

« حفت النار بالشهوات وحفت الجنة بالمكاره »

وذكر عمل أهل النار وأهل الجنة)

عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ » أخرجه مسلم وخرجه أيضاً البخاري ، وقال الترمذي ^(١) حديث حسن صحيح غريب ، ويعنى بالمسكاره : المشقة مثل التكاليف الشرعية أمراً ونهيها ، وبالشهوات مرارات النفس ومستلذاتها وأهويتها ، وتقدم في أول الكتاب ^(٢) حديث إرسال الله جبريل عليه السلام إلى الجنة والنار وهو عند الترمذي وأصحاب السنن عن أبي هريرة وقال فيه أبو عيسى حسن صحيح .

قال الفرطبي ^(٣) « المسكاره كل ما يشق على النفس فعله ، وبصعب عليها عمله كالطهارة في السبرات وغيرها من أعمال الطاعات والصبر على المصائب

(١) الترمذي (٢٨٠ / ٧) شرح التحفة مسلم (٢١٧٤ / ٤) اللؤلؤ والمرجان

(٢) التذكرة (٣٥٩) .

برقم ١٧٩٧ .

والمصيبات، وجميع المكروهات ، والشهوات كل ما يوافق النفس ويلائمها وتدعو إليه ويوافقها وأصل الحفاف : الدائر بالشئ المحيط به القذى لا يتوصل إليه إلا بعد أن يتخطى ، فمثل النبي ﷺ المكاره والشهوات بذلك فالجنة لا تنال إلا بتقطع مفاوز المكاره والصبر عليها ، والنار لا ينجى منها إلا بترك الشهوات وفطام النفس عنها .

ولقد روى عن النبي ﷺ أنه مثل طريق الجنة وطريق النار بتمثيل آخر فقال : «طَرِيقُ الْجَنَّةِ حَزْنٌ رُبُوعٌ ، وَطَرِيقُ النَّارِ سَهْلٌ بِسَهْوَةٍ» ذكره صاحب الشهاب ، والحزن هو الطريق الوعر المسلك والرُبُوع هو المكان المرتفع وأراد به ما يكون من الروابي ، والسهوة بالسين المهملة هو الموضع السهل الذي لا غلظ فيه ولا وعورة .

وقال القاضي أبو بكر بن العربي في مراجع المريدين له في الحديث : أى جعلت على حافاتها وهى جوانبها ، ويوم الناس أنه ضرب فيها المثل فجعلها فى جوانبها من الخارج . ولو كان ذلك ما كان مثلاً صحيحاً وإنما هى من داخل وهذه صورتها .

النار	الجنة												
<table><tr><td>المال</td><td></td></tr><tr><td>الشهوات</td><td>١٨٦٥</td></tr><tr><td>١٨٦٥</td><td></td></tr></table>	المال		الشهوات	١٨٦٥	١٨٦٥		<table><tr><td>الصبر</td><td></td></tr><tr><td>المكارة</td><td>١٣٣٤</td></tr><tr><td>١٣٣٤</td><td></td></tr></table>	الصبر		المكارة	١٣٣٤	١٣٣٤	
المال													
الشهوات	١٨٦٥												
١٨٦٥													
الصبر													
المكارة	١٣٣٤												
١٣٣٤													

وعن هذا عبر ابن مسعود بقوله حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات

فن أطلع الحجاب فقد واقع ما وراءه وكل من تصورهما من خارج فقد ضل عن معنى الحديث وعن حقيقة الحال ، وفي الصحيحين « حجبت » بدل خفت في الموضعين .

قال القرطبي فإن قيل : قد قال حجبت النار بالشهوات قلنا المعنى واحد لأن الأعمى عن التقوى الذي قد أخذت سمعه وبصره الشهوات يراها ولا يرى النار التي هي فيها وإن كانت باستيلاء الجحالة ورب الغفلة على قلبه كإعطاء يرى الحبة في داخل الفخ وهي محجوبة عنه لأنه لا يرى الفخ لغلبة شهوة الحبة على قلبه ، وتعلق باله بها ، وجهله بما جعلت فيه وحجبت . انتهى .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما رأيت مثل النار فام هاربها ، ولا مثل الجنة فام طالبها » أخرجه الترمذي ^(١) وقال هذا حديث إنما نعرفه من حديث يحيى بن عبيد الله ، وهو ضعيف عند أهل الحديث ، تكلم فيه شعبة .

وقد سئل شيخ الاسلام أحمد بن تيمية رحمه الله : ما عمل أهل النار وما عمل أهل الجنة ؟ فأجاب : عمل أهل النار الإشرار بالله تعالى والكذب للربل والكفر والحسد والكذب والخيانة والظلم والفواحش والفدر وقطيعة الرحم والجبن عن الجهاد والبخل واختلاف السر والملاينة واليأس من روح الله والأمن من مكر الله والجزع عند المصائب والفخر والبطر عند النعم وترك فرائض الله واعتداء حدوده وانتهاك حرمانه وخوف الخلق دون الخالق ، والعمل رياء وسمعة ومخالفة الكتاب والسنة ، أي اعتقاداً وعملاً ، وطاعة الخلق في معصية الخالق والتعصب للباطل واستهزاء بآيات الله وجحد الحق والسكمان

لما يجب إظهاره من علم وشهادة، والسحر وعقوق الوالدين وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم والربا والفرار من الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات .

وأما عمل أهل الجنة فالإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره والشهادتان : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت ، وأن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

ومن أعمال أهل الجنة صدق الحديث وأداء الأمانة والوفاء بالعهد وبر الوالدين وصلة الأرحام والإحسان إلى الجار واليتيم والمساكين والمملوك من الآدميين والبهائم ومن أعمالهم الإخلاص لله والتوكل عليه والمحبة لله ورسوله وخشية الله ورجاء رحمته والإنابة إليه والصبر على حكمه والشكر لنعمته وقراءة القرآن وذكر الله ودعاؤه ومستلته والرغبة إليه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله مع الكفار والمنافقين .

ومن أعمالهم أن يصل من قطعه، ويعطى من حرمه ، ويعفو عن ظلمه ، فإن الله أعد الجنة للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء ، والكاظمين الفتيظ ، والمعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين ، ومن أعمالهم العدل في جميع الأمور ، وعلى جميع الخلق حتى الكفار ، وأمثال هذه الأعمال ، والتجاني عن دار الفرور ، والإنابة إلى دار الخلود ، فعمل أهل الجنة : الإيمان والطاعة ، وعمل أهل النار : الكفر الفسوق والعصيان .

وتفصيل الجنتين لا يمكن لكن أعمال أهل الجنة كلها تدخل في طاعة الله ورسوله وأعمال أهل النار كلها تدخل في معصية الله ورسوله فمن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك هو الفوز

العظيم ، ومن يمحص الله ورسوله يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين . .
 انتهى كلام شيخ الاسلام . وهو كما شرح لحديث الباب « حُقَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَسْكَرَةِ
 وَحُقَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ » وكتاب شعب الايمان للبيهقي يشتمل على أشياء هي
 من أعمال أهل الجنة وهو ست مجلدات في سبعة وسبعين باباً اختصره أبو
 حفص عمر بن علي القزويني الإمام بجامع الخليفة ببغداد في نحو كراستين .
 وأصل الكتاب حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال:
 « الْإِيمَانُ بَضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً أَوْ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً أَعْلَاهَا أَوْفَارُفَعْمَا أَوْ
 فَأَنْضَلْمَا عَلَى اخْتِلَافِ الرِّوَايَاتِ قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَامَةُ الْأَذَى عَنِ
 الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ (١) » فالإيمان وشعبه هذه كلها من أعمال أهل
 الجنة وهذا بيانها بمحذف الأدلة على سبيل التعميد .

فالأول منها الإيمان بالله عز وجل ثم الايمان برسل الله ثم بالملائكة
 ثم بالقرآن ثم بالقدر خيره وشره وأنه من الله عز وجل ثم باليوم الآخر ثم
 بالبعث بعد الموت ثم بحشر الناس بعدما يبعثون من قبورهم إلى الموقف ثم
 بأن دار المؤمنين وما بهم الجنة ودار الكافرين وما بهم النار ثم بوجوب محبة
 الله تعالى ثم بوجوب الخوف منه عز وجل ثم بوجوب الرجاء منه
 سبحانه وتعالى .

ثم بوجوب الثوق كل عليه تعالى وتبارك ثم بوجوب حب النبي ﷺ ثم بوجوب
 تعظيمه ﷺ وتبجيله وتوقيره ثم شح المرء بدينه حتى يسكون القذف في النار
 أحب إليه من الكفر ثم طلب العلم وهو معرفة الباري تعالى وصفاته وما جاء
 من عند الله وعلم النبوة وما تميز به النبي عن المقنبي وعلم أحكام الله تعالى
 وأقضيته ومعرفة ما تطلب الأحكام منه كالكتاب والسنة ، والقرآن والحديث
 مشحونان بنصائل العلم والعلماء وفيه كتاب مفتاح دار السعادة المعافى ابن

القيم رحمه الله وهو كتاب لا يوجد نظيره في الإسلام ثم نشر العلم ثم تعظيم القرآن المجيد بتعلمه وتعليمه ، وحفظ حدوده وأحكامه وعلم حلاله وحرامه ، وتكريم أهله وحفاظه واستشعار ما يهيج البسكاء من مواعظ الله ووعيده ثم الطهارة ثم الصلوات الخمس ثم الزكاة ثم الاعتكاف ثم الحج ثم الجهاد وفي ذلك كتاب (العبدة مما جاء في الفوز والشهادة والهجرة) لهذا العبد عفا الله عنه وهو نفيس جداً في هذا الباب مفعن عن كثير من المكاتب ثم المراقبة في سبيل الله تعالى ثم الثبات للعدو وترك الفرار من الزحف ثم أداء الخمس من المغنم إلى الإمام أو عامله على الغنائم وكل ذلك مذكور في كتابي المسطور ثم العتق وفك الرقبة ثم الكفارات الواجبات بالجنايات وهي في الكتاب والسنة أربع .

كفارة القتل وكفارة الظهار وكفارة اليمين وكفارة المسيس في صوم رمضان ومما يقرب منها ما يجب باسم الفدية لأنها إمام عن ذنب سبق أو يراد به التقرب إلى الله تعالى بشيء يعنى أثر أمر قد وقع ذنبها كان أو غير ذنب ثم الإيفاء بالعقود ثم تعدد نعم الله عز وجل وما يجب من شكرها ثم حفظ اللسان عما لا يحتاج إليه ، ويدخل فيه الكذب والفبيبة والتميمة والفتش ثم أداء الأمانات إلى أهلها ثم تحريم قتل النفوس والجنايات عليها ثم تحريم الفروج وما يجب فيها من التعفف ثم قبض اليد عن الأموال الحرمية . ويدخل فيه تحريم السرقة وقطع الطريق وأكل الرشا وكل مالا يستحقه شرعا ثم وجوب التورع عن المطاعم والمشارب والاجتناب عما لا يحل منها .

وهي أنواع كثيرة مبسطة في كعب السنة والكتاب ثم تحريم الملابس والزي والأواني وما يكره منها ثم تحريم اللأهب والملاهي المخالفة للشرعية ثم الاقتصاد في النفقة وتحريم أكل المال بالباطل ثم ترك الغل والحسد ونحوهما

من الخصال الذمومة على لسان الشرع ثم تحريم أعراض الناس وما يجب من ترك الوقعة فيها ثم اخلاص العمل لله عز وجل وترك الرياء والسمعة ثم السرور بالحسنة والاعتناء بالسيئة ثم معالجة كل ذنب بالتوبة ثم القرايين وجلتها الهدى والأضعية والعقبة ثم طاعة أولى الأمر إلا في معصية الخالق ثم التمسك بما عليه جماعة أهل السنة والكتاب ثم الحكم بين الناس بالعدل ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ثم التعاون على البر والتقوى ثم الحياء ثم بر الوالدين ثم صلة الأرحام ثم حسن الخلق وبدخل فيه كظم الغيظ ولين الجانب والتواضع ثم الإحسان إلى المالك ثم حق السادة على المالك وهو لزوم العبد سيده وإقامته حيث يراه له ويأمر به وطاعته فيما يطيقه .

ثم حقوق الأولاد والأهلين وهي قيام الرجل على ولده وأهله وتعليمه لإتمام من أمور دينهم ما يحتاجون إليه ثم مقاربة أهل الدين وموادتهم وإفشاء السلام بينهم والمصافحة لهم ونحو ذلك ، ثم رد السلام ثم عيادة المريض ثم صلاة الجنائز ثم تسميت العاطس ثم مباحة الكفار والمفسدين والغلبة عليهم .

ثم إكرام الجار ثم إكرام الضيف ثم الستر على أصحاب القروى أى الذنوب ثم الصبر على المصائب وعما تنزع النفس إليه من لذة وشهوة .

ثم الزهد وقصر الأمل ، ثم الغيرة وترك المراء ، ثم الاعراض عن القفو ، ثم الجود والسخاء ثم رحمة الصغير وتوقير الكبير . ثم إصلاح ذات البين ، ثم أن يحب الرجل لأخيه المسلم ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه . وبدخل فيه إمالة الأذى عن الطريق والنصح لكل مسلم ، وفي حديث أنس في صحيح ^(١) البخارى «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» .

فهذه سبع وسبعون شعبة من شعب الإيمان دلت عليه أدلة الكتاب والسنة
ذكرها البيهقي في شعب الإيمان ، وزاد القزويني عليها في بعض الشعب آية
أو آيات أو حديثا أو كلمات أو حكاية أو حكايات أو بيتا أو أبياتا لم
يذكرها البيهقي .

وإذا أحطت بما ذكرنا علما عرفت أن ذلك كله من المسكارة التي حفت
بها الجنة وأن خلاف ذلك كله من الشهوات التي حفت بها النار ، وهذا
باب واسع جداً لا يتسع لبسطه هذا المقام وفقنا الله سبحانه وتعالى لاحتمال
المسكارة المنجيات وجنبنا عن الشهوات الموبقات .

هذا وأقول : « رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا
إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا
وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ » (البقرة ٢٨٦) .

* * *

(باب)

* (من دخل النار من الموحدين ومات واحترق)

ثم يخرجون بالشفاعة)

عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « يَمْدَبُ نَاسٌ مِّنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ فِي النَّارِ حَتَّى يَسْكُونُوا فِيهَا حُمًا ثُمَّ تُدْرِكُهُمُ الرَّحْمَةُ فَيَخْرُجُونَ وَيَطْرَحُونَ عَلَى أَبْوَابِ الْجَنَّةِ قَالَ فَتَرَشَّ عَلَيْهِمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْمَاءَ فَيَنْبَثُونَ كَمَا يَنْبَثُ الْغَنَاءُ فِي حَمَالَةِ السَّيْلِ ثُمَّ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ » أخرجه ^(١) الترمذى وقال هذا حديث صحيح قد روى من غير وجه عن جابر .

وعن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال : « يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنَ الْإِيمَانِ » قال أبو سعيد : فمن شك فليقرأ : (إِنْ اللَّهُ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ) أخرجه الترمذى ^(٢) وحسنه وصححه .

ومنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمْ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ أَوْ قَالَ بِمُخْطَايَاهُمْ فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً حَتَّى إِذَا كَانُوا نَعْمًا أَذِنَ لَهُمْ بِالْشَّفَاعَةِ فَبِئَاءَ بِهِمْ ضَبَائِرُ ضَبَائِرِ فَبِئْسَ أَعْلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ ثُمَّ قِيلَ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ فَيَنْبَثُونَ نَبَاتِ الْحَبَةِ فِي حِمِيلِ السَّيْلِ » فقال رجلٌ من القوم كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ كَانَ بِالْبَادِيَةِ ^(٣) .

قال القرطبي ^(٤) هذه المونة للمصاة مونة حقيقية ، لأنه أكد بها بالمصدر ، وذلك تسكريما لهم حتى لا يحسوا ألم العذاب بعد الإحتراق ، بخلاف الحى الذى هو من أهلها ومخلد فيها « كَلِمًا فَتُصِجَّتْ جُلُودُهُمْ بِدَلَانَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَ هَالِكَةٍ وَقُوا الْعَذَابَ »

(١) الترمذى (٧١٣/٤) (٢) الترمذى (٧١٤/٤)

(٣) مسلم (١٧٢/١) وضبار ، قال أهل اللغة : جماعات فى تفرقة مفردتها ضبارة بكسر الضاد وفتحها ومعنى فبئسوا : فرقوا .

(٤) التذكرة (٣٤٠ - ٣٤١) .

وقيل : يجوز أن تكون إمامتهم ، عبارة عن تغييبه إياهم عن آلامها بالنوم ، ولا يكون ذلك موتاً حقيقة فإن النوم قد يغيب عن كثير من الآلام والملاذ ، وقد سماه الله وفاة فقال : « اللَّهُ يَقُوفِي الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَلِلَّهِ لَمُ تَمَتْ فِي مَقَامِهَا » (الزمر ٤٢) فهو وفاة وليس بموت على الحقيقة الذي هو خروج الروح عن البدن وكذلك الصدفة قد عبر الله بها عن الموت في قوله تعالى « فَصَبَقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ » (الزمر ٦٨) وأخبر عن موسى عليه السلام أنه خسر صعباً ولم يكن ذلك موتاً على الحقيقة غير أنه لما غيب عن أحوال المشاهدة من الملاذ والآلام جاز أن يسمى موتاً ، وكذلك يجوز أن يكون إمامتهم غيبتهم عن الآلام ، وهم أحياء بلطفه يحدّثها الله فيهم ، كما غيب النسوة اللاتي قطعن أيديهن ، بشاهد ظهر لهن فغبن به عن الآلمن .

والتأويل الأول أصح لما ذكرناه من تأكيده بالمصدر ، ولقوله في نفس الحديث حتى إذا كانوا فحماً ، فهم أموات على الحقيقة ، كما أن أهلها أحياء على الحقيقة وليسوا بأموات .

فإن قيل : ما معنى إدخالهم النار وهم غير عالمين ؟ قيل : يجوز أن بدخايم تأديبا لهم ، وإن لم يعذبهم فيها ؛ ويكون صرف نعم الجنة عنهم مدة كونهم فيها عقوبة لهم ، كالحبوسين في السجون ، فإن الحبس عقوبة لهم وإن لم يكن معه غل ولا قيد والله أعلم .

وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال : « بَخْرُجْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعْبِيرَةً ، أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ ذَرَّةً » أخرجه الترمذی^(١) وقال : هذا حديث حسن صحيح .

وعنه عن النبي ﷺ قال : « يَقُولُ اللَّهُ : أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ ذَكَرَنِي يَوْمًا ، أَوْ خَافَنِي فِي مَقَامٍ » أخرجه الترمذی^(٢) وقال : حديث حسن غريب .

(١) الترمذی (٧١١/٤ - ٧١٢) وبشرح التحفة (٣١٩/٧)

(٢) الترمذی (٧١٢/٤) وبشرح التحفة (٣٢٠/٧) .

(باب)

• (في الشفعاء وذكر الجهننيين) •

عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال : « إِنَّ الصَّيَّامَ وَالْقُرْآنَ يَشْفَعَانِ لِأَمْبِدٍ يَقُولُ الصَّيَّامُ : رَبِّ مَنْعَهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ فَشَفَعْنِي فِيهِ وَيَقُولُ الْقُرْآنُ : مَنْعَهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفَعْنِي فِيهِ فَيُشَفَّعَانِ » أخرجه ابن المبارك (١) .

وذكر مسلم (٢) من حديث أبي سعيد الخدري وفيه بملد قوله في نار جهنم :

« حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشِدَةً لِلَّهِ تَعَالَى فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْوُثْنَيْنِ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِأَخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ يَقُولُونَ رَبَّنَا كَانُوا بِصُومِهِمْ مَعَنَا وَبُصُولِهِمْ وَبِحُجُوتِهِمْ ، فَيَمْلَأُ لَهُمْ أَخْرَجُوا مِنْ عَرَقِهِمْ صَوْرُهُمْ عَلَى النَّارِ فَيَخْرَجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ، قَدْ أَخَذَتِ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقِيهِ وَإِلَى رُكْبَتَيْهِمْ يَقُولُونَ : رَبَّنَا مَا بَقِيَ أَحَدٌ مِنْ أَمْرَتِنَا بِهِ ، فَيَقُولُ جَلَّ جَلَالُهُ أَرْجِعُوا فَنَجِدْكُمْ فِي قُلُوبِهِمْ مِنْقَالٍ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرَجُوهُ فَيَخْرَجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ، ثُمَّ يَقُولُونَ : رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِنْ أَمْرَتِنَا ، ثُمَّ يَقُولُ : أَرْجِعُوا فَنَجِدْكُمْ فِي قُلُوبِهِمْ مِنْقَالٍ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرَجُوهُ ، فَيَخْرَجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ : رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِنْ أَمْرَتِنَا أَحَدًا ، ثُمَّ يَقُولُ : أَرْجِعُوا فَنَجِدْكُمْ فِي قُلُوبِهِمْ مِنْقَالٍ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرَجُوهُ فَيَخْرَجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ، ثُمَّ يَقُولُونَ : رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا » وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ يَقُولُ : إِنْ لَمْ تَصَدَّقُونِي بِهَذَا الْحَدِيثِ فَأَقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ « إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِنْقَالٍ ذَرَّةً وَإِنْ تِلْكَ حَسَنَةٌ يُضَاعَفُهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهِ أَجْرًا عَظِيمًا » (النساء ٤٠) فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ . وفي البخاري (٣) بدله « وَبَقِيَتْ شَفَاعَتِي » فَيُخَيَّرُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ

(١) التذكرة (٣٤٥) - والترغيب (١٢٦/٢) وقال : رواه أحمد والطبراني

في الكبير ورجاله محتج بهم في الصحيح . (٢) مسلم (١٦٩/١ - ١٧١)

(٣) البخاري (٦٦٠/٩) .

فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقبهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل ألا ترونها تكون الى الحجر أو الى الشجر ما يكون الى الشمس أصيفر وأخضر ، وما يكون منها الى الظل يكون أبيض • فقالوا : يا رسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية ، قال : فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم يعرفونهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ، ثم يقول : ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم ، فيقولون : ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحدا من العالمين ، فيقول : لكم عندي أفضل من هذا ، فيقولون : ربنا أى شيء أفضل من هذا ؟ فيقول : رضاي فلا أسخط عليكم بعده أبدا » أخرجه ابن ماجه ^(١) • وفي الباب أحاديث وروايات بطرق وألفاظ •

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا فرغ الله من القضاء بين خلقه أخرج كتابا من تحت العرش : أن رحمتي سبقت غضبي ، وأنا أرحم الراحمين • قال : فيخرج من النار مثل أهل الجنة أو قال مثلى أهل الجنة ، قال : وأكثر ظني أنه قال : مثلى أهل الجنة مكتوب بين أعينهم : عتقاء الله ^(٢) » •

وفي هذه الأحاديث فوائد كثيرة منها : أن الايمان يزيد وينقص ، ومنها أن الأعمال الصالحة من شرائع الايمان ، ومنه قوله تعالى : « وما كان الله ليضيع ايمانكم » (البقرة : ١٤٣) أى صلاتكم ، وقيل المراد في هذا الحديث أعمال القلوب كأنه يقول : أخرجوا من عمل عملا بنية من قلبه لقوله : « الأعمال بالنيات » ويجوز أن يكون المراد به رحمة على مسلم ، رقة على يتيم خوفا من الله تعالى ، رجاء له توكلأ عليه ، ثقة به : مما هي أفعال القلب دون الجوارح ، وسماها ايمانا لكونها في محل الايمان ، وهذا الذى قواه القرطبي وأيده في التذكرة ^(٣) •

(١) ابن ماجه •

(٢) عزاه القرطبي (٣٤٦) الى كتاب الديباج لأبى القاسم اسحق

ابن إبراهيم •

(٣) التذكرة (٣٤٧) •

وعن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يخرج قوم من النار ، بعد ما مسهم منها سقع فيدخلون الجنة ، فيسميهم أهل الجنة الجهنميون » أخرجه البخارى (١) .

وعن عمران ابن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ليخرجن قوم من أمتى بشفاعتى يسمون جهنميون » رواه الترمذى (٣) وقال .
حديث حسن صحيح ، أخرجه البخارى وأبو داود أيضا .

وعن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى » زاد الطيالسى قال : فقال : جابر : من لم يكن من أهل الكبائر فما له وللشفاعة (٢) وذكره أبو داود ، والدارقطنى عن أبى أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : نعم أنا لشرار أمتى ، قالوا : فكيف أنت لخيارها ؟ ، قل أما خيارها فيدخلون الجنة بأعمالهم وأما شرارهم فيدخلون الجنة بشفاعتى (٤) .

وعن أبى موسى الأشعرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خیرت بين الشفاعة وبين أن يدخل نصف أمتى الجنة ، فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفى ، أترونها للمتقين ؟ لا ولكنها للمذنبين الخطائين المتلوثين » رواه ابن ماجه (٥) وفى الباب أحاديث بألفاظ وطرق .

وعنده من حديث عوف بن مالك الأشجعى نحوه وفى آخره : « قلنا : يا رسول الله ادع الله أن يجعلنا من أهلها ، قال : هى لكل مسلم » (٦) .
قال القرطبى (٧) : شفاعته رسول الله صلى الله عليه وسلم والملائكة والنبيين والمؤمنين لمن كان له عمل زائد على مجرد التصديق ، ومن يكن معه من الايمان خير كان من الذين يتفضل الله عليهم فيخرجهم من النار فضلا وكرما وعدا منه حقا وكلمته صدقا « ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » (النساء ١١٦) فسبحان الرؤف الوفى بعهده .
انتهى .

(١) البخارى (٩ / ١٦٤) بنحوه . (٢) الترمذى (٤ / ٧١٥) .
(٣) ورواه الترمذى (٤ / ٦٢٥) وقال حديث حسن غريب - الطيالسى (٢٢٨ / ٢) .
(٤) التذكرة (٣٤٨) .
(٥) برقم ٤٣١١ ، قال البوصيرى ؛ اسناده صحيح رجاله ثقات .
(٦) برقم ٤٣١٨ .
(٧) التذكرة (٣٥٠) .

خاتمة

(فيما يرجى من رحمة الله تعالى ومغفرته وعفوه يوم القيامة)

قال تعالى : « ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء »
(النساء ٤٨) وقال تعالى : « قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً انه هو الغفور الرحيم »
(الزمر ٥٣) وقال تعالى : « ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً » (النساء ١١٠) وقال تعالى : « وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم » (الرعد ٦) وقال تعالى : « ولسوف يعطيك ربك فترضى » (الضحى ٥) وقال تعالى « أولئك يدعون الى النار والله يدعو الى الجنة والمغفرة باذنه » (البقرة ٢٢١) .

وقال تعالى : « فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطاً مستقيماً » (النساء ١٧٥) وقال تعالى « وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم » (المائدة ٩) وقال تعالى « وربك الغنى ذو الرحمة » (الأنعام ١٢٣) وقال « عذابى أصيب به من أشاء ورحمتى وسعت كل شئ فسأ كتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون » (الأعراف ١٥٦) وقال تعالى « هو أرحم الراحمين » (يوسف ٦٤) وهذه الآية فى مواضع من القرآن الكريم .
وقال تعالى : « ولا تياسوا من روح الله انه لا يياس من روح الله الا القوم الكافرون » (يوسف ٨٧) وقال تعالى : « نبىء عبادى أنى أنا الغفور الرحيم » (الحجر ٤٩) وقال تعالى : « وربك الغفور ذو الرحمة » (الكهف ٥٨) وقال تعالى عن حملة العرش أنهم يقولون : (ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ، ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم انك أنت العزيز الحكيم وقهم السيئات ، ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته ، وذلك هو الفوز العظيم » . (غافر : ٧ - ٩) وقال تعالى : « ويعف عن كثير »

(الشورى : ٣٤) وقال تعالى : « ان ربك واسع المغفرة » (النجم ٣٢)
 وقال تعالى : « ويعفو عن كثير » (الشورى ٣٠) وهذه غير الأولى •

ومن أسمائه الحسنى الرحمن الرحيم ، وهما مشتقان من الرحمة على طريق المبالغة ، والرحمن أشد مبالغة من الرحيم ، وفى كلام ابن جرير ما يفهم حكاية الاتفاق على هذا ، ولذلك قالوا رحمن الدنيا والآخرة ، ورحيم الدنيا ، فقد تقرر أن زيادة البناء تدل على زيادة المعنى •

قال القرطبي : وصف نفسه الكريمة بهما لأنه لما كان باتصاف رب العالمين ، ترهيب قربه بالرحمن الرحيم لما تضمن من الترغيب ليجمع فى صفاته بين الرهبة منه والرغبة اليه فيكون أعون على طاعته وأمنع ، وقيل : فائدة تكريره هنا بعد الذكر فى البسمة أن العناية بالرحمة أكثر من غيرها من الأمور وأن الحاجة إليها أكثر ، فنبه سبحانه وتعالى بتكرير ذكر الرحمة على كثرتها ، وأنه هو المتفضل بها على خلقه • ذكره الشوكانى (رح) فى تفسيره فتح القدير •

قال البيهقى فى الأسماء والصفات قال الحليمى ^(١) : فى معنى الرحمن أنه المزيح للعلل ، وفى معنى الرحيم أنه المثيب على العمل ، فلا يضيع لعامل عملا ، ولا يهدر لساع سعيًا ، وينيله بفضل رحمته من الثواب أضعاف عمله •

وقال الخطابى : ذهب بعضهم الى أن الرحمن غير مشتق من الرحمة لأنه لو كان مشتقا منها لا تصل بذكر المرحوم ولا تنكره العرب حين سمعوه وزعم بعضهم أنه اسم عبرانى ، وذهب الجمهور من الناس الى أنه مشتق من الرحمة ينبىء عن المبالغة ، ومعناه ذو الرحمة ، لا نظير له فيها ، ولذلك لا يشنى ولا يجمع ، فالرحمن ذو الرحمة الشاملة التى وسعت الخلق فى أرزاقهم وأسباب معاشهم ومصالحهم ، وعمت المؤمن والكافر والصالح والطالح •

وأما الرحيم : فخاص للمؤمنين كقوله : « وكان بالمؤمنين رحيما »

والرحيم بمعنى راحم ، وبناء فعيل أيضا للمبالغة ، وقال ابن عباس :
« الرحمن هو الرفيق ، والرحيم هو العاطف على خلقه بالرزق ، وهما
اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر » وقال عبد الرحمن بن يحيى :
الرحمن خاص في التسمية عام في الفعل ، والرحيم عام في التسمية خاص
في الفعل .

قال ابن عباس في قوله تعالى : « هل تعلم له سميا » (مريم ٦٥) لم
يسم أحد الرحمن غيره ، انتهى كلام البيهقي ، قال تعالى : « الرحمن علم
القرآن » (الرحمن ١ - ٢) وقال تعالى : « قل ادعوا الله أو ادعوا
الرحمن أيأ ما تدعوا فله الأسماء العسنى » (الاسراء ١١٠) وقال :
« وكان بالمؤمنين رحيما » (الأحزاب ٤٣) وقال في فواتح السور غير
التوبة: بسم الله الرحمن الرحيم ، وقال في فاتحة الكتاب « الرحمن الرحيم »
وقال : « تنزيل من الرحمن الرحيم » (فصلت ٢) .

وبالجملة فالرحمة صفة عظيمة من صفات الرحمن الرحيم يظهر أثرها
على وجه الكمال ان شاء الله تعالى يوم الدين ، وتعم الصالحين والطالحين
من المؤمنين حين يغفر الله سبحانه وتعالى ذنوب المذنبين ويعفو عن الخطايا
والجرائم للخطائين .

ومن نعم الله سبحانه على عباده أن وصف نفسه الكريمة بالرحمة
العامة والمغفرة الشاملة ، ووصف رسوله محمد خاتم النبيين وسيد
المرسلين وشفيع المذنبين بقوله في كتابه الكريم : « وما أرسلناك الا
رحمة للعالمين » (الأنبياء ١٠٧) فوقعت أمته المرحومة بين رحيمين
كريمين ، والرحيم اذا قدر رحم ، والكريم اذا غلب غفر ، فالرحمة والمغفرة
للعصاة من الموحدين المتبعين للسنة والكتاب والمقرين على أنفسهم
بالقصور عن بلوغ ذروة كمال الامثال باتيان صوالح الأعمال ثابتان
بأدلة القرآن ونصوص السنة ، لا سيما أنه سبحانه يتوب على التائبين
ويغفر للمستغفرين ، ويفرح بتوبة عباده المؤمنين ويجزى المحسنين ، ويجب
المتطهرين التوايين ، وقد سبقت رحمته على غضبه ، ورضاه على سخطه
وعفوه على انتقامه وهو أحق بذلك وأولى ، وقد وردت في ذلك أخبار

كثيرة صحيحة لا يتسع المقام لبسطها لما أنه يستدعى مؤلفا مستقلا ،
ولكن ما لا يدرك كله لا يترك كله فلنذكر من ذلك شيئا ندرا رجاء العفو
والغفران من الرحيم الرحمن فانه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير •

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لما قضى الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش : ان رحمته تغلب غضبي » أخرجه الشيخان والترمذى ^(١) وعند البخارى رحمه الله فى رواية أخرى أن رحمته غلبت أو قال سبقت غضبي ^(٢) ، وعند الشيخين فى أخرى ، سبقت غضبي ، وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « جعل الله الرحمة مائة جزءاً فأمسك عنده تسعة وتسعين وأنزل فى الأرض جزءاً واحداً ، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه » ^(٣) أخرجه الشيخان والترمذى •

وعن سلمان الفارسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان لله تعالى مائة رحمة فمنها رحمة يترحم بها الخلق بينهم وتسعة وتسعون ليوم القيامة » أخرجه مسلم ^(٤) وله فى أخرى أن الله تعالى خلق يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة ، كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض فجعل منها فى الأرض رحمة فيها تعطف الوالدة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض فاذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة ^(٥) •

وأخرج ابن ماجه ^(٦) من حديث أبى سعيد الخدرى ، وفى بعض

(١) مسلم (٢١٠٧/٤) والترمذى (٥٤٩/٥) ابن ماجه برقم ٤٢٩٥

(٢) البخارى (١٥٣/٩) ، (١٩٦/٩) •

(٣) مسلم (٢١٠٨/٤) والترمذى (٥٤٩/٥) •

(٤) مسلم (٥٤٩/٤) (٢١٠٨ - ٢١٠٩) •

(٦) ابن ماجه برقم (٤٢٩٤) ولفظه : أكملها الله بهذه الرحمة ، قال فى الزوائد صحيح ، ورجاله ثقات •

طرق أبي هريرة فاذا كان يوم القيامة رد هذه على تلك التسعة والتسعين فأكملها مائة رحمة فرحم بها عباده يوم القيامة » .

وفي رواية أخرى : فاذا كان يوم القيامة جمعت الواحدة الى التسعة والتسعين فكملمن مائة رحمة ، حتى ان ابليس ليتناول اليها رجاء أن ينال منها شيئا « (١) » .

وقال ابن مسعود : « لن تزال الرحمة بالناس ، حتى ان ابليس ليهتز صدره يوم القيامة مما يرى من رحمة الله وشفاعة الشافعين » ، وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم سبى ، فاذا امرأة من السبى تسعى قد تحلب ثديها اذا وجدت صبيا في السبى فأخذته فألقته ببطنها فأرضعته فقال صلى الله عليه وسلم : « آترونها هذه المرأة طارحة ولدها في النار ؟ قلنا : لا والله وهى تقدر على أنه لا تطرحه ، قال : فالله تعالى أرحم بعباده من هذه بولدها » أخرجه الشيخان « (٢) » .

وعن جرير بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يرحم الله من لا يرحم الناس » (٣) متفق عليه ، وعن أبي هريرة قال : سمعت أبا القاسم الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم يقول : « لا تنزع الرحمة الا من شقى » رواه أحمد والترمذى « (٤) » .

وعن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء » رواه أبو داود والترمذى « (٥) » .

قال الحسن : يقول الله تعالى يوم القيامة : جوزوا الصراط بغفوى وادخلوا الجنة برحمتى واقتسموها بأعمالكم وقال صلى الله عليه وسلم :

(١) مسلم (٢١٠٩ / ٤) بنحوه .

(٢) مسلم (١٨٠٩ / ٤) بنحوه .

(٣) الترمذى (٣٢٣ / ٤) البخارى (١٢ / ٨) ومسلم (١٨٠٩ / ٤) بنحوه .

(٤) الترمذى (٣٢٣ / ٤) وقال : هذا حديث حسن .

(٥) الترمذى (٣٢٤ / ٤) وقال : حديث حسن صحيح .

ينادى مناد من تحت العرش يا أمة محمد ، أما ما كان لى قبلكم فقد وهبته لكم ، وبقيت التبعات فتواهبوها فيما بينكم وادخلوا الجنة برحمتى •

ويروى أن أعرابيا سمع ابن عباس يقرأ « وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها » (آل عمران ١٠٣) فقال الأعرابي أنقذهم منها وهو يريد أن يوقعهم فيها ؟ فقال ابن عباس خذوها من غير فقيه ، وقال الصابجي : دخلت على عبادة بن الصامت وهو فى الموت فبكيت ، فقال : مهلا لم تبكى ؟ فوالله لئن استشهدت لأشهدن لك ، ولئن شفعت لأشفعن لك ، ولئن استطعت لأقنعنك ثم قال : والله ما من حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لكم فيه خير الا حدثتكموه الا حديثا واحدا ، وسوف أحدثكموه اليوم وقد أحيط بنفسى : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من شهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله حرم الله عليه النار » أخرجه مسلم ^(١) ، والأخبار بهذا المعنى كثيرة خرجها البخارى ومسلم وغيرهما من الأئمة •

وقال الأصمعى ^(٢) : كان رجل يحدث بأهوال يوم القيامة وأعرابى جالس يسمع ، فقال : يا هذا من يلى هذا من العباد ؟ قال : الله تعالى ، فقال الأعرابى : ان الكريم اذا قدر عفا وغفر • وعن جابر رضى الله عنه قال : جاء أعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ما الموجبتان ؟ قال : من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ، ومن مات يشرك بالله شيئا دخل النار « رواه مسلم ^(٣) •

وعن عتبان بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان قد حرم على النار من قال لا اله الا الله يبتغى بذلك وجه الله » أخرجه الشيخان ^(٤) ، وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله

(١) مسلم (١ / ٥٧ - ٥٨) •

(٢) التذكرة (٣٥٦) •

(٣) مسلم (١ / ٩٤) •

(٤) مسلم بنحوه (١ / ٦١) ولم يذكره فؤاد عبد الباقي فى المتفق عليه

صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسى بيده لو لم تذبوا لذنب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله تعالى فيغفر لهم » رواه مسلم (١) .

وعن أبى أيوب رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لولا أنكم تذنبون لخلق الله خلقا يذنبون يغفر لهم » أخرجه مسلم (٢) .

وعن ابن عباس رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا الا شفعم الله فيه » رواه مسلم (٣) .

وعن أبى موسى الأشعرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يجىء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال فيغفرها الله لهم » رواه مسلم (٤) .

وعن ابن عمر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يدنى المؤمن يوم القيامة من ربه حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه ، فيقول أتعرف ذنب كذا ؟ أتعرف ذنب كذا ؟ فيقول : رب أعرف ، قال : فاني قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ، فيعطى صحيفة حسناته » أخرجه الشيخان (٥) .

وعن أبى موسى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله تعالى ييسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، وييسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها » رواه مسلم (٦) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « قال الله عز وجل : « أنا عند ظن عبدي بى وأنا معه حيث يذكرنى ، والله لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة ، ومن تقرب الى

(٢) مسلم (٤ / ٢١٠٥) .

(١) مسلم (٤ / ٢١٠٦) .

(٤) مسلم (٤ / ٢١٢٠) .

(٣) مسلم (٢ / ٦٥٥) .

(٥) مسلم (٤ / ٢١٢٠) بنحوه وكنفه : ستره وعفوه .

(٦) مسلم (٤ / ٢١١٣) .

شبرا تقربت اليه ذراعا ، ومن تقرب الى ذراعا تقربت اليه باعا ، واذا أقبل الى يمشى أقبلت اليه أهروا « متفق عليه (١) » .

وعن جابر رضى الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بالله عز وجل » رواه مسلم (٢) .
وعن أنس قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : قال الله : يا ابن آدم انك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى ، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ولا أبالى ، يا ابن آدم انك لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة » رواه الترمذى (٣) وقال حديث حسن .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ أو تلا هذه الآية : « هو أهل التقوى وأهل المغفرة » (المدثر ٥٦) فقال : قال الله تعالى : « أنا أهل أن أتقى فلا يجعل معي اله آخر ، فمن اتقى أن يجعل معي اله آخر فأنا أهل أن أغفر له » أخرجه ابن ماجه وخرجه أبو عيسى الترمذى بمعناه وقال هذا حديث حسن غريب (٤) ، وروى عن عبد الله بن أبى أوفى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذي نفسى بيده لله أرحم بعبده من الوالدة الشفيقة بولدها .

وقال أبو غالب : كنت اختلف الى أبى أمامة بالشام ، فدخلت يوما على فتى مريض من جيران أبى أمامة ، رضى الله عنه وعنده عم له وهو يقول له : يا عدو الله ألم أمرك ؟ ألم أنك ؟ فقال الفتى : يا عماء لو أن الله تعالى دفعنى الى والدتى كيف كانت صانعة بى ؟ قال : كانت تدخلك الجنة ، قال ان ربه الله أشفق وأرحم بى من والدتى وقبض الفتى فدخلت القبر مع عمه ، فلما أن سواه صاح وفزع فقلت له : مالك ؟ فقال : فسح له فى قبره وملئ نورا (٥) .

(١) مسلم (٢١٠٢) بنصه . (٢) مسلم (٢٢٠٦ / ٤) .

(٣) التحفة (٥٢٥ / ٩) .

(٤) ابن ماجه برقم ٤٢٩٩ والترمذى (٤٣٠ / ٥) .

(٥) التذكرة بنحوه (٣٥٧) .

وقال هلال بن سعيد : يؤمر باخراج رجلين من النار ، فيقول الله تعالى كيف وجدتما مقيلكما ؟ فيقولان : شر مقيّل ، فيقول الله تعالى : ذلك بما قدمت أيديكما وما أنا بظلام للعبيد : ويؤمر بصرفهما الى النار ، فيعدو أحدهما في سلاسله حتى يقتحمها ويتلكأ الآخر فيؤمر بردهما ويسألهما عن فعلهما ، فيقول الذي عدا : قد خبرت من وبال المعصية ما لم أكن لأتعرض لسخطك ثانية : ويقول الذي تلكأ : حسن ظني بك أن لا تردني اليها بعد ما أخرجتني منها ، فيأمر بهما الى الجنة •

قال القرطبي : هذا الخبر رفعه الترمذى أبو عيسى بمعناه : عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان رجلين ممن دخل النار اشتد صياحهما ، فقال الرب تبارك وتعالى : أخرجوهما ، فلما أخرجا قال لهما : لأى شيء اشتد صياحكما ؟ قالا : فعلنا ذلك لترحمنا ، قال : ان رحمتي لكما أن تنطلقا فتلقيا أنفسكما حيث كنتما من النار ، فينطلقان فيلقى أحدهما نفسه فيجعلها عليه بردا وسلاما ويقوم الآخر فلا يلقى نفسه ، فيقول له الرب عز وجل : ما منعك أن تلقى نفسك كما ألقى صاحبك ؟ فيقول : يا رب انى لأرجو أن لا تعيدنى فيها بعدما أخرجتني منها ، فيقول له الرب عز وجل لك رجاؤك ، فيدخلان جميعا الجنة برحمة الله تعالى : قال أبو عيسى ^(١) ، اسناد هذا الحديث ضعيف لأنه عن رشدين بن سعد ، ورشدين ضعيف عن ابن أنعم وهو الافريقى والافريقى ضعيف عند أهل الحديث •

وذكر أبو نعيم الحافظ عن اسحاق بن سويد قال : صحبت مسلم بن يسار عاما الى مكة فلم أسمعته يتكلم بكلمة حتى بلغنا ذات عرق ، قال ثم حدثنا قال بلغنى أنه يؤتى بالعبد يوم القيامة فيوقف بين يدي الله تعالى فيقول : انظروا فى حسناته فلا يوجد له حسنة ، فيقول : انظروا فى سيئاته فيوجد له سيئات كثيرة فيؤمر به الى النار فيذهب وهو يلتفت ، فيقول (أى الرب تعالى) : ردوة الى ، لم تلتفت ؟ فيقول : أى رب لم

يكن هذا ظنى أو رجائى فيك - شك ابراهيم - فيقول : صدقت فيؤمر به الى الجنة .

قال القرطبى : هذا الحديث رفعه ابن المبارك فقال : أخبرنا رشد بن سعد قال : حدثني أبو هانيء الخولاني عن عمرو بن مالك الجهني أن فضالة بن عبيد وعبادة بن الصامت رضى الله عنهما حدثاه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اذا كان يوم القيامة وفرغ الله من القضاء بين الخلائق فيبقى رجلان فيؤمر بهما في النار : فيلتفت أحدهما فيقول الجبار تبارك اسمه وتعالى جده : ردوه فيردوه فيقال له : لم التفت ؟ فيقول : كنت أرجو أن تدخلني الجنة فيؤمر به الى الجنة قال : فيقول : لقد أعطاني ربي حتى لو أني أطعمت أهل الجنة ما نقص ذلك مما عندي شيئا . قالوا أى فضالة وعبادة : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذا ذكره يرى السرور في وجهه .

قال القرطبى : وفي هذا المعنى خبر الرجل الذى يرفع له شجرة بعد أخرى حين يخرج من النار الى أن يدخل الجنة ، أخرجه مسلم في الصحيح . انتهى ، وقد تقدم فيما سبق .

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان كنتم أنبأتم بأول ما يقول الله عز وجل للمؤمنين يوم القيامة وبأول ما يقولون : قالوا : نعم يا رسول الله ، قال : ان الله يقول للمؤمنين : هل أحببتم لقاءى ؟ فيقولون : نعم يا ربنا ، قال وما حملكم على ذلك ؟ فيقولون غفوك ورحمتك ورضوانك فيقول : أوجبت لكم رحمتى .

وعن زيد بن أسلم أن رجلا كان في الأمم الماضية يجتهد في العبادة ويشدد على نفسه ويقنط الناس من رحمة الله ، ثم مات فقال : أى رب مالى عندك : قال : النار ، قال : يا رب فأين عبادتى واجتهادى ، فقيل له انك كنت تقنط الناس من رحمتى في الدنيا وأنا أقنطك اليوم من رحمتى .

وقال مقاتل : قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه : الفقيه من لم يؤيس الناس من رحمة الله ولم يرخص لهم في معاصي الله ، ذكر ذلك كله القرطبي (١) في التذكرة له وعن عيد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله سيخلص رجلا من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر .

ثم يقول : أتنكر من هذا شيئا : أظلمك كتبتي الحافظون ؟ فيقول : لا يا رب ، فيقول أفلك عذر ؟ فيقول : لا يا رب ، فيقول : بلى ان لك عندنا حسنة فانه لا ظلم عليك اليوم ، فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، فيقول : أحضر وزنك فيقول : يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فقال انك لا تظلم ، قال : فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة ، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء » رواه الترمذى وابن ماجه (٢) .

كذا في مشكاة المصابيح ، والسجل : الكتاب الكبير ، والبطاقة على وزن الكتابة : الرقعة الصغيرة المنوطة بالثوب يكتب فيها وزن ما تجعل هي فيه ان كان عينا فوزنه أو عدده وان كان متاعا فثمنه ، قيل سميت به لأنها تشد بطاقة هذب الثوب . كذا في القاموس قال الطيبي فيكون حينئذ الباء زائدة . اهـ . قال في اللغات : وكأنه أبقيت الباء الجارة التي هي صلة الفعل ، وهي لغة أهل مصر وليس مادته بطق انتهى ، وهذا الحديث يسمى حديث البطاقة .

وما أحسن ما قال السيد العلامة محمد بن اسماعيل الأمير اليماني أطاب الله ثراه وجعل الجنة مشواه :

مهما تفكرت في ذنوبي خفت على قلبي احتراقه
لكنه ينطفئ لهيبى بذكر ما جاء في البطاقة

(١) التذكرة (٣٤٧ - ٣٤٩) .

(٢) الترمذى (٥ / ٢٤ - ٢٥) وحسنه وابن ماجه برقم (٤٣٠٠) - وخرجه الامام احمد (١١ / ١٧٥) وصححه الشيخ شاكر - والترغيب (٢ / ٧٠١) .

ولشيخنا وبركتنا القاضى محمد بن على الشوكانى رحمه الله كتاب
سماء الدرر الفاخرة الشاملة على سعادة الدنيا والآخرة ، وهو كتاب نافع
جدا ، ينبغى لأهل العلم والدين الاشتغال به ، ليسعدوا بكل سعادة
ويتجافوا عن كل موجب للشقاوة •

هذا ونحن نستغفر الله تعالى من كل ذنب ، زلت به القدم ، أو
طغى به القلم فى كتابنا هذا ، وفى سائر كتبنا ، ونستغفره من أقوالنا التى
لا توافقها أعمالنا ونستغفره من كل علم وعمل قصدنا به وجهه الكريم ،
ثم خالطه غيره ، ومن كل نعمة أنعم بها علينا ، فاستعملناها فى معصية ،
ومن كل تصريح وتعريض بنقصان ناقص ، وتقصير مقصر كنا منصفين
به ، ومن كل خطرة دعتنا الى تصنع ، وتكلف تزينا للناس فى كتاب
سطرناه ، أو علم أفدناه أو استفدناه •

ونرجو بعد الاستغفار من جميع ذلك كله لنا ، أن نكرم بالمغفرة
والرحمة والتجاوز عن جميع السيئات ظاهرا وباطنا وأولا وآخرا ، فإن
الكرم عميم والرحمة واسعة ، والجود على أصناف الخلائق فائض ، ونحن
خلق من خلق الله عز وجل ولا وسيلة لنا اليه الا فضله وكرمه •
وقد قال جابر بن عبد الله : من زادت حسناته على سيئاته يوم القيامة
وذلك الذى يدخل الجنة بغير حساب ومن استوت حسناته وسيئاته يوم
القيامة فذلك الذى يحاسب حسابا يسيرا ، ومن زادت سيئاته على حسناته
يوم القيامة فذلك الذى لا يدخل الجنة ، وانما شفاعة رسول الله صلى الله
عليه وسلم لمن أوبق نفسه وأثقل ظهره بعد ما يأذن الله سبحانه وتعالى له
فى حق من شاء •

ونرجو من الله تعالى أن لا يعاملنا بما نستحقه ويتفضل علينا
بما هو أهله بمنه وسعة جوده ورحمته انه قريب مجيب الدعوات •
وقد قال تعالى : « ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد
الله غفورا رحيمًا » (النساء ١١٠) ، وقال تعالى : « وما كان الله معذبهم
وهم يستغفرون » (الأنفال ٣٣) ، وقال تعالى : « والذين اذا فعلوا
فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم • ومن يغفر

الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا » (آل عمران ١٣٥) الآية
والآيات في الباب كثيرة معلومة •

عن وائلة بن الأسقع عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : قال الله
تبارك وتعالى : « أنا عند ظن عبدي بي ، فليظن بي ما شاء » أخرجه
الدارمي (١) •

وعن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قاربوا وسددوا ،
واعلموا أن أحدا منكم لن ينجي عمله ، قالوا : يا رسول الله ولا أنت ؟
قال : ولا أنا الا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل » رواه الدارمي (٢)
وعنده عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل بني
آدم خطاء وخير الخطائين التوابون (٣) » •

وعن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه » الحديث
رواه الدارمي (٤) وعنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول : من شهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله حرم الله عليه
النار » رواه مسلم (٥) •

وعن عثمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« من مات وهو يعلم أنه لا اله الا الله دخل الجنة » أخرجه مسلم (٦) •

(١) الدارمي (٢ / ٢١٤) وقال الهيثمي : رواه أحمد والطبراني في
الوسط ورجال أحمد ثقات (٢ / ٣١٨) •

(٢) الدارمي (٢ / ٢١٥) •

(٣) الدرامي (٢ / ٢١٣) ابن ماجه برقم ٤٢٥١ - الترمذى
(٤ / ٦٥٩) واستغفره •

(٤) البخارى (٨ / ١٣٢) مسلم (٤ / ٢٠٦٥) - النسائى (٤ / ٨)
- الدارمي (٢ / ٢٢٠) - الترمذى (٤ / ٥٥٤) •

(٥) مسلم (١ / ٥٨) •

(٦) مسلم (١ / ٥٥) •

اللهم انك تعلم أنى أعلم أنه لا اله الا الله وأنى أشهد بأن محمدا رسولك ، وأن الجنة حق وأن النار حق ، وقد قال رسولك في حديث عبادة بن الصامت : من شهد بذلك أدخله الله الجنة على ما كان من العمل •

هذا الحديث متفق عليه ، واني أستغفرك وأتوب اليك ، وأرجو رحمتك التي سبقت على غضبك ، فتب على يا تواب وأغفر لى يا غافر الذنب ، وأجرنى من النار وأختم لى بالحسنى وزيادة وأرحمنى رحمة فى عبادك الصالحين ، فانك كما قلت فى مواضع من كتابك أرحم الراحمين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين •

« تم والحمد لله »

مراجع التحقيق

- ١- التذكرة للإمام القرطبي تحقيق الشيخ أحمد محمد مرسى مطابع مذكور وأولاده طبعة دار الشعب
- ٢- صحيح البخاري
- ٣- صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي عيسى الحلبي
- ٤- سنن الترمذي مصطفى البابي الحلبي
- ٥- « أبي داود » » » »
- ٦- « ابن ماجه تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي عيسى الحلبي
- ٧- موطا الإمام مالك للإمام مالك بن أنس دار الشعب
- ٨- فتح الباري شرح صحيح البخاري ابن حجر العسقلاني
- ٩- فتح البيان تأليف صديق حسن خان مصطفى البابي الحلبي
- ١٠- مسند الإمام أحمد تحقيق الشيخ شاكر دار المعارف
- ١١- سنن النسائي مصطفى البابي الحلبي
- ١٢- حادي الأرواح تأليف ابن القيم دار التأليف
- ١٣- لوامع الأنوار البهية الاسفار بنى الحنبلي
- ١٤- ذكر أخبار أصبهان لأبي نعيم الأصبهاني
- ١٥- الترغيب والترهيب للمنذرى تحقيق خليل هراس الجمهورية العربية
- ١٦- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لنور الدين الهيثمي مكتبة القدسي
- ١٧- تفسير ابن كثير دار الشعب
- ١٨- منحة المعبود ترتيب سنن الطيالسي أبي داود شرح عبد الرحمن البنا
- ١٩- الزهد والرقائق لابن المبارك تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي
- ٢٠- ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي تحقيق علي محمد البجاوى ط عيسى الحلبي
- ٢١- تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني
- ٢٢- تحفة الأحمدي شرح سنن الترمذي للمبار كفوري ط السلفية ، المدينة المنورة
- ٢٣- كشف الكربة ببيان حال أهل الغربة لابن رجب الحنبلي
- ٢٤- كشف الخفاء ومنزل الإلباس للجلوني ط دار التراث الاسلامي حاب
- ٢٥- إحياء علوم الدين للغزالي عيسى الحلبي
- ٢٦- رياض الصالحين للنووي عيسى البابي الحلبي
- ٢٧- خلاصة تذهب الكمال في أسماء الرجال للخزرجي المطبعة الخيرية

فهرس الكتاب

صفحة	
	مقدمة التحقيق
	مراجع التحقيق
	مقدمة المؤلف
١	مقدمة في بيان أن الشرائع متفقة على إثبات الدار الآخرة التي فيها الجنة والنار
٦	باب في بيان وجود النار الآن
١٣	» » أن النار لا تقى ولا ينفى ما فيها
١٧	» » ذكر مكان النار وأين هي ؟ على مقتضى الآثار ، وكذا مكان الجنة
٢٣	» » آيات من الكتاب العزيز وردت في جهنم
٢٨	» » » كريمة وردت في صفة النار وأهلها
٤٧	» » ما جاء في أن النار لما خلقت فرعت منها الملائكة حتى طارت أو ردتها
٩٠	» » » البكاء عند ذكر النار والخوف منها
٩٣	» » » فيمن استجار من النار وسأل الله الجنة
٩٤	» » احتجاج الجنة والنار وصفة أهلها
٩٦	» » في صفة النار وفي شرار الناس من هم
٩٧	» » » أهل النار
٩٩	» » أول من يكسى من حلل النار
١٠١	» » ما جاء في أكثر أهل النار
١٠١	» » » أول ثلاثة يدخلون النار
١٠٥	» » بعث النار وأول من يدعى يوم القيامة
١٠٥	باب ما جاء في أول من تسعر بهم جهنم
١٠٨	» » » جهنم وأنها أدراك ولمن هي ؟
١٠٩	» » » أن جهنم تسعر كل يوم وتفتح أبوابها إلا يوم الجمعة
١١١	» » » أن جهنم لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم
١١٢	» » في بعد أبواب جهنم بعضها من بعض
١١٣	

- باب ما جاء في عظم جهنم وأزمته ١١٥
- » في كلام جهنم وذكر أزواجها وإنه لا يجوزها إلا من عنده جواز ١١٧
- » ما جاء أن التسعة عشر خزنة جهنم ١١٨
- » في سعة جهنم وعظم سرادقها ١١٨
- » في أن الشمس والقمر يقذفان في النار ١١٩
- » في صفة جهنم وحرها وشدة عذابها أجازنا الله منها ١٢٠
- » في شكوي النار وكلامها وبعد قعرها وأهوالها وفي قدر الحجر الذي يرمى به فيها أجازنا الله منها ومن أهوالها ١٢٣
- » ما جاء في أن النار لها عينان وعنق وأذن ولسان ١٢٧
- » » » مقام أهل النار وسلاسلهم وأغلالهم ١٢٩
- » » » كيفية دخول أهل النار وتلقى النار أهلها ١٣١
- باب في رفع لهب النار أهل النار حتى يشرفوا على أهل الجنة ١٣٢
- باب في نفس أهل النار ١٣٣
- باب ما جاء في أن جهنم جبالات وخنادق وأودية وبحاراً وصهاريج وحياضاً وأباراً وجباباً وتنانير وسجونا وبوتا وجسورا وقصوراً وأرجاء ونواير وعقارب وحيات أجازنا الله منها بفضلها وكرمها ١٣٣
- باب في بيان قوله تعالى (فلا تقتحم العقبة) وفي ساحل جهنم ووعيد من يؤذى المؤمنين ١٤١
- باب ما جاء في قوله تعالى « وقودها الناس والحجارة » ١٤٣
- » في تعظيم جسد الكافر وأعضائه بحسب اختلاف كفره وتوزيع العذاب على العاصي المؤمن بحسب أعمال الأعضاء ١٤٤
- باب ما جاء في شدة عذاب أهل المعاصي وإذابة أهل النار بذلك ١٤٨
- » في عذاب من عذب الناس في الدنيا ١٥٠
- » » شدة عذاب من أمر بالمعروف ولم يأت به ونهى عن المنكر وأتاه وذكر الخطباء وفيمن خالف قوله فعليه وفي أن أعوان الظلمة كلاب النار ١٥١
- باب ما جاء في طعام أهل النار وشرابهم ولباسهم ١٥٥
- » أن أهل النار يجوعون ويعطشون وفي دعائهم وإجاباتهم ١٥٦

- ١٦٢ باب ما جاء في بكاء أهل النار ومن أدناهم عذاباً فيها
- ١٦٤ » لكل مسلم فداء من أهل النار من الكفار
- ١٦٦ » في قوله تعالى (وتقول هل من مزيد)
- » في ذكر آخر من يخرج من النار - وآخر من يدخل الجنة وفي تعيينه وتعيين قبيلته وإسمه
- ١٧٠ باب في الشافعين لمن دخل النار ما جاء أن النبي صلى الله عليه وسلم يشفع رابع أربعة وذكر من يبقى في جهنم بعد ذلك
- ١٧٢ باب ما جاء في خروج الموحدين من النار وذكر الرجل الذي ينادى يا حنان يا منان وفي أحوال أهل النار
- ١٧٧ باب تفاوت أهل النار في العذاب
- ١٨٢ » في الاستهزاء بأهل النار ويان قوله تعالى « فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون » الخ
- ١٨٣ باب ما جاء في استنشاق رائحة الجنة والصرف منها إلى النار
- ١٨٥ » » » ميراث أهل الجنة منازل أهل النار
- ١٨٥ » » » خلود أهل الدارين وذبح الموت على الصراط ومن يذبحه
- ١٨٦ باب فيمن يستحق النار ، وكلام تقيس في حديث افتراق الأمة
- ١٩٢ » في سوء الخاتمة ويان الخوف والرجاء
- ٢٠٥ » حفت النار بالشهوات وحفت الجنة بالمكاره وذكر عمل أهل النار وأهل الجنة
- ٢١٤ باب من دخل النار من الموحدين ومات واحترق ثم يخرجون بالشفاعة
- ٢٢٢ » في الشفاعة وذكر الجهنميين
- ٢٢٤ خاتمة فيما يرجي من رحمة الله تعالى ومغفرته ونفوه يوم القيامة
- ٢٢٧

سلسلة

مَا لَا يَسْتَغْنِي عَنْهُ
الْوَاعِظُ وَالْعَابِدُ

٣

يَقْظَرُ فِي الْأَعْتَابِ

مما ورد في ذكر النار وأصحاب النار

للإمام / صديق حسن خان

(١٢٤٨ - ١٣٠٧ هـ)

حققه وعلق عليه

الدكتور / الأستاذ محمد عبد العظيم حمزة

الناشر

دار الفتح

الطبعة الثانية
مزيدة التحقيق
حقوق الطبع محفوظة
١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان الا على الظالمين
وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده
ورسوله ..

اللهم صل على محمد النبي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل
بيته كما صليت على آل ابراهيم انك حميد مجيد .
أما بعد ..

في هذه هي الطبعة الثانية من هذا الكتاب النافع وقد أمتازت عن
سابقاتها بالأمر الآتي :

- * ضبط الآيات القرآنية بالشكل الكامل .
- * ضبط الأحاديث النبوية الشريفة بالشكل الكامل .
- * شرح غريب الألفاظ مع ضبطها .
- * مزيد تحقيق لحواشي الكتاب اشتملت على زيادة واصلاح
ما يقرب من خمسين موضعاً .
- * تصويب الاخطاء الواردة في صلب الكتاب سواء كانت في
الآيات القرآنية أو الأحاديث الشريفة ، أو غير ذلك .

والحمد لله رب العالمين

٤ من ذي الحجة الحرام ١٤٠٤

الشيخ أسامة محمد عبد العظيم حمزة
دكتوراه في الشريعة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة التحقيق

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، اللهم صل على محمد النبي وأزواجه أمهات المؤمنين وفريته وأهل بيته كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد .

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ »
« يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا » .

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ، وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا » .

أما بعد فلما كان كتاب « يقظة أولي الاعتبار ما ورد في ذكر النار وأصحاب النار » من أنفع الكتب المفيدة للمتعبد والواعظ . وكانت الطبقات الموجودة غير خالية من التحريف والتصحيف ، كان غرض إخراجها إخراجاً علمياً ما يقصد به التقرب إلى وجه الله الكريم ، وما ينبغي أن يدخر إلى « يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ » .

١ - التعريف بالمؤلف :

هو الإمام العلامة الأصولي المحدث ، بقية أهل الاجتهاد بلا خلاف الشريف : أبو الطيب صديق بن حسن بن علي البخاري القنوجي رحمه الله . مولده : في التاسع عشر من جمادى الأولى سنة ١٢٤٨ ببلدة بريلى .

مصنفاته : منها فتح البيان في مقاصد القرآن مطبوع بمطبعة العاصمة الروضة الندية شرح الدرر البهية ط الشيخ منير الدمشقي ، حسن الأسوة فيما ثبت عن الله ورسوله في النسوة ، نيل المرام في تفسير آيات الأحكام . حصول المأمول في علم الأصول اختصار إرشاد الفحول للشوكاني . وتوفي رحمه الله في أوائل هذا القرن الهجري سنة ١٣٠٧ هـ .

٢ - التعريف بالمنهج :

لما كان المرجع الذي صرح المؤلف بالأخذ عنه ، ورتب أبواب كتابه عليه ، هو كتاب « التذكرة في أحوال الآخرة » للإمام شمس الدين أبي عبد الله

محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج القرطبي المتوفى سنة ٦٧١ .
كان القصد إلى مراجعة نصوص الكتاب بالمقابلة على كتاب التذكرة .
فساعد ذلك في تقويم كثير من الخلل ، الذي تعرض له الكتاب .

ولما كان كثير من التحريف قد تطرق إلى ألفاظ الأحاديث النبوية الشريفة
كانت المهمة الصعبة في رد هذه الأحاديث إلى مصادرهما من كتب السنة ، لتقويم
ألفاظها ، وتوضيح بعض مدلولات هذه الألفاظ ، التوضيح العلمي المدعم
بالعزو إلى العلماء لثبت الحديث في مصدره الأصلي فهما كان الجهد .

ولما كانت بعض الأحاديث قد ذكرت دون تحديد درجتها من الضعف
أو الصحة أو غير ذلك كانت الحاجة ماسة إلى سد هذه الفجوة لتلايف
التساهل في هذا الأمر إلى الوقوع في خطر الكذب على النبي ﷺ .
ومثال ذلك ما أورده المصنف من أحاديث إبراهيم بن هذبه ساكتا عنها ،
مع أنها باطلة لا يجوز ذكرها إلا للتنبيه عليها .

ولما كانت بعض الآيات القرآنية ذاتها لم تسلم من التبديل والتحريف . كان
الواجب الشرعي يحتم نفى التحريف عنها ، ونسبتها إلى مواضعها من السور .
ولما كان بعض المنسـوـبين إلى العلم قد علق بعض التعليقات التي تخالف
عقائد أهل السنة والجماعة في بعض طبعات هذا الكتاب . وهي الطبعة المتداولة
حال طبع الكتاب .

وهي التعليق ذيل صفحة ٦٧ من إشارة إلى تأييد مذاهب المعتزلة .
كان القصد ، إزالة الإشارات التي تشوش على سياق الحقائق العلمية في
كتابات السلف ، وتروج للمذاهب المبتدعين من أصحاب عقائد التكفير وغيرها .
ويجدر بنا أن نذكر مقالة العماد الأصفهاني :

« إني رأيت أنه لا يكتب أحد كتاباً في يومه إلا قال في غده :

لو غير هذا لكان أحسن ، ولو زيد هذا لكان يستحسن ، ولو قدم هذا لكان
أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل . وهذا من أعظم العبر وهو دليل على
إستيلاء النقص على جملة البشر » .

وقد اجتهدنا في هذا الشأن — جهد المقل — وبذلنا ما مكنتنا الله منه ، فإن
يكن من صواب ، فإنه منة من الله تعالى وفضل ويسحق — عليه وحده —
الشنا والشكر ، وإن يكن من خطأ فهو من الشيطان والله ورسوله بريئان منه .
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .